إرشاد الفضلاء

إلى تخريج وشرح كتاب

"أخلاق العلماء"

تأليف أبي عبد الله رشيد بن مصطفى المغربي البربري

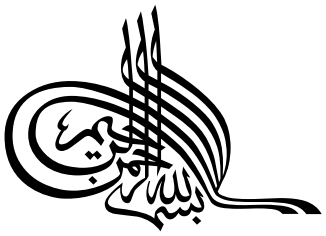

وعلى الله توكلت، فهو حسبي، ونعم الوكيل

الحمد لله المسهل بفضله تعالى طريق الجنة لمن سلك طريقا لالتماس العلوم النافعة، الموفق تعالى لمن كان التماسه بآداب سامية، الرافع عز وجل بهذه الآداب قدر المتخلق بها في هذه الدار الفانية، المرقي جل وعلا لدرجاته في الدار الآخرة بقدر ما ناله من هذه العلوم الكافية والآداب الشافية.

وصلاة الله وسلامه على المبعوث بالدين الرافع، المورث للعلم النافع، الذي لا جزاء لمن أروي به إلا الشرب من حوضه ﷺ الماتع، الجواد الذي عطاؤه واسع، ذو الجاه الذائع.

أما بعد فبين يدي القارئ الكريم ما نضج من الجمع خلال مدة طويلة وسنوات عديدة من هذه العلوم المهمة التي طالب العلم بأمس الحاجة إليها. فهذه آداب وأخلاق يتحلى بها الطالب؛ ليقتطف من العلم أحسنه، ويروى به من منبعه الصافي كما يليق بطالب العلم، دون أن تكدر ذلك الآداب السيئة والأخلاق الرديئة.

وذلك أنني مذ أول طلبي للعلم أطالع ما تيسر من الكتب في هذا المجال وغيره، فأعثر على فوائد مهمة يستعين بها الطالب لتحصيل العلم أثناء سلوك طريق التماسه، فأدون ذلك تارة، ويعلق بذهني ما شاء الله منها تارة أخرى.

ثم لاحظت في سيري في طريق الدعوة إلى الله خلال ما ألقيته من دروس حاجة من يحضرها إلى تعليم الآداب والأخلاق التي ينبغي التحلي بها، فوقع في ذهني من ذلك الحين نثر ما تجمع لدي من الفوائد في مؤلف.

ثم شقت الفكرة في ذهني طريقها، وعملت عملها، فتركت آثارا ارتحت لها، ورجوت في ذلك النفع العظيم لطالب العلم...

وشاء الله تبارك وتعالى أنني بينما أنظر كتبا في مكتبة يوما إذ وقع بصري على كتاب **"أخلاق العلماء"** للإمام الآجري، فبادرتني نفسي بقولها: «لو شرحت هذا الكتاب، ونثرت خلال ذلك تلك الفوائد...». فاشتريت الكتاب، ولكن لم يكن على تلك الطبعة العناية التي تليق به.

ثم أخبرت بعض طلابي بهذا المشروع، واقترحت عليهم تدريس الكتاب شارحا له بما يفتحه الله سبحانه وتعالى علي... فبينما نحن في أوائل الدروس إذ بين يدي الحاضرين طبعة أخرى للكتاب ببعض العناية من الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، فسررت بها، ثم جعلتها الأصل في شرحي للكتاب؛ إذ هي أتم عناية من التي كانت لدي.

وقد استفدت من الطبعتين، وأثبت من المتن ما رأيت الأنسب منهما.

ترجمة مختصرة للإمام الآجري

أسمه ونسبه:

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في **"السير"** (١٦/ ١٣٣-١٣٤): الإمام، المحدث، القدوة، شيخ الحرم الشريف، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، الآجري.اهـ.

وقد ضبط النسبة المذكورة الإمام ابن العماد في **"الشذرات"** (٤/ ٣١٧)؛ إذ قال: و«الآجري» بضم الجيم نسبة إلى قرية من قرى بغداد.اهـ.

وقد نسب هذه النسبة سواه من الأئمة، ومن أشهرهم لدى طلاب علم الحديث صاحب السؤالات للإمام أبي داود السجستاني عن أحوال الرجال، ينقل منها الحافظ في **"تهذيب التهذيب"**.

أفاد الحافظ المزي باسمه في **"تهذيب الكمال"** (٣/ ٢٦٤)؛ حيث قال أثناء سرد أسماء الرواة عن الإمام أبي داود:... وأبو عبيد محمد بن علي بن عثمان الآجري، الحافظ، له عنه مسائل مفيدة.اهـ المراد.

مذهبه:

قال الإمام ابن العماد في **"الشذرات"** (٤/ ٣١٧): كان حنبليا.

وقيل: «شافعيا»، وبه جزم الإسنوي وابن الأهدل.اهـ.

شيء من ثناء العلماء عليه:

قال الخطيب في **"تاريخه"** (٣/ ٣٥): وكان ثقة، صدوقا، دينا.اهـ.

ويفسر المراد بتدينه ما قاله الإمام الذهبي في **"السير"** (١٦/ ١٣٤): وكان صدوقا، خيرا، عابدا، صاحب سنة واتباع.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى في **"تاريخه"** (١٥/ ١٥٤): وكان من أئمة السنة.اهـ.

ما يتعلق بمصنفاته:

قال الخطيب عقب ما تقدم: وله تصانيف كثيرة.اهـ.

وقال الإمام الذهبي في **"تاريخه"** (١٥/ ١٥٤): وله تصانيف حسنة.اهـ.

وقد سرد رحمه الله تعالى في **"السير"** (١٦/ ١٣٤) بعض هذه التصانيف؛ حيث قال: منها كتاب **"الشريعة"** في السنة، كبير، وكتاب **"الرؤية"**، وكتاب **"الغرباء"**، وكتاب **"الأربعين"**، وكتاب **"الثمانين"**، وكتاب **"آداب العلماء"**، وكتاب **"مسألة الطائفين"**، وكتاب **"التهجد"**، وغير ذلك.اهـ.

وفاته:

قال الخطيب رحمه الله تعالى في **"تاريخه"** (٣/ ٣٥): وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، ثم انتقل إلى مكة، فسكنها حتى توفي بها.اهـ.

وقد عين الإمام الذهبي رحمه الله تعالى تاريخ ذلك في **"السير"** (١٦/ ١٣٥)؛ إذ قال: مات بمكة في المحرم سنة ستين وثلاثمائة، وكان من أبناء الثمانين.اهـ.

حول كتاب "أخلاق العلماء"

قد تقدم في سرد الإمام الذهبي لأسماء كتب الإمام الآجري كتاب أسماه **"آداب العلماء"**، ومقصوده بذلك في ما يبدو الكتاب الذي بين أيدينا، والله أعلم. ويؤيد هذا البادي ما يأتي من وصف الحافظ ابن رجب للكتاب...

۞ الثناء على الكتاب ومنزلته الرفيعة:

قال الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله في مقدمة تعليقه على الكتاب (ص ١١): أثنى الحافظ الإمام ابن رجب في شرحه لحديث «**ما ذئبان جائعان...**» الحديث على كتاب **"أخلاق العلماء"**؛ حيث قال: قد صنف أبو بكر الآجري -وكان من العلماء الربانيين- في أوائل المائة الرابعة تصنيفا في أخلاق العلماء وآدابهم، وهو من أجل ما صنف في ذلك.اهـ المراد.

ثم ختم الشيخ الأنصاري رحمه الله تعالى نقله المتقدم بنكتة قال فيها: وقد اعتنى الحافظ أبو نعيم في **"الحلية"** بذكر كثير من روايات الآجري فيه، كما اعتنى الخطيب البغدادي في كتاب **"الفقيه والمتفقه"** بذلك، وذكر الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم وفضله"** بعض رواياته، فدل هذا الاعتناء من هؤلاء الأئمة أبي نعيم، والخطيب، وابن عبد البر، على مكانة هذا الكتاب ومؤلفه عندهم.اهـ المراد.

حول عنوان الكتاب:

تكون عنوان الكتاب من اسمين، أولهما مضاف والثاني مضاف إليه، وهما خبر لمبتدإ محذوف، والتقدير «هذه أخلاق العلماء».

و«أخلاق» جمع خلق، قال ابن الأثير رحمه الله تعالى في **"النهاية"** (١/ ٥٢٥) في ضبط الكلمة: «الخلق» بضم اللام وسكونها.اهـ.

ثم قال رحمه الله تعالى في بيان معناه: الدين، والطبع، والسجية.

وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها، ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة، وأوصافها، ومعانيها.

ولهما أوصاف حسنة وقبيحة.اهـ المراد.

وقد قال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والسبب في ذلك ما أخرجه الإمام مسلم (١٣٩)-(٧٤٦)؛ حيث ساق بسنده إلى سعد بن هشام قصة، ثم قال: قلت: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن ... الحديث.

ومعنى الحديث المذكور ما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في **"تفسيره"** (٤/ ٥٣٥) في سياق كلامه على الآية المتقدمة: صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له وخلقا تطبعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء، والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خلق جميل.اهـ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأولى المؤمنين بالتأسي بنبيهم ﷺ في أخلاقه العظيمة العلماء وطلاب العلم؛ إذ هم ورثة الأنبياء. والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لم يورثوا درهما ولا دينارا، وإنما ورثوا العلم.

لاسيما والعالم منظور إليه، والناس يقتدون به، لما يرون له من الفضل!

ويوضح المعنى المراد ما أخرجه الإمام مالك (٧٣٥) عن نافع، أنه سمع أسلم مولى عمر بن الخطاب يحدث عبد الله بن عمر، أن عمر بن الخطاب رأى على طلحة بن عبيد الله ثوبا مصبوغا، وهو محرم، فقال عمر: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال طلحة: يا أمير المؤمنين! إنما هو مدر. فقال عمر: إنكم أيها الرهط! أئمة يقتدي بكم الناس. فلو أن رجلا جاهلا رأى هذا الثوب لقال: «إن طلحة بن عبيد الله قد كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام». فلا تلبسوا أيها الرهط! شيئا من هذه الثياب المصبغة.اهـ.

وقد صح إسناد هذا الأثر، ولله الحمد والمنة.

قال الحافظ ابن عبد البر في **"الاستذكار"** (١٠/ ٦٠): أما إنكار عمر على طلحة لباسه المصبغ بالمدر فإنما كرهه من طريق رفع الشبهات؛ لأنه صبغ لا يختلف العلماء في جوازه. وإنما كره أن تدخل الداخلة على من نظر إليه، فظنه صبغا فيه طيب.اهـ المراد.

ومن شأن المؤمن أيضا، الابتعاد عما لا يليق به من الأخلاق، فقد أخرج الإمام البخاري (٦٠٣٢) من حديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن الرسول ﷺ قال: «**... إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره**».

وقال الخطيب رحمه الله في **"اقتضاء العلم"** (ص ١٤) في ما يتعلق من ذلك بالعالم: وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته.اهـ المراد.

هذا ما يتعلق بالشطر الأول من عنوان الكتاب. وأما الشطر الثاني، لفظة «العلماء»، فجمع عالم، وهو من اتصف بالعلم. والمراد به إذا أطلق ما يلي...

قال الإمام الذهبي في **"السير"** (١٩/ ٣٤٠): تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول ﷺ قولا وفعلا، ولم يأت نهي عنه، قال عليه السلام: «**من رغب عن سنتي فليس مني**».

فعليك يا أخي! بتدبر كتاب الله وبإدمان النظر في **"الصحيحين"**، و**"سنن النسائي"**، و**"رياض النووي"**، و**"أذكاره"**، تفلح، وتنجح.

وإياك وآراء عباد الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رءوس أصحاب الخلوات!

فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة...اهـ المراد، واستفيد الوصول إلى هذا الموضع من كتاب **"العلم"** للعرابي (ص ١٣).

ومن لم يكفه القرآن، والسنة، وما يعينه على فهمهما، أسرع إلى البدع، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

وفي هذا الصدد قال الإمام البرذعي رحمه الله في **"سؤالاته للإمام أبي زرعة"** (٤٧٩): شهدت أبا زرعة سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقلت للسائل: إياك وهذه الكتب! هذه كتب بدع وضلالات. عليك بالأثر؛ فإنك تجد فيه ما يغني عن هذه الكتب.

قيل له -يعني للإمام أبي زرعة-: في هذه الكتب عبرة! قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة! بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي... والأئمة المتقدمين، صنفوا هذه الكتب في الخطرات، والوساوس، وهذه الأشياء...!؟

هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم، فأتونا مرة بالحارث المحاسبي، ومرة بعبد الرحيم الدبيلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق البلخي.

ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع!اهـ.

قال الإمام ابن القيم في **"الفوائد"** (ص ٢٠٣): ولقد أحسن القائل:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها ... حذرا من التمثيل والتشبيه

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿بسم الله﴾ قال العلامة الخضري رحمه الله تعالى في **"حاشيته"** (١/ ٩): اعلم أن البسملة مصدر قياسي لـ«بسمل» كـ«دحرج دحرجة» إذا قال: «بسم الله»، على ما في **"الصحاح"** وغيره، أو إذا كتبها، على ما في **"تهذيب الأزهري"**، فهي بمعنى القول، أو الكتابة.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى بعد ذلك: وهي من باب النحت، وهو أن يختصر من كلمتين فأكثر كلمة واحدة.اهـ المراد.

ثم ذكر رحمه الله تعالى أمثلة من النحت المسموع والمولد، ثم قال: ووردت في قول عمر بن أبي ربيعة:

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها ... فيا حبذا ذاك الحديث المبسمل

.اهـ.

الباء في البسملة:

قال العلامة الخضري في **"حاشيته"** (١/ ١٠) أثناء كلامه على البسملة: ثم إن الباء أصلية على المشهور، ومعناها الاستعانة، أو المصاحبة على وجه التبرك.اهـ.

والمختار الأول لما بالعبد من فقر في سائر شئونه إلى الاستعانة بالله فيها. كيف لا، وقد أمرنا بطلب ذلك من الله في كل ركعة!؟

ولا يستغني العبد عن الاستعانة بربه جل وعلا، وإلا خذل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وعليه فالباء في البسملة للاستعانة، وضابطها أنها الداخلة على الشيء الذي به حصل الفعل، أفاده شيخنا أبو بلال في تعليقه على "**شرح القطر**" (١/ ١٩).

ولابد للباء والاسم الذي دخلت عليه من متعلق، وهو هنا محذوف. والمختار في تقديره كونه فعلا مضارعا، متأخرا عن البسملة.

فأما كونه فعلا فلما عهد من ذكر البسملة عند الشروع في الفعل.

وأما كونه مضارعا فلما أفاده العلامة الخضري في "**حاشيته**" (١/ ١٠-١١)؛ حيث قال: لأن قائل البسملة لم يخبر عن شيء صدر منه حتى يصح الماضي على حقيقته، ولم يطلب شيئا في المستقبل حتى يصح الأمر، مع أن أمر الشخص نفسه خلاف الظاهر، بل مخبر عما هو ملتبس به من البدء بالبسملة أول فعله.اهـ المراد.

وأما التأخير فلما قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في "**البدائع**" (١/ ٤٣):... أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله. فلو ذكرت الفعل، وهو لا يستغني عن فاعله، كان ذلك مناقضا للمقصود.

وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى؛ ليكون المبدوء به اسم الله.اهـ المراد.

وعلى هذا يقال في تقدير المحذوف: «بسم الله أبدأ»، أو: «بسم الله أؤلف».

ويؤيد التقدير المذكور ورود السنة بنظيره، أخرج الإمام مسلم (٥٩)-(٢٧١١) من حديث **البراء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قال: «**اللهم! باسمك أحيا، وباسمك أموت**»... الحديث.

نكتة في كتابة البسملة:

ومن النكت التي نختم بها الكلام على البسملة ما ينبغي مراعاته من الآداب في كتابتها. وذلك ما أفاده الشيخ حافظ الحكمي في **"معارج القبول"** (١/ ٦٠)؛ حيث قال: الباء أداة تخفض ما بعدها، ومعناها في البسملة الاستعانة.

وتطويلها في القرآن تعظيما لكتاب الله عز وجل، وإسقاط الألف من الاسم طلبا للخفة لكثرة استعمالها.

وقيل: «لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء؛ ليدل على السقوط». ولذلك لما كتبت الألف في ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] ردت الباء إلى هيئتها.اهـ.

لفظ الجلالة:

أفاد الإمام ابن القيم كما في **"أسماء الله الحسنى"** (ص ٨٧-٨٨) بما قال فيه: اسم الله جل جلاله هو الجامع، ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه، فيقال: «الرحمن، الرحيم، العزيز، الغفار، القهار، من أسماء الله»، ولا يقال: «الله من أسماء الرحمن»، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها، وكل مشهد سواه فإنما هو مشهد لصفة من صفاته.

فمن اتسع قلبه لمشهد الإلاهية، وقام بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب بكمال الذل، والتعظيم، والقيام بوظائف العبودية، فقد تم له غناه بالإله الحق، وصار من أغنى العباد، ولسان حال مثل هذا يقول:

غنيت بلا مال عن الناس كلهم ... وإن الغنى العالي عن الشيء لا به

فيا له من غنى، ما أعظم خطره وأجل قدره!اهـ.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وقال في **"المدارج"** (١/ ٨٩-٩٠):... فعلم أن اسمه الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلاهية التي اشتق منها اسم الله. واسم الله دال على كونه مألوها، معبودا، تألهه الخلائق محبة، وتعظيما، وخضوعا، وفزعا إليه في الحوائج والنوائب. وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد.اهـ المراد.

اسما الله الرحمن الرحيم:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في **"المدارج"** بعد ما تقدم: وصفات الإحسان، والجود، والبر، والحنان، والمنة، والرأفة، واللطف، أخص باسم الرحمن.

وكرر إيذانا بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته... فالرحمن الذي الرحمة وصفه، والرحيم الراحم لعباده، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجئ «رحمان بعباده» ولا «رحمان بالمؤمنين».اهـ المراد.

قوله: ﴿الحمد لله﴾ قال العلامة ابن القيم في **"البدائع"** (٢/ ٥٣٦-٥٣٧): فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه، وإجلاله، وتعظيمه. ولهذا كان خبرا يتضمن الإنشاء بخلاف المدح؛ فإنه خبر مجرد.

فالقائل إذا قال: «الحمد لله»، أو قال: «ربنا! لك الحمد»، تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع، محيط، متضمن لكل فرد من أفراد الحمد المحققة والمقدرة. وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى. ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه، ولا تنبغي، إلا لمن هذا شأنه، وهو الحميد، المجيد.اهـ المراد.

ولما كانت الصيغة المذكورة من الحمد متضمنة لكل فرد من أفراد الحمد كان الصواب جعل «أل» فيها للاستغراق. وفي هذا الصدد ما أفاده العلامة المعلمي في **"مجموع آثاره"** (٧/ ٧٦-٧٧)؛ حيث قال: قال ابن جرير: «لدخول الألف واللام في «الحمد» معنى لا يؤديه قول القائل: «حمدا» بإسقاط الألف واللام. وذلك أن دخولها في «الحمد» مبني على أن معناه جميع المحامد». وهذا معنى ما يقوله النحاة وغيرهم أن «أل» للاستغراق، وأنها هي التي يصلح محلها «كل» كما في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، أي: خلق كل إنسان. ولذلك يصح الاستثناء من مدخولها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [العصر].اهـ.

ثم قال رحمه الله تعالى (ص ٧٩): واللام في ﴿لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] للاستحقاق.

والجملة تفيد القصر كما تقرر في علم المعاني، والتقدير «الحمد، أي: كل حمد، أو جميع المحامد، مستحق لله دون غيره».اهـ.

وللمعاني السابق ذكرها كان قول القائل: «الحمد لله» أفضل الدعاء، قال ابن القيم في **"صيغة الحمد"** (ص ٣٨-٣٩): وقد روى ابن ماجه والترمذي من حديث طلحة بن خراش بن عمر، عن **جابر بن عبد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**».

وسئل ابن عيينة عن هذا الحديث؛ فقيل له: كان «الحمد لله» دعاءا؟ فقال: أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان يرجو نائله:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حباؤك إن شيمتك الحباء

إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء

كريم لا يغيره صباح ... عن الخلق الجميل ولا مساء

وصلى الله على سيدنا محمد النبي...

فهذا مخلوق اكتفى من مخلوق بالثناء عليه، فكيف بالخالق سبحانه!؟

قلت -القائل ابن القيم-: الدعاء يراد به دعاء المسألة ودعاء العبادة، والمثني على ربه بحمده وآلائه داع له بالاعتبارين؛ فإنه طالب منه وطالب له، فهو الداعي حقيقة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].اهـ.

قوله: ﴿وصلى الله على سيدنا محمد النبي﴾ قال العلامة أبو محمد بن قتيبة رحمه الله تعالى في **"غريب الحديث"** (١/ ١٦٧): أصل الصلاة الدعاء، قال الله عز وجل: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي: ادع لهم، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ [التوبة: ٩٩]، أي: دعاءه، فسميت الصلاة بذلك؛ لأنهم كانوا يدعون فيها. ويدلك على ذلك الصلاة على الميت، إنما هي دعاء له، ليس فيها ركوع ولا سجود.اهـ.

معنى صلاة الله على نبيه ﷺ:

قد سرد الحافظ في **"الفتح"** (١١/ ١٨٧) عدة أقوال في المسألة، ثم قدم ما قال فيه:... أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه وتعظيمه.اهـ المراد.

وذكر رحمه الله تعالى بعد ذلك كلاما يستفاد منه بيان المراد بتعظيم النبي ﷺ في الصلاة عليه؛ فقال: وقال الحليمي في **"الشعب"**: معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه، فمعنى قولنا: «اللهم! صل على محمد» عظم محمدا. والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته، وتشفيعه في أمته، وإبداء فضيلته بالمقام المحمود.اهـ المراد.

الأمي...

قوله: ﴿الأمي﴾ اختلف في المنسوب إليه إلى أقوال، أظهرها ما قاله الإمام الطبري في **"تفسيره"** (١/ ٣٧٤): وأرى أنه قيل للأمي: «أمي» نسبة له بأنه لا يكتب إلى أمه؛ لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب، ولا يخط، من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه.اهـ المراد.

ومما يقرب مما تقدم في القوة ما قال فيه العلامة ابن قتيبة رحمه الله تعالى في **"غريب الحديث"** (١/ ٣٨٤): إنما قيل لمن لا يكتب: «أمي»؛ لأنه نسب إلى أمة العرب، أي: جماعتها. ولم يكن من يكتب من العرب إلا قليل، فنسب من لا يكتب إلى الأمة، فقيل: «أمي» كما تقول: «رجل عامي»، تنسبه إلى عامة الناس. ثم لزك هذا الاسم كل من لا يكتب، فقيل: العرب أميون.اهـ.

ومعنى الكلمة وصف لمن لا يكتب، وفي صدده ما أخرجه الإمام البخاري (١٩١٣) والإمام مسلم (١٥)-(١٠٨٠) من حديث **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: قال النبي ﷺ: «**إنا أمة أمية، لا نكتب، ولا نحسب**...» الحديث.

قال الحافظ رحمه الله تعالى في **"الفتح"** (٤/ ١٦٣): قوله: «**لا نكتب، ولا نحسب**» تفسير لكونهم كذلك.اهـ.

أمية النبي ﷺ كمال:

استظهر شيخ الإسلام كما في **"تفسيره"** (٣/ ٢١٠) ما في وصف النبي ﷺ بالأمية من الكمال في حقه ﷺ؛ فقال: وهذه حال نبينا ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [**الأعراف: ١٥٧**]؛ فإن أميته لم تكن من جهة فقد العلم والقراءة عن ظهر القلب، فإنه إمام الأئمة في هذا. وإنما كان من جهة أنه لا يكتب، ولا يقرأ

وآله، وسلم.

مكتوبا، كما قال الله فيه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وقد اختلف الناس هل كتب يوم الحديبية بخطه معجزة له، أم لم يكتب؟

وكان انتفاء الكتابة عنه مع حصول أكمل مقاصدها بالمنع من طريقها من أعظم فضائله وأكبر معجزاته؛ فإن الله علمه العلم بلا واسطة كتاب معجزة له ولما كان قد دخل في الكتب من التحريف والتبديل. وعلم هو ﷺ أمته الكتاب والحكمة من غير حاجة منه إلى أن يكتب بيده.

وأما سائر أكابر الصحابة كالخلفاء الأربعة وغيرهم فالغالب على كبارهم الكتابة لاحتياجهم إليها؛ إذ لم يؤت أحد منهم من الوحي ما أوتيه.

صارت أميته المختصة به كمالا في حقه من جهة الغنى بما هو أفضل منها وأكمل ونقصا في حق غيره من جهة فقده الفضائل التي لا تتم إلى بالكتابة.اهـ.

قوله: ﴿آله﴾ قال الشيخ الإثيوبي في **"الذخيرة"** (١٥/ ١٢٠) في بيان أصل الكلمة:

قيل: أصل «آل» أهل.

قلبت الهاء همزة، ثم سهلت. ولهذا إذا صغر رد إلى الأصل؛ فقالوا: أهيل.

وقيل: بل أصله أول من «آل» إذا رجع.

سمي بذلك من يئول إلى الشخص، ويضاف إليه.

ويقويه أنه لا يضاف إلا إلى معظم؛ فيقال: «آل القاضي»، ولا يقال: «آل الحجام»، بخلاف «أهل».اهـ.

وأضيفت الكلمة لضمير، وقد نقل جوازه بقلة الشيخ الإثيوبي بعد ما تقدم، ثم قال: وقد ثبت شعر عبد المطلب في قوله في قصة أصحاب الفيل من أبيات:

•••

وانصر على آل الصليـ ـب وعابديه اليوم آلك

.اهـ.

المراد بآل النبي ﷺ:

لقد نقل الشيخ الإثيوبي في **"الذخيرة"** (١٥/ ١٢٧-١٣٤) تحقيقا في المسألة، وختم ذلك بقوله: لقد أجاد الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في هذا البحث، وحقق كل قول بأدلته، وناقشها، فتلخص من بحثه ترجيح تفسير الآل هنا بأنهم الذين تحرم عليهم الصدقة لقوة أدلته ووضوحها.اهـ المراد.

ومن هذه الأدلة ما نقله الشيخ الإثيوبي رحمه الله (ص ١٢٨-١٢٩)؛ إذ قال:

أحدها ما رواه البخاري في **"صحيحه"** من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالنخل عند صرامه، فيجيئ هذا بتمره وهذا بتمره، حتى يصير عنده كوم من تمر. فجعل الحسن والحسين يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرة، فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فأخرجها من فيه، فقال: «**أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة؟**».

ورواه مسلم، وقال: «**أنا لا تحل لنا الصدقة**».

الثاني ما رواه مسلم في **"صحيحه"** عن **زيد بن أرقم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قام رسول الله ﷺ يوما خطيبا فينا بماء يدعى خما، بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وذكر، ووعظ، ثم قال: «**أما بعد ألا أيها الناس! إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي** عز وجل، **وإني تارك فيكم ثقلين. أولهما كتاب الله** عز وجل، **فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**»، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، وقال: «**وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**». فقال حصين بن سبرة: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

وبالله أستعين، وحسبي الله، ونعم الوكيل.

أما بعد...

قال: إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «**إن الصدقة لا تحل لآل محمد**».

الدليل الثالث ما في "**الصحيحين**" من حديث الزهري، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أرسلت إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تسأله ميراثها من النبي ﷺ مما أفاء الله على رسول الله ﷺ. فقال **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا صدقة. إنما يأكل آل محمد من هذا المال**».اهـ المراد.

قوله: ﴿**حسبي الله**﴾ قال الإمام الطبري في معنى هذه الكلمة والتالية في "**تفسيره**" (٤/ ١٧٨-١٧٩): يعني يكفينا. ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [**آل عمران: ١٧٣**]، يقول: ونعم المولى لمن وليه، وكفله. وإنما وصف تعالى نفسه بذلك؛ لأن الوكيل في كلام العرب هو المسنَد إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره.اهـ المراد.

وأفاد الإمام ابن القيم في "**الوابل الصيب**" (ص ٤٠٢) بما قال فيه: فإذا قال: «حسبي الله» بعد تعاطي ما أمر به من الأسباب قالها، وهو محمود، فانتفع بالفعل والقول. وإذا عجز، وترك الأسباب، وقالها، قالها، وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله عز وجل، فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به.اهـ.

قوله: ﴿**أما بعد**﴾ أخرج الإمام ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى (٢٧٥١٩) بإسناد صحيح: حدثنا عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، قال: قرأت رسائل النبي ﷺ، كلما انقضت قصة قال: «**أما بعد**».اهـ.

فإن الله عز وجل، وتقدست أسماؤه،...

فهذا من الآداب التي ينبغي للكاتب مراعاتها.

معنى قوله: «أما بعد»:

قال العلامة الأزهري رحمه الله تعالى في **"موصل الطلاب"** (ص ٣٥-٣٦): «أما» بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف فيه معنى الشرط بدليل دخول الفاء في جوابها.

«بعد» بالنصب على الظرفية الزمانية. واختلف في ناصبه،

فقيل: «فعل محذوف»، وهو الذي نابت «أما» عنه.

وقيل: «أما» لنيابتها عن المحذوف، وهو مذهب سيبويه.اهـ المراد.

أفاد شيخنا أبو بلال في تعليقه على ما تقدم قائلا: قال الشارح في **"التصريح"** (١/ ١٣): فعلى الأول «أما» نائبة عن الفعل معنى، لا عملا، وعلى الثاني نائبة معنى وعملا.اهـ.

وقال العلامة الأزهري عقب ما تقدم: الأصل عنده «مهما يكن من شيء بعد حمد الله».اهـ.

ونبه شيخنا على قوله: «عنده» بما قال فيه: أي: سيبويه. وكذا غيره، فالأولى عدم التقييد. فيحذف هذا الظرف، أعني «عنده». **"المدابغي"** (ل/ ٤).اهـ.

قوله: ﴿فإن الله...﴾ قد ذكر المؤلف في كلامه الآتي بعض الأشياء التي اقتبسها من الكتاب والسنة.

والاقتباس ما أفاده العلامة أحمد الهاشمي في **"جواهر البلاغة"** (ص ٤٤٢)؛ إذ قال: هو أن يضمن المتكلم منثوره، أو منظومه، شيئا من القرآن، أو الحديث، على وجه لا يشعر بأنه منهما.اهـ.

ثم مثل رحمه الله لذلك. ومن المناسب لما مضى ما قال فيه: كقول الشاعر الآخر:

...

اختص من خلقه من أحب، فهداهم للإيمان. ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب، فتفضل عليهم، فعلمهم الكتاب والحكمة، وفقههم في الدين، وعلمهم التأويل، وفضلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كل زمان وأوان.

رفعهم بالعلم، وزينهم بالحلم.

بهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح.

فضلهم عظيم، وخطرهم جزيل، ورثة الأنبياء وقرة عين الأولياء.

الحيتان في البحار لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع.

والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع.

مجالسهم تفيد الحكمة، وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة.

هم أفضل من العباد، وأعلا درجة من الزهاد.

حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة، يذكرون الغافل، ويعلمون الجاهل.

لا يتوقع لهم بائقة، ولا يخاف منهم غائلة.

بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون، وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون.

جميع الخلق إلى علمهم محتاج، والصحيح على من خالف بقولهم محجاج.

إن كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ما جرم فصبر جميل

وإن تبدلت بنا غيرنا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

.اهـ.

ولما كان اقتباس المؤلف في هذا الكلام لما سيعيد ذكره في ما بعد رأينا تأجيل ما يحتاج إليه من الشرح إلى الموضع المناسب. ولذا نورد ههنا كلامه برمته...

الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة، والمعصية لهم محرمة، من أطاعهم رشد، ومن عصاهم عند.

ما ورد على إمام المسلمين من أمر اشتبه عليه حتى وقف فيه فبقول العلماء يعمل، وعن رأيهم يصدر.

وما ورد على أمراء المسلمين من حكم لا علم لهم به فبقولهم يعملون، وعن رأيهم يصدرون.

وما أشكل على قضاة المسلمين من حكم فبقول العلماء يحكمون، وعليه يعولون.

فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة.

هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ.

مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا.

[باب ما جاءت به آيات القرآن من فضل العلماء في الدنيا والآخرة]

فإن قال قائل: «ما دل على ما قلت؟» قيل له: الكتاب، ثم السنة.

قوله: ﴿ما دل على ما قلت﴾ هذا أسلوب من المؤلف لإفادة القارئ وتنبيهه لكتابه. وقد دلت السنة على هذا الأسلوب، فقد بوب الحافظ ابن عبد البر على ذلك في **"جامع بيان العلم"** (١/ ٣٩٥)؛ إذ قال: باب طرح العالم مسألة على المتعلم.اهـ.

وذكر رحمه الله تعالى في الباب عدة أحاديث تشهد للمعنى المذكور... ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري (٢٨٥٦)، واللفظ له، والإمام مسلم (٤٨)-(٣٠) من حديث **معاذ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير. فقال: «**يا معاذ! هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا**». فقلت: يا رسول الله! أفلا أبشر به الناس؟ قال: «**لا تبشرهم، فيتكلوا**».

قوله: ﴿الكتاب، ثم السنة﴾ قد قال بنحو هذه العبارة الإمام الشافعي في **"الرسالة"** (٢٥٥): فلا يجوز أن يقال لقول: «فرض» إلا لكتاب الله، ثم سنة رسوله.اهـ.

والأحسن عطف السنة على الكتاب بالواو؛ إذ الأخذ بهما في الأحكام في رتبة واحدة، قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨١].

[رفعة العالم في الدنيا والآخرة]

فإن قال: «فاذكر منه ما إذا سمعه المؤمن سارع في طلب العلم، ورغب في ما رغبه الله عز وجل ورسوله ﷺ» قيل له: أما دليل القرآن فإن الله عز وجل قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَـٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَـٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١].

فوعد الله عز وجل المؤمنين أن يرفعهم، ثم خص العلماء منهم بفضل الدرجات.

وفي معناه ما أخرجه الإمام أبو داود (٤٦٠٥) من حديث **أبي رافع** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**».

وقد صحح الحديث الشيخ مقبل على شرط الشيخين في "**الجامع الصحيح**".

قوله: ﴿**سارع في طلب العلم**﴾ هذا تشويق من المؤلف رحمه الله لقارئ كتابه، يرغبه به في طلب العلم. وهذا كما أفاده الحافظ في "**الفتح**" (١/ ١٨٦)؛ حيث قال:... هو جار على أساليب العرب القديمة؛ فإنهم يبدءون بفضيلة المطلوب للتشويق إليه إذا كانت حقيقته مكشوفة، معلومة.اهـ.

قوله: ﴿**ثم خص العلماء منهم بفضل الدرجات**﴾ قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في "**تفسيره**" (٢٨/ ١٩): وقوله: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ...

ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، يقول تعالى ذكره: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم! بطاعتهم ربهم في ما أمرهم به من التفسح في المجلس إذا قيل لهم: «تفسحوا»، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم: «انشزوا إليها». ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات إذا عملوا بما أمروا به.اهـ.

وهذه الرفعة شاملة للحسية في دار الآخرة -وهي أعظمها- والمعنوية في دار الدنيا، قال الحافظ رحمه الله تعالى في **"الفتح"** (١/ ١٨٦): رفعة الدرجات تدل على الفضل؛ إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات.

ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة.اهـ.

الرفعة في الآخرة:

قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ١٥٤) في سياق بيانه لأوجه فضل العلم وأهله: الوجه التاسع عشر أنه سبحانه أخبر عن رفعة درجات أهل العلم والإيمان خاصة؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد أخبر سبحانه في كتابه برفع الدرجات في أربعة مواضع،

أحدها هذا.

والثاني قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال].

والثالث قوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥].

والرابع قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [النساء].

فهذه أربعة مواضع، في ثلاثة منها الرفعة بالدرجات لأهل الإيمان الذي هو العلم النافع والعمل الصالح، والرابع الرفعة بالجهاد، فعادت رفعة الدرجات كلها إلى العلم والجهاد اللذين بهما قوام الدين.اهـ.

ومن رفعة العالم في الآخرة ما دل عليه ما أخرجه الإمام الترمذي (٢٩١٤) من حديث **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**يقال** -يعني لصاحب القرآن-: **اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها**».

ومن هذا الباب أيضا، رفعة المحدثين ووصولهم إلى نضرة الجنة، فقد أخرج الإمام أبو داود رحمه الله (٣٦٦٠) من حديث **زيد بن ثابت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضر الله امرءا سمع منا حديثا، فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**».

وقد صحح الحديث الشيخ مقبل، وحسن السابق، في **"الجامع الصحيح"**.

قال القاضي الرامهرمزي في **"المحدث الفاصل"** (ص ٧٣-٧٤): قوله: «**نضر الله امرءا**» مخفف، وأكثر المحدثين يقوله بالتثقيل إلا من ضبط منهم، والصواب التخفيف.

ويحتمل معناه وجهين،

أحدهما يكون في معنى ألبسه الله النضرة، وهي الحسن وخلوص اللون، فيكون تقديره «جمله الله، وزينه».

والوجه الثاني أن يكون في معنى أوصله الله إلى نضرة الجنة، وهي نعيمها ونضارتها، قال الله عز وجل: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، وقال: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ [الإنسان: ١١].اهـ المراد.

الرفعة في الدنيا:

قال العلامة أبو هلال الحسن العسكري رحمه الله في **"الحث على طلب العلم"** (٧): فإن كنت أيها الأخ! ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزا لا تثلمه الليالي والأيام، ولا تتحيفه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنفعة بغير سلاح، وعلاءا من غير عشيرة، وأعوانا من غير أجر، وجندا بلا ديوان وفرض، فعليك بالعلم.

فاطلبه في مظانه، تأتك المنافع عفوا، وتلق ما تعتمد منها صفوا، واجتهد في تحصيله ليالي قلائل، ثم تذوق حلاوة الكرامة مدة عمرك، وتمتع بلذة الشرف فيه بقية أيامك، واستبق لنفسك الذكر به بعد وفاتك.اهـ.

وفي هذا الصدد ما نقله الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى في **"جامع بيان العلم"** (١/ ١١٥)؛ حيث قال:... أخذه الشاعر، فقال:

العلم ينهض بالخسيس إلى العلا والجهل يقعد بالفتى المنسوب

.اهـ.

وقد ورد من السنة في هذا المعنى ما أخرجه الإمام مسلم (٢٦٩)-(٨١٧) بسنده إلى عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر

يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى!؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين**».

نيل الرفعة محتاج إلى صبر:

قال الشاعر:

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

قال العلامة العسكري في "**الحث على طلب العلم**" (٤): مثل العلو في المكارم مثل الصعود في الثنايا والقلل، ولا يكون إلا بشق النفس.

ومن ظن أنه ينعم في قصد الذرى والتوقل في الغرفات العلا فقد ظن باطلا، وتوهم محالا. ورتبة الأديب من أعلا الرتب، ودرجة العلم أشرف الدرج، فمن أراد مداولتها بالدعة، وطلب البلوغ إليها بالراحة، كان مخدوعا.اهـ.

استمرار الطالب حتى يبلغ منزلة الربانيين:

قال الإمام الشوكاني في "**أدب الطلب**" (ص ٩٠): وإن من فهم مقدار ما في العلوم من العلو كان عند نفسه أعز قدرا، وأعلا محلا، وأجل رتبة، من الملوك، وإن كان متضايق المعيشة، يركب نعليه، ويلبس طمريه.اهـ المراد.

فمن عرف للعلم قدره وشرفه حقر كل ما بذل، وجد، واجتهد، في المزيد من الخير حتى يبلغ منزلة العالم الرباني.

والعالم الرباني كما قال الخطيب رحمه الله في "**الفقيه والمتفقه**" (١/ ٥١): الذي لا زيادة على فضله لفاضل ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد. وقد دخل في الوصف له بأنه رباني وصفه بالصفات التي يقتضيها العلم لأهله، ويمنع وصفه بما خالفها.

ومعنى «الرباني» في اللغة الرفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه.

وعلى ذلك حملوا قول الله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].اهـ.

السباق إلى الدرجات العلى:

أحببنا ختم هذا الفصل بموعظة جمل بها الخطيب رحمه الله مقدمة كتابه **"اقتضاء العلم"** (ص ١٥-١٦)، تحث من بقي مترددا بعد ما تقدم بيانه في التشمير عن ساعد الجد في طلب العلم والعمل به، قال الخطيب فيها: هل أدرك من أدرك من السلف الماضين الدرجات العلى إلا بإخلاص المعتقد، والعمل الصالح، والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا.

وهل وصل الحكماء إلى السعادة العظمى إلا بالتشمير في السعي، والرضا بالميسور، وبذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم.

وهل جامع كتب العلم إلا كجامع الفضة والذهب، وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجشع عليهما، وهل المغرم بحبها إلا ككانزهما.

وكما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها، وراعى واجباتها.اهـ.

ثم جعل رحمه الله مسك ختام موعظته نصيحة تكتب بماء الذهب؛ فقال: فلينظر امرؤ لنفسه، وليغتنم وقته؛ فإن الثواء قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير، والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمعاد، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة].

[خشية العالم لربه]

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

فأعلم خلقه أنه إنما يخشاه العلماء به.

قوله: ﴿﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾﴾ قد تقدم بيان رفعة الله تبارك وتعالى لعبده بقدر ما له من العلم. ولكن يتعين تقييد هذا العلم، الذي هو سبب لرفعة صاحبه، بكونه الباعث على خشية الله. فيكون العبد كلما يزداد علما يزداد من ربه خشية، فيحثه ذلك على المزيد من التشمير في العمل بعلمه، ويسببه ذلك رفعة الله له في الدنيا والآخرة. قال الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (١/ ٢٦٦): ومقام الخشية جامع لمقام المعرفة بالله والمعرفة بحق عبوديته. فمتى عرف الله، وعرف حقه، اشتدت خشيته له كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. فالعلماء به وبأمره هم أهل خشيته، قال النبي ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية**».اهـ.

وفي هذا الصدد ما قاله الإمام الذهبي رحمه الله تعالى كما في **"العلم"** (ص ٤٥): قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا حرملة، قال: سمعت ابن وهب يقول: نذرت أني كلما اغتبت إنسانا أن أصوم يوما، فأجهدني، فكنت أغتاب، وأصوم. فنويت أني كلما اغتبت إنسانا أن أتصدق بدرهم، فمن حب الدراهم تركت الغيبة.

قلت: هكذا -والله- كان العلماء، وهذا هو ثمرة العلم النافع.اهـ.

ومن هذا الباب أيضا، ما قاله الإمام البخاري في **"تاريخه"** (٤/ ٣٣٦): سمعت أبا عاصم يقول: ما اغتبت أحدا منذ علمت أن الغيبة تضر بأهلها.اهـ، واستفيد الوصول إلى هذا الموضع بواسطة **"تهذيب التهذيب"** (٢/ ٢٢٥).

الفرق بين الخشية والخوف:

قال العلامة الفيروزآبادي رحمه الله تعالى في **"بصائر ذوي التمييز"**: الخشية أخص من الخوف؛ فإن الخشية للعلماء بالله تعالى، فهي خوف مقرون بمعرفة، قال النبي ﷺ: «**إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية**».

فالخوف حركة، والخشية انجماع، وانقباض، وسكون...اهـ بواسطة **"نضرة النعيم"** (٥/ ١٨٣٨-١٨٣٩).

ويزيد لهذا المعنى توضيحا ما قاله الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (٢/ ١٣٧-١٣٨): فإن الذي يرى العدو، والسيل، ونحو ذلك، له حالتان،

إحداهما حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية.اهـ المراد.

دلالة الآية:

للحافظ ابن رجب رسالة خاصة في الكلام على قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وهي ضمن مجموع رسائله.

ومما أفاده رحمه الله تعالى في المصدر المذكور (١/ ٣١٤) ما قال فيه في مطلع هذه الرسالة: دلت هذه الآية

على إثبات الخشية للعلماء بالاتفاق،

وعلى نفيها عن غيرهم على أصح القولين،

وعلى نفي العلم عن غير أهل الخشية.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله تعالى في توجيهه لدلالة الآية على الأول: فإن صيغة «إنما» تقتضي تأكد ثبوت المذكور بالاتفاق؛ لأن خصوصية «إن» إفادة التأكيد.

وأما «ما» فالجمهور على أنها كـ«أنْ».

ثم قال جمهور النحاة: هي الزائدة التي تدخل على «إن»، و«أن»، و«ليت»، و«لعل»، و«كأن»، فتكفها عن العمل.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله تعالى: وذهب بعض الكوفيين وابن درستويه إلى أن «ما» مع هذه الحروف اسم مبهم بمنزلة ضمير الشأن في التفخيم، والإبهام، وفي أن الجملة بعده مفسرة له ومخبر بها عنه.اهـ.

وقال الحافظ ابن رجب (ص ٣١٦) في توجيهه لدلالة الآية على الأمر الثاني: وأما دلالة الآية على الثاني، وهو نفي الخشية عن غير العلماء، فمن صيغة «إنما»، إما على قول الجمهور، وأن «ما» هي الكافة، فنقول: «إذا دخلت «ما» الكافة على «إن» أفادت الحصر»، هذا هو الصحيح.اهـ.

ثم قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى (ص ٣١٨-٣١٩) في بيان إفادة لفظة «إنما» للحصر ودلالتها عليه: ودلالتها عليه معلومة بالاضطرار من لغة العرب كما يعلم من لغتهم بالاضطرار معاني حروف الشرط، والاستفهام، والنفي، والنهي، وغير ذلك. ولهذا تتوارد «إنما» وحروف النفي والاستفهام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧]؛ فإنه كقوله: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٣٩].اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله (ص ٣٢٨) في ختم توجيهه المتقدم: فهذا وجه إفادتها الحصر في هذه الآية على القول المشهور، وهو أن «ما» في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] هي الكافة.

وأما على قول من جعلها موصولة، فيفيد الحصر من جهة أخرى، وهو أنها إذا كانت موصولة فتقدير الكلام «إن الذين يخشون الله هم العلماء».

وهذا أيضا، يفيد الحصر؛ فإن الموصول يقتضي العموم لتعريفه. وإذا كان عاما لزم أن يكون خبره عاما أيضا؛ لئلا يكون الخبر أخص من المبتدإ.

وهذا النوع من الحصر يسمى حصر المبتدإ في الخبر. ومتى كان المبتدأ عاما فلا ريب في إفادته الحصر.اهـ.

ثم قال الحافظ ابن رجب (ص ٣٥٨) في توجيهه للدلالة على الأمر الثالث: وأما بيان أن انتقاء الخشية ينتفي معه العلم؛ فإن العلم له موجب ومقتضى، وهو اتباعه والاهتداء به، وضده الجهل. فإذا انتفت فائدته ومقتضاه صار حاله محاله عند عدمه، وهو الجهل...اهـ.

ثم قال (ص ٣٥٨-٣٥٩): هذا كما يوصف من لا ينتفع به بسمعه، وبصره، وعقله، في معرفة الحق والانقياد له بأنه أصم، أبكم، أعمى، قال تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، ويقال أيضا: إنه لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعقل، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فسلب العلم، والعقل، والسمع، والبصر، وإثبات الجهل، والبكم، والصمم، والعمى، في حق من فقد حقائق هذه الصفات وفوائدها من الكفار والمنافقين، أو من شركهم في بعض ذلك، كله من باب واحد، وهو سلب اسم الشيء، أو مسماه، لانتفاء مقصوده وفائدته، وإن كان موجودا. وهو باب واسع، وأمثلته كثيرة في الكتاب والسنة.اهـ المراد.

[من يؤتى الحكمة]

وقال عز وجل: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

قوله: ﴿﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾﴾ في هذه الآية الكريمة بيان لعظم شأن الحكمة؛ إذ قد وصفها الله عز وجل بكونها خيرا كثيرا.

ويزيد لعظم شأن الحكمة توضيحا مقارنتها مع حقارة الدنيا التي وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]!

فالحكمة إرث عظيم، وكلما عظم نصيب العبد منها كمل قدره. وفي بيان هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في "المدارج" (٣/ ٣٥٢-٣٥٣): والله تعالى أورث الحكمة آدم وبنيه، فالرجل الكامل من له إرث كامل من أبيه، ونصف الرجل كالمرأة له نصف ميراث، والتفاوت في ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى.

وأكمل الخلق في هذا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأكملهم أولو العزم، وأكملهم محمد ﷺ. ولهذا امتن الله سبحانه وتعالى عليه وعلى أمته بما آتاهم من الحكمة كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

فكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة، وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه الإخلال بها. فأكمل الناس أوفرهم منها نصيبا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثا.اهـ.

ولما كان نبينا ﷺ قد ورث أمته العلم، وقد قال الله تعالى فيه في الآية السابقة: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٥١]، كان العلماء أكثر الناس من هذه الحكمة نصيبا؛ إذ هم ورثة النبي ﷺ حقا.

معنى الحكمة:

قال الإمام ابن فارس رحمه الله تعالى في **"المقاييس"** (ص ٢٢١): الحاء، والكاف، والميم، أصل واحد، وهو المنع.

وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم.

وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة، وأحكمتها.

ويقال: «حكمت السفيه، وأحكمته» إذا أخذت على يديه، قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ... إني أخاف عليكم أن أغضبا

.اهـ.

وأما معنى الحكمة في الآية السابقة من سورة البقرة فاختلف فيه كثيرا، قال العلامة أبو حيان في **"البحر المحيط"** (٢/ ٥١٦) بعد سرد أقوال في ذلك: فهذه تسع وعشرون مقالة لأهل العلم في تفسير الحكمة.اهـ.

ويجمع شمل كثير من الأقوال المشار إليها ما أفاد الإمام الطبري رحمه الله تعالى في **"تفسيره"** (٣/ ٨٩)؛ حيث قال: يعني بذلك جل ثناؤه يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده، ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم فقد أوتي خيرا كثيرا.اهـ.

ثم قال رحمه الله تعالى (٣/ ٩١) في بيان الشمول المذكور: إذا كان ذلك معناه كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلا في ما قلنا من ذلك؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها، وعلم، ومعرفة.

وإذا كان ذلك كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره فهما، خاشيا لله، فقيها، عالما. وكانت النبوة من أقسامه؛ لأن الأنبياء مسددون، مفهمون، موفقون لإصابة الصواب في الأمور.اهـ المراد.

وقد قال بالتفسير المذكور إمام المفسرين مجاهد، فقد أخرج ذلك عنه الإمام الطبري رحمه الله في **"تفسيره"** (٣/ ٩٠) بالإسناد الصحيح: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، قال: سمعت مجاهدا قال: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾، قال: الإصابة.اهـ.

وعزا هذا القول إلى الجمهور الإمام ابن القيم رحمه الله في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ١٥٦)؛ فقال: قال ابن قتيبة والجمهور: «الحكمة إصابة الحق والعمل به»، وهي العلم النافع والعمل الصالح.اهـ.

وحري بمن هذه حاله أن يمنعه ما أوتي من الحكمة تعاطيه لما لا يليق به.

وبهذا تتضح المناسبة بين المعنى المتقدم ومعنى الحكمة لغة، قال العلامة ابن فارس في **"المقاييس"** بعد ما تقدم: الحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل.اهـ.

الغبطة على الحكمة:

قال الإمام ابن القيم في **"البدائع"** (٢/ ٧٦٢) أثناء كلامه على الحسد: والحسد الثالث حسد الغبطة، وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به، ولا يعاب صاحبه. بل هذا قريب من المنافسة، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالا، وسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة...**».اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله تعالى في بيان المحرك لذلك: فهذا حسد غبطة، الحامل لصاحبه عليه كبر نفسه، وحب خصال الخير، والتشبه بأهلها، والدخول في جملتهم، وأن يكون من سباقهم، وعليتهم، ومصليهم، لا من فساكلهم. فتحدث له من هذه الهمة المنافسة، والمسابقة، والمسارعة، مع محبته لمن يغبطه، وتمني دوام نعمة الله عليه.اهـ المراد.

من الحكمة الصمت:

من الحكمة الصمت عن فضول الكلام، وأصل ذلك في ما أخرجه الإمام مسلم (٤٧)-(٨٦٩) بسنده إلى أبي وائل، أنه قال: خطبنا **عمار** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأوجز، وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان! لقد أبلغت، وأوجزت، فلو كنت تنفست. فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرا**».

قال الإمام النووي في "**المنهاج**" (٦/ ١٤٢): قوله ﷺ: «**مئنة من فقهه**» بفتح الميم، ثم همزة مكسورة، ثم نون مشددة، أي: علامة.اهـ المراد.

وقد تقدم في معنى الحكمة الإصابة في القول والفعل، ولا يكون ذلك إلا عن فقه. وعلامة الفقه قصر الخطبة المستلزم للصمت عن فضول الكلام.

والصمت عن فضول الكلام مما يتحراه العالم. وإذا أخل بذلك أضر به، ففي "**سؤالات الإمام البرذعي للإمام أبي زرعة**" (ص ٢٦٨-٢٦٩) ما نصه:... ثم قال: من كان عنده علم فلم يصنه، ولم يقبض عليه، والتجأ في نشره إلى الكلام، فما في أيديكما منه شيء.

ثم قال -القائل الإمام أبو زرعة-: الشافعي رحمه الله لا أعلم أنه تكلم في كتبه بشيء من هذا الفضول الذي قد أحدثوه، ولا أرى امتنع عن ذلك إلا ديانة، وصانه الله لما أراد أن ينفذ حكمته.

ثم قال: هؤلاء المتكلمون لا تكونوا منهم بسبيل؛ فإن آخر أمرهم يرجع إلى شيء مكشوف، ينكشفون عنه!

وإنما يتموه أمرهم سنة، أو سنتين، ثم ينكشف. فلا أرى لا أحد -هكذا في ما بين يدي، ومقتضى السياق «لأحد»- أن يناضل عن أحد من هؤلاء؛ فإنهم إن يهتكوا يوما قيل لهذا المناضل: «أنت من أصحابه»، وإن طلبه يوما طلبه هذا به. لا ينبغي لمن يعقل أن يمدح هؤلاء.

ثم قال لي: ترى داود هذا لو اقتصر على ما يقتصر عليه أهل العلم لظننت أنه يكيد أهل البدع بما عنده من البيان والآلة، ولكنه [تعدى].اهـ المراد.

الحكمة مرتبة من مراتب الدعوة:

مما يتفطن له العالم في دعوته إلى الله جل وعلا المرتبة المناسبة في ذلك؛ فإنها تختلف بحسب حال المدعو، وكلما كانت المرتبة أنسب كانت الدعوة أوقع.

وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه المراتب في قوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال الإمام ابن القيم في سياق بيان ذلك في **"الصواعق المرسلة"** (٤/ ١٢٧٦): فذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو؛ فانه إما أن يكون طالبا للحق، راغبا فيه، محبا له، مؤثرا له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال.اهـ المراد.

لاسيما والطريق في طلب العلم محفوفة غالبا بما يحتاج معه الطالب إلى صبر.

فإذا لم يكن العالم داعيا بالحكمة تراكمت على الطالب إلى ما هو فيه المشقة من أسلوب معلمه! ولذا قال الإمام ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (١/ ٢٩٤):... ينبغي للمشايخ الإحسان إليهم، والصبر على ما يكون منهم، واللطف بهم؛ لئلا يتضاعف ألمهم وهمهم، فيضعف الصبر، وتحصل النفرة عن العلم.

واستحباب ذلك من الطلبة أولى بهم، والأدب، والتلطف، وما يعينهم على المقصود، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وفي **"الصحيحين"** من حديث **أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**بشروا، ولا تنفروا، ويسروا، ولا تعسروا**»، وفي **"مسلم"** من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنما بعثتم ميسرين**».

وقد ذكرت قوله عليه السلام لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن: «**بشرا، ولا تنفرا، ويسرا، ولا تعسرا، وتطاوعا، ولا تختلفا**».اهـ.

ومما يستعين به العالم في نشر الدعوة بالحكمة بذل المال، قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ١٠١): الواجب على العاقل مجانبة الخصال التي تورثه استثقال الناس إياه وملازمة الخصال التي تؤديه إلى محبتهم إياه.

ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس، ويستجلب به محبتهم، البذل لهم مما يملك المرء من حطام هذه الدنيا واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله: فمن عدم المال فليبسط وجهه للناس؛ فإن ذلك يقوم مقام بذل المعروف، إذ هو أحد طرفيه.اهـ.

ومن هذا الباب تحسين العالم للكلام مع من يتعلم منه، وقد قال الله جل وعلا: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣]. ومن ذلك ما أخرجه الإمام ابن سعد في **"الطبقات"** (٥/ ٧٠) بالإسناد الحسن: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا أبو

...

[العالم الرباني]

وقال عز وجل: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وقال عز وجل: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ﴾ الآية [المائدة: ٦٣]، يقال: فقهاؤهم وعلماؤهم.

عوانة، عن أبي حمزة، قال: كانوا يسلمون على محمد بن علي: «سلام عليك يا مهدي!». فقال: أجل، أنا مهدي، أهدي إلى الرشد والخير. اسمي اسم نبي الله، وكنيتي كنية نبي الله، فإذا سلم أحدكم فليقل: «سلام عليك يا محمد!»، «السلام عليك يا أبا القاسم!».اهـ.

وممن حاز في دعوته بالحكمة نصيبا وافرا أحد الفقهاء السبعة عروة بن الزبير، فقد أخرج الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٤٠/ ٢٥٦) بالإسناد الصحيح: **أخبرنا** أبو القاسم بن السمرقندي وأبو عبد الله بن البنا، قالا: أنا أبو محمد الصريفيني، أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم بن أحمد المقرئ، نا أبو القاسم البغوي، نا أبو خيثمة، نا سفيان، عن الزهري، قال: كان عروة يتآلف الناس على حديثه.اهـ.

قوله: ﴿يقال: فقهاؤهم وعلماؤهم﴾ قد ورد التفسير المذكور عن الإمام مجاهد، فقد أخرج الإمام سعيد بن منصور في **"سننه"** (٧٦٧)، والإمام الطبري في **"تفسيره"** (٣/ ٣٢٦) و(٦/ ٢٥٠)، والخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٥١)، من طريق سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ ...

وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ [المائدة: ٦٣]، قال: الربانيون هم الفقهاء، العلماء، وهم فوق الأحبار.اهـ.

وإسناد هذا الأثر صحيح.

وتفسير هذه المفردة بما تقدم تفسير ببعض معانيها كما سيتبين في الفصل الآتي.

من هو الرباني؟

قال الإمام الطبري في "تفسيره" (٣/ ٣٢٧) بعد نقله معاني لهذه المفردة: أولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني، وأن الرباني المنسوب إلى الربان الذي يرب الناس، وهو الذي يصلح أمورهم، ويربها، ويقوم بها، ومنه قول علقمة بن عبدة:

وكنت امرءا أفضت إليك ربابتي ... وقبلك ربتني فضعت ربوب

يعني بقوله: «ربتني» ولي أمري والقيام به قبلك من يربه، ويصلحه، فلم يصلحوه، ولكنهم أضاعوني، فضعت. يقال منه: «رب أمري فلان، فهو يربه ربا، وهو رابه». فإذا أريد به المبالغة في مدحه قيل: «هو ربان» كما يقال: «هو نعسان» من قولهم: نعس، ينعس.اهـ المراد.

ثم تكلم رحمه الله على الكلمة من الحيثية الصرفية، ثم جمع في معنى الكلمة عدة أقوال قيلت فيها، ولخصها؛ حيث قال: فالربانيون إذن هم عماد الناس في الفقه، والعلم، وأمور الدين والدنيا. ولذلك قال مجاهد: «وهم فوق الأحبار»؛ لأن الأحبار هم العلماء، والرباني الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم.اهـ.

ومن العلماء الربانيين الإمام الليث بن سعد، قال الإمام الذهبي في "السير" (٨/ ١٤٣): كان الليث رحمه الله فقيه مصر، ومحدثها، ومحتشمها، ورئيسها، ومن ...

[الإمامة في الدين]

وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ -إلى قوله:- ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٤].

قال محمد بن الحسين: وهذا النعت ونحوه في القرآن يدل على فضل العلماء وأن الله عز وجل جعلهم أئمة للخلق يقتدون بهم.

يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر، وقاضيها، وناظرها، من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه ومشورته.اهـ.

ومن إصلاح هذا الإمام للناس ما أخرجه الخطيب في **"تاريخه"** (١٤/ ٥٢٩) بالسند الحسن: أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد السمناني، قال: ثنا عبيد الله بن محمد ابن أحمد المقرئ، قال: ثنا أبو بكر الصولي، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن موسى عبدان، قال: ثنا جعفر بن محمد الرسعني، قال: ثنا عثمان بن صالح، قال: كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد، فحدثهم بفضائل عثمان، فكفوا عن ذلك...اهـ المراد.

قوله: ﴿جعلهم أئمة للخلق يقتدون بهم﴾ قال الإمام ابن فارس رحمه الله تعالى في كتابه **"المقاييس"** (ص ١٤): وأما الهمزة والميم فأصل واحد، يتفرع منه أربع أبواب، وهي الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين. وهذه الأربعة متقاربة.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله (ص ١٦): والإمام كل من اقتدي به، وقدم في الأمور، والنبي ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، والقرآن إمام المسلمين.اهـ المراد.

وفي معناه التفسير الذي أخرجه الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٢٤٨) بسند صحيح: **حدثنا** عبد الوارث، نا قاسم، نا أحمد بن زهير، نا الحكم ابن موسى، نا يحيى بن حمزة، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن مكحول في قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، قال: أئمة في التقوى، يقتدي بنا المتقون.اهـ.

وهذا التفسير هو الذي اختاره الإمام ابن جرير الطبري، ووجهه في **"تفسيره"** (١٩/ ٥٤)؛ حيث قال: وقال: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، ولم يقل: «أئمة»، وقد قالوا: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا﴾، وهم جماعة؛ لأن «الإمام» مصدر، من قول القائل: «أم فلان فلانا إماما» كما يقال: «قام فلان قياما»، و«صام يوم كذا صياما».اهـ المراد.

الإمامة في الدين مفتقرة إلى صبر:

الوصول إلى الإمامة في الدين يتطلب صبرا عظيما، ألا تسمع قول الله تعالى بعد الآية السابق ذكرها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥]!؟

والمراد بالصبر ما أفاده العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في **"المدارج"** (٢/ ٤٢٦-٤٢٧)؛ حيث قال: فالصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.

وهو ثلاثة أنواع،

صبر على طاعة الله.

وصبر عن معصية الله.

وصبر على امتحان الله.اهـ.

والمراد بهذه الأنواع الثلاثة معلوم، لا خفاء فيه. لكن الأخير لما كان في نظري أهم ما تتطلبه الإمامة في الدين رأيت السوق في ما يلي لبعض الأمور التي جرت لبعض الأئمة، وصبروا فيها على المحن، لعلنا نتأسى بهم في مثل ذلك، ونعتبر.

ومن أشهر ذلك الصبر على الجوع، وقصصهم في ذلك كثيرة... ومنها ما قال فيه الإمام ابن أبي حاتم في مقدمة **"الجرح والتعديل"**: سمعت أبي يقول: بقيت بالبصرة في سنة أربع عشرة ومائتين ثمانية أشهر، وكان في نفسي أن أقيم سنة.

فانقطع نفقتي، فجعلت أبيع ثياب بدني شيئا بعد شيء، حتى بقيت بلا نفقة.

ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة، وأسمع منهم إلى المساء. فانصرف رفيقي، ورجعت إلى بيت خال، فجعلت أشرب الماء من الجوع. ثم أصبحت من الغد، وغدا علي رفيقي، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد. فانصرف عني، وانصرفت جائعا...اهـ المراد بواسطة تحقيق نور الدين عطر على **"الرحلة في طلب الحديث"** (ص ١٤٠).

ومن الباب أيضا، الصبر على ما يلقاه الطالب من الأذى من جهات شتى... وهل صار الإمام أحمد ذلك الإمام إلا بعد صبره العجيب على المحنة!؟ وقد نقل الامام ابن مفلح رحمه الله في **"الآداب الشرعية"** (١/ ٢٨٦) عن الإمام ابن الجوزي ما قال فيه: ثم ذكر الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشأنه، وقال: فما شاع له الذكر الجميل جزافا، ولا ترددت الأقدام إلى قبره إلا لمعنى عجيب...

فيا له ثناءا ملأ الآفاق، وجمالا زين الوجود، وعزا نسخ كل ذل.

هذا في العاجل، وثواب الآجل لا يوصف.

وتلمح قبور أكثر العلماء لا تعرف، ولا تزار... ترخصوا، وتأولوا، وخالطوا السلاطين، فذهبت بركة العلم، ومحي الجاه، ووردوا عند الموت حياض الندم.

فيا لها حسرات لا تتلاقى، وخسرانا لا ينجبر، كانت صحبة اللذات كطرفة عين، ولازم الأسف دائما.اهـ.

مما يعين على الصبر وقت المحن:

قال الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (٢/ ٤٤٦-٤٤٧): تهوين البلية بأمرين،

أحدهما أن يعد نعم الله عليه وأياديه عنده.

فإذا عجز عن عدها، وأيس من حصرها، هان عليه ما هو فيه من البلاء، ورآه بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه كقطرة من بحر.

الثاني تذكر سوالف النعم التي أنعم الله بها عليه.اهـ.

ومن الاستعانة بذكر سوالف النعم للصبر على شدة المحن ما أخرجه الإمام ابن عساكر في **"تاريخه"** (٤٠/ ٢٦٤-٢٦٥) بالسند الصحيح: أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني، ثنا أبو محمد الكتاني، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنبأ أبو الميمون، ثنا أبو زرعة، قال: قال ابن أبي عمر، عن ابن عيينة، عن هشام بن عروة، قال: خرج عروة بن الزبير إلى الوليد بن عبد الملك، فخرجت برجله أكلة، فقطعها.

وسقط ابن له عن ظهر بيت، فوقع تحت أرجل الدواب، فقطعته. فأتاه رجل يعزيه، فقال: بأي شيء تعزيني -ولم يدر بابنه-؟ فقال له رجل: ابنك يحيى قطعته الدواب. قال: وأيمك لئن كنت أخذت لقد أعطيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت، وقال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].اهـ.

بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين:

يضاف للصبر لنيل الإمامة في الدين اليقين، ولهذا ذكر المؤلف الآية في سورة السجدة. وفيها قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٢٤٢): فأخبر سبحانه أن بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، وهي أرفع مراتب الصديقين.

[العلماء أولو النهى]

أخبرنا أبو بكر: حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، حدثنا مروان ابن عبد الله الرقي، حدثنا فضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال: العلم والفقه.

واليقين هو كمال العلم وغايته، فبتكميل مرتبة العلم تحصل إمامة الدين. وهي ولاية آلتها العلم، يختص الله بها من يشاء من عباده.اهـ.

قوله: ﴿مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾، قال: العلم والفقه﴾ ضعيف.

أفاد الشيخ إسماعيل الأنصاري في تعليقه على هذا الموضع بما قال فيه: رواه أبو نعيم في ترجمة مجاهد من **"الحلية"** عن الآجري المؤلف بهذا السند.اهـ.

ووقع في سند الأثر في **"الحلية"** (٣/ ٢٩٢) «مروان بن عبيد» بدل «مروان بن عبد الله الرقي»! والصواب نظرا للراوي عن مروان في الإسناد الذي بين أيدينا ما في **"الحلية"**، فقد قال الحافظ في ترجمة مروان بن عبيد من **"اللسان"** (٦/ ٢١): روى عنه عبد الله بن الحسن بن أبي شعيب الحراني.اهـ.

على أنه يمكن التوفيق بين الاختلاف المذكور بجعل عبيد لقب والد مروان هذا، ويكون عبد الله اسمه، والله أعلم.

وأما ما يتعلق بحال مروان بن عبيد فينبئ بضعفه ما قاله الحافظ بعد ما تقدم: وخرج الطبراني في **"الأوسط"** من طريقه غريب الإسناد، وقال: تفرد به...اهـ.

أخبرنا أبو بكر: حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، حدثنا الحسن ابن محمد الزعفراني، حدثنا شبابة، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [يوسف: ٢٢]، قال: الفقه، والعقل، والعلم.

أخبرنا أبو بكر: حدثنا أبو بكر بن أبي داود، حدثنا أسيد بن عاصم، حدثنا الحسين -يعني ابن حفص الأصبهاني-، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، قال: العقل، والفقه، والإصابة في القول في غير نبوة.

أخبرنا أبو بكر: حدثنا أبو بكر بن أبي داود، أخبرنا أبو أمية، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن...

وقد تابعه متابعة تامة خلف بن هشام، وهو ثقة. أخرج هذه المتابعة الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٢٨-٢٩) مع بعض الزيادة في اللفظ.

وقد أخرج الأثر أيضا، الإمام ابن أبي شيبة (٢٤٤٦٧)، والإمام الطبري في **"تفسيره"** (٣/ ٩٠)، والخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٢٩)، من طريق جرير عن ليث به مع بعض الزيادة في اللفظ.

ومدار هذه الطرق على ليث، وهو ابن أبي سليم، وهو ضعيف. وحينئذ فالأثر لا يثبت.

قوله: ﴿مجاهد في قول الله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾، قال: الفقه، والعقل...﴾

صحيح.

أخرجه الامام الطبري في **"تفسيره"** (٢٠/ ٤٣) من طريق أخرى عن ورقاء به، ولفظه «الفقه، والعقل، والعمل قبل النبوة».

مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، قال: الفقه، والعقل، وإصابة القول في غير نبوة.

قوله: ﴿مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، قال: الفقه...﴾

صحيح لغيره.

والرجال في الإسناد الأول للمصنف ثقات كلهم ما عدا الحسين بن حفص الأصبهاني، قال الحافظ في **"التقريب"**: صدوق.اهـ.

وقد توبع، فقد أخرجه الإمام الطبري في **"تفسيره"** (٢١/ ٦٧) من طريق أبي عاصم، ثنا عيسى، ومن طريق الحسن، ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح به.

وبهاتين المتابعتين يرتقي الأثر إلى الصحة لغيره، ولله الحمد والمنة.

وأما الطريق الثانية التي ذكرها المصنف ففيها أبو أمية، ولم يتيسر لي الوقوف على ترجمته.

أكمل الناس عقلا العلماء:

الذي يبدو من مراد المصنف بسوق الآثار المتقدمة بيانه لتمام عقل العلماء. وفي هذا الصدد يقول شيخ الإسلام كما في **"تفسيره"** (١/ ٥٩٩): فصلاح القلب، وحقه، والذي خلق من أجله، هو أن يعقل الأشياء. لا أقول: «أن يعلمها» فقط، فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلا له، بل غافلا عنه، ملغيا له.

والذي يعقل الشيء هو الذي يقيده، ويضبطه، ويعيه، ويثبته، في قلبه. فيكون وقت الحاجة إليه غنيا، فيطابق عمله قوله، وباطنه ظاهره، وذلك هو الذي أوتي الحكمة، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].اهـ.

وأكمل الناس عقلا العلماء، قال الله جل وعلا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

قال الإمام ابن القيم كما في **"تفسيره"** (٢/ ٣٠١): وكان بعض السلف إذا مر بمثل لا يفهمه بكى، ويقول: لست من العالمين.اهـ.

وصح في هذا المعنى ما أخرجه الإمام ابن أبي حاتم: **حدثنا** علي بن الحسين، ثنا أحمد بن عبد الرحمن، ثنا أبي، ثنا ابن سنان، عن عمرو بن مرة، قال: ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني؛ لأني سمعت الله **تعالى** يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ **[العنكبوت: ٤٣]**.اهـ بواسطة **"تفسير ابن كثير"** (٣/ ٥٦١).

ما هو العقل:

قال الإمام ابن حزم **رحمه الله** في **"الفصل"** (٣/ ٢٥١): والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل، واستعمال الفضائل، واجتناب الرذائل، والتزام ما تحسن به المغبة في دار البقاء وعالم الجزاء، وحسن السياسة في ما يلزم المرء في دار الدنيا.اهـ.

محل العقل:

نقل الشيخ الإثيوبي في **"الذخيرة"** (٣٤/ ٩٦) عن الإمام أبي العباس القرطبي قوله: قد أضاف الله **تعالى** العقل إلى القلب كما أضاف السمع إلى الأذن والإبصار إلى العين، فقال **تعالى**: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ **[الحج: ٤٦]**.

وهو رد على من قال من أهل الضلال: «إن العقل في الدماغ»، وهو قول من زل عن الصواب، وزاغ. كيف لا!؟ وقد أخبرنا عن محله خالقه، القدير، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ **[الملك: ١٤]**.اهـ المراد.

[طاعة العلماء في طاعة الله]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوري، أخبرنا يوسف بن موسى، أخبرنا وكيع، أخبرنا علي بن صالح، عن عبد الله بن محمد بن...

تمام الدين دال على تمام العقل:

قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ٣٣): إن محبة المرء المكارم من الأخلاق وكراهته سفسافها هو نفس العقل، فالعقل به يكون الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ولا مال أفضل منه، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله.اهـ.

وإنما يتم ذلك كله بالعلم والعمل، وقد نقل الشيخ الإثيوبي بعد ما سبق عن الإمام القرطبي رحمه الله تعالى أنه قال: إذا فهمت أن الإنسان إنما شرفه الله تعالى على سائر الحيوان بهذا القلب وأن هذا القلب لم يشرف من حيث صورته الشكلية؛ فإنها موجودة لغيره من الحيوانات البهيمية، بل من حيث هو مقر لتلك الخاصية الإلهية، علمت أنه أشرف الأعضاء وأعز الأجزاء، إذ ليس ذلك المعنى موجودا في شيء منها.

ثم إن الجوارح مسخرة له ومطيعة، فما استقر فيه ظهر عليها، وعملت على مقتضاه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وعند هذا انكشف لك معنى قوله ﷺ: **«إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله»**.

ولما ظهر ذلك وجبت العناية بالأمور التي يصلح بها القلب؛ ليتصف بها، وبالأمور التي تفسد القلب؛ ليتجنبها، ومجموع ذلك علوم وأعمال.اهـ المراد.

عقيل، عن جابر بن عبد الله في قول الله عز وجل: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: أولو الفقه والخير.

قوله: ﴿جابر بن عبد الله في قول الله عز وجل: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾...﴾ ضعيف.

أخرج هذا الأثر الإمام ابن أبي شيبة (٣٤٧١٥)، والإمام ابن جرير الطبري في "تفسيره" (٥/ ١٤٨-١٤٩)، والحاكم (٤٢٧)، من طريق وكيع به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح، له شاهد.اهـ المراد.

وليس الأمر كذلك لما سيأتي بيانه قريبا، إن شاء الله.

وفي "تفسير الطبري" الاقتصار على الشطر الأول من التفسير.

بينما أخرجه الحافظ ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١٤١٩) من طريق ابن مهدي، عن الحسن بن صالح، عن عبد الله بن محمد به مقتصرا على الثاني.

ومدار هاتين الطريقين على عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو ضعيف.

وأخرجه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١/ ٢٧) من طريق محمد بن حميد، ثنا إبراهيم بن المختار، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر مقتصرا على أوله.

ولا يصلح الاعتبار بهذه الطريق لشدة ضعف ابن حميد، قال الحافظ الذهبي في "السير" (١١/ ٥٠٣): وهو مع إمامته منكر الحديث، صاحب غرائب.اهـ.

وأفاد رحمه الله (ص ٥٠٤)؛ حيث قال: قال أبو أحمد العسال: سمعت فضلك يقول: دخلت على ابن حميد، وهو يركب الأسانيد على المتون.

قلت: آفته هذا الفعل، وإلا فما أعتقد فيه أنه يضع متنا. وهذا معنى قولهم: فلان سرق الحديث.اهـ.

ثم يضاف إلى ذلك كون ابن جريج وأبي الزبير ممن تضر عنعنته من المدلسين.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني، أخبرنا الحسين ابن الأسود العجلي، أخبرنا يحيى بن آدم، أخبرنا شريك، عن ليث، عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: الفقهاء والعلماء.

قوله: ﴿مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، قال: الفقهاء والعلماء﴾ صحيح لغيره.

قال المعلق رحمه الله في هذا الموضع: رواه أبو نعيم في ترجمة مجاهد من **"الحلية"** عن المؤلف الآجري بهذا السند، وعنده «الحسين بن علي بن الأسود».اهـ.

وابن الأسود هذا ضعيف.

وأخرج الأثر الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٢٧-٢٨) من طريق الأشناني، شيخ المصنف، به بلفظ «أولي العلم والفقه».

وقد وقع في إسناد الخطيب «مندل العنزي» مكان «شريك»!

وتابعهما إسماعيل بن زكريا في **"سنن سعيد بن منصور"** (٦٥٦) وابن إدريس في **"تفسير الطبري"** (٥/ ١٤٩) و**"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٢٧).

والمتابعة قوية، لكن يمنع من تصحيح الأثر ضعف ليث، وهو ابن أبي سليم.

وقد أخرجه الإمام عبد الرزاق بإسناد صحيح في **"تفسيره"** (١/ ١٦٦) ومن طريقه الإمام ابن جرير الطبري في **"تفسيره"** (٥/ ١٤٩) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه.

وللأثر المذكور طرق أخرى في **"سنن سعيد بن منصور"** (٦٥٣)، وفي **"فوائد تمام"** (١٣٣٥)، وفي **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٢٧-٢٨)، تؤيد صحته. وإنما اكتفينا بالإشارة مخافة التطويل.

طاعة العلماء:

وفي ذكر المصنف تفسير أولي الأمر في الآية المذكورة بالفقهاء والعلماء ما يفيد شمولها لديه للصنفين معا.

والأظهر نظرا للسياق اللاحق بالآية والسابق تفسير أولي الأمر فيها بالأمراء، وقد نقلنا تقرير ذلك في غير هذا الموضع.

لكن، وإن كان الأمر كذلك فلا بأس بالاعتبار بالشمول السابق نظرا لعموم لفظ هذه الآية. ولاسيما مع ورود التفسيرين عن الصحابة، قال الإمام ابن القيم رحمه الله في **"أعلام الموقعين"** (١/ ١٤-١٥): فقهاء الإسلام ومن دارت الفتية على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب.

وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال عبد الله بن عباس في إحدى الروايتين عنه، وجابر بن عبد الله، والحسن البصري، وأبو العالية، وعطاء بن أبي رباح، والضحاك، ومجاهد بن جبر في إحدى الروايتين عنه: أولو الأمر هم العلماء.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله تعالى: والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء؛ فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم. فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء.

ولما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم لهم تبعا، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفسادهما، كما قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف: صنفان من الناس إذا صلح صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس. قيل: من هم؟ قال: الملوك والعلماء.

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

.اهـ.

طاعة العلماء في طاعة الله:

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في **"تفسيره"** (٢/ ٢٧٧-٢٧٨): غاية المطاع بإذن الله أن يكون من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم من العلماء، والأمراء، ومن يدخل في ذلك من المشايخ، والملوك، وكل متبوع؛ فإن الله تعالى أمر بطاعتهم مع طاعة رسوله كما قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

فلم يقل: «وأطيعوا أولي الأمر»؛ ليبين أن طاعتهم في ما كان طاعة للرسول أيضا، إذا -كذا في ما بين يدي، ولعل الصواب «إذ»- اندراج طاعة الرسول في طاعة الله أمر معلوم. فلم يكن تكرير لفظ «الطاعة» فيه مؤذنا بالفرق بخلاف ما لو قيل: «أطيعوا الرسول، وأطيعوا أولي الأمر منكم»؛ فإنه قد يوهم طاعة كل منهما على حياله. وقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**»، وقال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**».اهـ المراد.

قال: وحدثنا يحيى بن آدم، أخبرنا الفضل بن مهلهل، عن مغيرة، عن إبراهيم مثله.

المعلم بمنزلة الوالد للمتعلم:

استطرادا على قول الإمام ابن القيم السابق نقله: «طاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء» نذكر ههنا ما يتعلق من ذلك بجهة أخص، وذلك طاعة المتعلم لمعلمه؛ إذ هو بمنزلة الوالد للمتعلم. قال شيخنا ابن دعاس في **"منهجية الطلب"** (ص ١٨٠): قال الفيروزآبادي في **"بصائر ذوي التمييز"** (١/ ٥٢) في شروط التعلم: أن يراعي حق أستاذ التعليم؛ فإنه أب. سئل الإسكندر عن تعظيمه معلمه أكثر من تعظيمه والده، فقال: هذا أخرجني إلى العنا والفناء، ومعلمي دلني على دار الهناء والبقاء.اهـ.

وأصل ذلك ما أخرجه الإمام أبو داود (٨) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم**...» الحديث.

وقد حسن هذا الحديث الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

قوله: ﴿إبراهيم مثله﴾

ضعيف.

وإسناده ضعيف لضعف ابن الأسود وابن مهلهل من جهة، وضعف رواية مغيرة بن مقسم عن إبراهيم النخعي من جهة أخرى.

باب ذكر ما جاءت به السنن والآثار من فضل العلماء في الدنيا والآخرة

قوله: ﴿ما جاءت به السنن والآثار من فضل العلماء﴾ بما سبق ذكره في الباب قبله يكون المصنف قد أتى بالجواب عن شطر من السؤال المطروح في مقدمة كتابه؛ حيث قال: فإن قال قائل: «ما دل على ما قلت؟» قيل له: الكتاب والسنة.

ويشرع رحمه الله في ما يلي بما يتعلق من ذلك بالسنة، وقد رتبه ترتيبا حسنا...

فبدأ ببيان فضل العلماء على العباد بسبب ما حازوه من إرث الأنبياء.

ثم بين ما من الله عليهم حيث فقههم في الدين، فأغاظوا بذلك الشيطان.

ثم ذكر أمنة الناس من الضلال بوجود العلماء، وساق ما ورد من التشبيه لهم بالنجوم التي بها يهتدي الناس في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست تحيروا كما إذا مات العلماء ضل الناس، وعظمت مصيبتهم.

ثم بين من فضل العلماء دعاء الملائكة لهم واستغفار أهل الأرض لهم...

ثم أشار إلى فضل العلماء في حفظ الدين لحفظهم السنن النبوية أثناء رحلتهم في طلب العلم، إضافة لما سهل الله لهم بسبب ذلك من الطريق إلى الجنة...

ثم ذكر ما خص به العلماء على سائر المؤمنين من بقاء آثارهم بعد موتهم.

وإلى غير ذلك مما للعلماء من الفضل...

[فضل العلماء لنيلهم إرث الأنبياء على العباد]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود، أخبرنا أبو طاهر أحمد ابن عمرو المصري، أخبرنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، عن عبد السلام بن سليم، عن يزيد بن سمرة، عن كثير بن قيس، عن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ولفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. إن العلماء ورثة الأنبياء. إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**».

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي، أخبرنا حفص بن عمر، عن عثمان...

قوله: ﴿**أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**ولفضل العالم على...**»﴾

حسن بمجموع طرقه.

أخرجه الإمام البخاري في "**التاريخ الكبير**" (٨/ ٣٣٧)، والمصنف ثانيا في ما سيأتي، والإمام ابن عساكر في "**تاريخه**" (٥٠/ ٥٠)، من طريق بشر بن بكر به.

وقد وقع الحديث في بعض هذه المواضع بسياق أطول.

نقل الحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١/ ١٦٩) عن حمزة الكناني أنه قال في هذه الرواية: وهو حديث حسن، غريب.اهـ.

وليس كذلك لجهالة عين عبد السلام بن سليم ويزيد بن سمرة.

وللحديث طرق نذكرها في الكلام على الطريق الثانية التي أخرجها المصنف.

ابن عطاء، عن أبيه، عن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وإن العلماء لهم ورثة الأنبياء. إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر**».

قوله: ﴿أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فضل...»﴾

حسن بمجموع طرقه.

أخرجه الإمام ابن ماجه (٢٣٩) والمصنف مرة ثانية في ما سيأتي ومن طريقه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ١٧) ومن طريق غيره في **"تاريخه"** (٢/ ٢٨٦-٢٨٧) من طريق عطاء به.

وإسناده منقطع بين عطاء الخراساني وبين أبي الدرداء.

وأخرج الحديث الإمام البخاري في **"تاريخه"** (٨/ ٣٣٧)، والإمام الدارمي (٣٥٣)، والإمام أبو داود (٣٦٤١)، والإمام ابن ماجه (٢٢٣)، والإمام ابن حبان (٨٩)، وغيرهم، من طريق عبد الله بن داود، عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء به.

وهذا الإسناد ضعيف لضعف داود بن جميل وكثير بن قيس.

وأخرج الحديث الإمام أبو داود (٣٦٤٢): **حدثنا** محمد بن الوزير الدمشقي، ثنا الوليد، قال: لقيت شبيب بن شيبة، فحدثني به عن عثمان بن أبي سودة، عن أبي الدرداء بمعناه -يعني عن النبي ﷺ-.

ونبه الحافظ المزي في **"تهذيب الكمال"** (٣/ ٣٦٣) على ما حصل في السند من الخطإ؛ فقال: وقال عمرو بن عثمان الحمصي: «عن الوليد، عن شعيب بن رزيق، عن عثمان بن أبي سودة»، وهو أشبه بالصواب، والله أعلم.اهـ.

ويؤيد التصويب المذكور وقوعه هكذا في نسخة **"سنن أبي داود"** التي شرحها العلامة ابن رسلان؛ إذ قال (١٥/ ٧٠): «قال: لقيت شعيب» ابن رزيق.اهـ.

وقد اختلف في تعيين الوليد هذا بين ابن مسلم وابن مزيد العذري! ولكن لا يضر ذلك صلاحية الاعتبار بهذه الطريق على أقل الأحوال؛ إذ إن كان ابن مزيد فالإسناد حسن من أجل شعيب بن رزيق، وإلا فضعيف لتدليس التسوية من الوليد بن مسلم؛ فإنه لم يصرح بالتحديث بين شيخه وشيخ شيخه.

وبمجموع الطرق المتقدمة يرتقي الحديث إلى الحسن.

فضل العلماء على العباد:

عظم فضل العباد لا يخفى، وقد قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ١٩٠): فالدين قوامه، وزينته، وأمنته، بعلمائه وعباده، فإذا ذهب علماؤه وعباده ذهب الدين، كما أن السماء أمنتها وزينتها بقمرها وكواكبها، فإذا خسف قمرها، وانتثرت كواكبها، أتاها ما توعد.اهـ المراد.

ومع عظم هذا الفضل الذي حازه العباد كان فضل العلماء أعظم، قال النبي ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**».

قال الحافظ ابن رجب في شرح هذا القدر من الحديث كما في **"مجموع رسائله"** (٢/ ٣٠٧): وفي هذا المثل تشبيه للعالم بالقمر ليلة البدر، وهو نهاية كماله وتمام نوره، وتشبيه للعابد بالكواكب، وأن بين العالم والعابد من التفاوت في الفضل ما بين القمر ليلة البدر والكواكب.

والسر في ذلك -والله أعلم- أن الكوكب ضوءه لا يعدو نفسه، وأما القمر ليلة البدر فإن نوره يشرق على أهل الأرض جميعا، فيعمهم نوره، فيستضيئون بنوره، ويهتدون به في سيرهم.اهـ.

ثم قال رحمه الله تعالى: قد قيل: إن القمر إنما يستفيد نوره من ضوء الشمس كما أن العالم نوره مقتبس من نور الرسالة، فلذلك شبه بالقمر، ولم يشبه بالشمس. ولما كان الرسول سراجا منيرا يشرق نوره على الأرض كان العلماء ورثته وخلفاءه مشبهين بالقمر عند تمام نوره وإضاءته.اهـ.

وبهذا تتضح مناسبة قول رسول الله ﷺ: «**إن العلماء لهم ورثة الأنبياء**» بعد التشبيه المذكور. وكأن المصنف تفطن لها، فاقتصر في الحديث على القدر المذكور.

وفي هذا الصدد قال الإمام ابن حبان عقب إخراجه الحديث: في هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذين ذكرنا هم الذين يعلمون علم النبي ﷺ دون غيره من سائر العلوم. ألا تراه يقول: «**العلماء ورثة الأنبياء**»؟ والأنبياء لم يورثوا إلا العلم، وعلم نبينا ﷺ سنته، فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء.اهـ.

منقبة لورثة الأنبياء:

قال الإمام ابن القيم في "**مفتاح دار السعادة**" (١/ ١٩٢-١٩٣): وقوله: «**إن العلماء ورثة الأنبياء**» هذا من أعظم المناقب لأهل العلم؛ فإن الأنبياء خير خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم.

ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته؛ إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده، ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء، كانوا أحق الناس بميراثهم.

وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم؛ فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى الموروث. وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم، فكذلك هو في ميراث النبوة، والله يختص برحمته من يشاء.اهـ.

[فضل الفقه في الدين]

معنى الفقه:

ساق الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٥٣) بالإسناد الحسن: **أخبرنا** أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر، ثنا أبو عمر محمد بن عباس الخزاز، أنا عبيد الله بن عبد الرحمن السكري، عن أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، قال: الفقه في اللغة الفهم، يقال: «فلان لا يفقه قولي»، قال الله **تعالى**: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [**الإسراء: ٤٤**]، أي: لا تفهمونه.

ثم يقال للعلم: «الفقه»؛ لأنه عن الفهم يكون، وللعالم: «فقيه»؛ لأنه إنما يعلم بفهمه، على مذهب العرب في تسمية الشيء بما كان له سببا.اهـ.

والفقه في الشرع ما دل عليه ما أخرجه الإمام أبو داود (٣٦٦٠) من حديث **زيد بن ثابت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضر الله امرءا سمع منا حديثا، فحفظه حتى يبلغه. فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**».

وقد صحح هذا الحديث الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

قال العلامة ابن خير في **"فهرسته"** (١/ ٢٤) بعد إخراجه لحديث ابن مسعود بمعنى الحديث السابق: وفيه بيان أن الفقه هو الاستنباط والاستدراك في معاني

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن بدينا الدقاق، أخبرنا هارون بن عبد الله البزار، أخبرنا يزيد بن هارون، أنبأنا يزيد بن عياض، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين. ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد. ولكل شيء عماد، وعماد الدين الفقه**».

الكلام من طريق التفهم. وفي ضمنه بيان وجوب التفقه، والبحث عن معاني الحديث، واستخراج المكنون من سره.اهـ.

والتفقه من وراء الفقه، أفاده الشيخ بكر أبو زيد في "**حلية طالب العلم**" (ص ١٤٢). وقال الشيخ العثيمين في شرح ذلك: التفقه، يعني طلب الفقه.اهـ.

من هو الفقيه:

قال الشيخ العثيمين بعد ما تقدم: الفقيه هو العالم بأسرار الشريعة، وغاياتها، وحكمها، حتى يستطيع أن يرد الفروع الشاردة في الأصول الموروثة، ويتمكن من تطبيق الأشياء على أصولها.اهـ.

قوله: ﴿أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «ما عبد الله بشيء أفضل...»﴾

موضوع. وورد دون أوله من وجه متروك وشطره المتوسط من وجه ضعيف.

أخرجه الإمام ابن منيع في "**مسنده**" كما في "**المطالب العالية**" مفرقا (٣٠٨٧) و(٣٠٨٨)، والإمام البيهقي في "**شعب الإيمان**" (١٥٨٤)، والخطيب مقتصرا على أوله في "**الفقيه والمتفقه**" (١/ ٢١ و٢٥-٢٦) وكذا في "**تاريخه**" (٣/ ٤٥٢)، والإمام ابن عساكر في "**تاريخه**" (٥١/ ١٨٦)، من طريق يزيد بن عياض به.

قال الحافظ الهيثمي في "**مجمع الزوائد**" (١/ ١٢٠): فيه يزيد بن عياض، وهو كذاب.اهـ.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر بن أبي داود، أخبرنا عمرو بن عثمان، أخبرنا الوليد بن مسلم، عن روح بن جناح، عن مجاهد، عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ، قال: «**فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد**».

وأخرجه دون أوله الإمام ابن عدي في "**كامله**" (٢٤٠٧) ومن طريقه الإمام البيهقي في "**الشعب**" (١٥٨٧) والخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (١/ ٢٥) أيضا.

قال الإمام ابن عدي: لا أعلم رواه عن أبي الزناد غير أبي الربيع.اهـ المراد.

وأبو الربيع هو أشعث بن سعيد، قال الحافظ في "**التقريب**": متروك.اهـ.

قوله: ﴿ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ، قال: «فقيه واحد أشد على...»﴾

ضعيف.

أخرجه الإمام البخاري في "**تاريخه**" (٣/ ٣٠٨) والإمام الترمذي (٢٦٨١) من طريقه، والإمام ابن ماجه (٢٢٢)، والإمام ابن حبان في "**كتاب المجروحين**" (١/ ٣٧٤)، والإمام الطبراني (١١٠٩٩) وفي "**مسند الشاميين**" (١١٠٩) أيضا، والإمام ابن عدي في "**الكامل**" (٦٨٨٣)، والإمام البيهقي في "**شعب الإيمان**" (١٥٨٦)، والخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (١/ ٢٤) من وجوه، والحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١٢١) و(١٢٢)، وغيرهم، من طريق الوليد به.

وقد أنكر الحديث على روح بن جناح، قال الحافظ عقب ذكره في ترجمته من "**التهذيب**" (١/ ٦١٤): قال الساجي: هو حديث منكر.اهـ.

وللحديث شاهد أخرجه الخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (١/ ٢٦) من طريق مسلم بن المغيرة الأزدي، أبو بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر ابن حبيش، عن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الفقيه أشد على الشيطان من ألف ورع، وألف مجتهد، وألف متعبد**».

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا إبراهيم بن الهيثم الناقد، أخبرنا داود بن رشيد، أخبرنا الوليد، عن روح بن جناح، عن مجاهد، قال: بينما نحن وأصحاب ابن عباس حلق في المسجد، طاوس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وابن عباس قائم يصلي إذ وقف علينا رجل، فقال: هل من مفت؟ فقلنا: سل. فقال: إني كلما بلت تبعه الماء الدافق. قال: قلنا: الذي يكون منه الولد؟ قال: نعم. قلنا: عليك الغسل. قال: فولى الرجل، وهو يرجع... قال: وعجل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في صلاته، ثم قال لعكرمة: علي بالرجل. وأقبل علينا، فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل عن كتاب الله؟ قلنا: لا. قال: فعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا. قال: فعن أصحاب رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا. قال: فعمه؟ قلنا: عن رأينا. قال: فقال: فلذلك قال رسول الله ﷺ: «**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**». قال: وجاء الرجل، فأقبل عليه ابن عباس، فقال: أرأيت إذا كان ذلك منك أتجد شهوة في قلبك؟ قال: لا. قال: فهل تجد خدرا في جسدك؟ قال: لا. قال: إنما هذه إبردة، يجزيك منها الوضوء.

ولم أجد لمسلم بن المغيرة ترجمة. ويظهر أنه تصحف، والصواب ما قاله محقق "**مفتاح دار السعادة**": سلم بن مغيرة.اهـ.

قال الخطيب في "**تاريخه**" (١٠/ ٢١١): حدث عن أبي بكر بن عياش.اهـ.

وبهذا يظهر أيضا، سقط صيغة الرواية في الإسناد بين سلم هذا وبين أبي بكر!

وسلم إلى الضعف أقرب، وكأنه مراد الإمام ابن القيم بقوله بعد ذكر الحديث بصيغة التمريض في "**مفتاح دار السعادة**" (١/ ٢٠٠): فيه من لا يحتج به.اهـ.

قوله: ﴿مجاهد، قال: بينما نحن وأصحاب ابن عباس حلق في المسجد، طاوس...﴾ ضعيف.

[إرادة الله لعبده خيرا بتفقيهه:]

قال محمد بن الحسين: كيف لا يكون العلماء كذلك، وقد قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**»؟

أخبرنا أبو بكر: **أخبرنا** أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكشي، أخبرنا سليمان ابن داود الشاذكوني، أخبرنا عبد الواحد بن زياد، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**».

قد تقدم بيان ضعف هذا الحديث في الكلام على روايته المتقدمة.

وأخرج الحديث مع سياق القصة الإمام ابن عساكر في **"تاريخه"** (١٨/ ٢٣٠) والإمام المزي في **"تهذيب الكمال"** (٢/ ٤٩٣) من طريق الوليد به.

ولهذا الحديث مع ضعفه معنى صحيح، قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٢٠١-٢٠٢): وذلك أن الشيطان يضع البدعة، فيبصرها العالم، فينهى عنها. والعابد مقبل على عبادة ربه، لا يتوجه لها، ولا يعرفها!

وهذا معناه صحيح؛ فإن العالم يفسد على الشيطان ما يسعى فيه، ويهدم ما يبنيه. فكلما أراد إحياء بدعة وإماتة سنة حال العالم بينه وبين ذلك. فلا شيء أشد عليه من بقاء العالم بين ظهراني الأمة، ولا شيء أحب إليه من زواله من بين أظهرهم؛ ليتمكن من إفساد الدين وإغواء الأمة. اهـ المراد.

قوله: ﴿أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا...»﴾

ضعيف، والصحيح من حديث معاوية.

أخرجه من طريق المصنف الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٨٢) وكذلك الخطيب من طريقه وطريق غيره في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٢-٣).

وأخرجه الإمام أحمد (٧١٩٤)، والإمام ابن ماجه (٢٢٠)، والإمام البزار (٧٧١٨)، والإمام أبو يعلى (٥٨٥٥)، والإمام الطحاوي في **"شرح المشكل"** (١٦٩١)، والإمام الطبراني في **"الأوسط"** (٥٤٢٤) وفي **"الصغير"** (٨١٠)، والإمام الدارقطني في **"العلل"** (٧٩٦)، والخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٣)، من طريق معمر به.

نقل العلامة السندي في شرحه على **"سنن ابن ماجه"** (١/ ١٤٤) عن الإمام البوصيري أنه قال: وإسناد أبي هريرة ظاهره الصحة، ولكن اختلف فيه على الزهري.اهـ المراد.

قال الإمام الدارقطني رحمه الله تعالى في **"العلل"** (٦/ ١٠٦-١٠٧): فرواه شعيب ابن أبي حمزة، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قاله أبو عبد الرحيم الجوزجاني، عن أبي اليمان، عن شعيب.

وخالف معمر من رواية البصريين عنه، ورواه عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة.

وخالفه يونس بن يزيد، رواه عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن معاوية، وهو الصواب.اهـ.

وإتقان معمر ويونس لرواية الزهري متقارب! وإنما صوب الإمام الدارقطني رواية يونس لما في رواية البصريين عن معمر من الأغاليط، كما أشار إليه في قوله.

وأفاد الإمام الدارقطني كما في **"العلل"** (٤/ ٤٦٥) بمتابعة عبد الوهاب بن أبي بكر ليونس، وعبد الوهاب هذا من ثقات قدماء أصحاب الزهري.

وبهذا تترجح كذلك روايتهما على رواية شعيب السابق ذكرها، وإن كان هو من المتقنين لرواية الزهري أيضا. وأشار إلى هذا الترجيح الإمام النسائي عقب إخراج رواية شعيب في **"الكبرى"** (٦٠١٧) قائلا: خالفه يونس...اهـ المراد.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا الفريابي، أخبرنا أبو مسعود المصيصي، أخبرنا علي بن الحسن بن شقيق، أخبرنا عبد الله بن مبارك، أخبرنا يونس، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، قال: سمعت **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطب، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**».

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، أخبرنا محمد بن زنبور المكي، أخبرنا إسماعيل بن جعفر، أخبرنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**».

وأخرج الحديث الإمام ابن راهويه في "**مسنده**" (٤٣٣) ومن طريقه الإمام الطبراني في "**مسند الشاميين**" (٢٣٦٨): أخبرنا كلثوم بن محمد بن أبي سدرة، ثنا عطاء بن أبي مسلم الخراساني، عن أبي هريرة به مثله.

وهذا الإسناد ضعيف لانقطاعه بين عطاء وأبي هريرة وضعف كلثوم. لاسيما روايته هنا، قال الحافظ في "**اللسان**" (٤/ ٥٨٨): ذكره ابن حبان في "**الثقات**"، وقال: يعتبر حديثه إذا روى عن [غير] عطاء الخراساني.اهـ.

قوله: ﴿**حميد بن عبد الرحمن، قال: سمعت معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يخطب، يقول...**﴾ **متفق عليه**.

أخرجه من طريق المصنف الخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (١/ ٧).

وقد أخرج الحديث الإمام البخاري (٧١)، و(٣١١٦)، و(٧٣١٢)، والإمام مسلم (١٠٠)-(١٠٣٧) من طريق يونس به.

قوله: ﴿**ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**من يرد الله به خيرا...**»﴾ **صحيح**.

أخرجه الإمام أحمد (٢٧٩٠)، والإمام الدارمي (٢٣٣) و(٢٧٣٥)، والإمام الترمذي (٢٦٤٥)، والإمام تمام في **"الفوائد"** (٩٤)، والخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٣)، والإمام البغوي في **"شرح السنة"** (١٣٢)، من طريق إسماعيل ابن جعفر به.

قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن، صحيح.اهـ.

والأليق إطلاقه الصحة، وهو المنقول عنه في **"تحفة الأشراف"** (٤/ ٣٩٥).

إرادة الله بعبده خيرا بتفقيهه في الدين:

قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ١٧٤-١٧٥) بعد ذكر هذا الحديث: وهذا يدل على أن من لم يفقهه في دينه لم يرد به خيرا كما أن من أراد به خيرا فقهه في دينه. ومن فقهه في دينه فقد أراد به خيرا، إذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل.اهـ.

وبنحوه قال الحافظ في **"الفتح"** (١/ ٢١٧)، ثم علل ذلك؛ إذ قال: لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيها ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير.اهـ.

أولى الناس بالفضل الوارد في التفقه في الدين:

أولى الناس بنيل الفضل المذكور في الحديث السابق الذكر أصحاب الحديث لما أخرجه الخطيب رحمه الله تعالى في **"شرف أصحاب الحديث"** (١١٦) بالإسناد الصحيح: قرأت على محمد بن أحمد بن يعقوب، عن محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبيد الله الحافظ، يقول: سمعت محمد بن مسلم بن وارة يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: سمعت عبد الرزاق يقول في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ ...

قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، قال: هم أصحاب الحديث.اهـ.

لم أعثر لشيخ الخطيب على ترجمة، ولكن قد نقل العلامة المعلمي في **"التنكيل"** (١/ ٦٢٠) سندا هو فيها، ثم قال: هذه الحكاية مسندة صحيحة.اهـ.

فقه الرجل على قدر حفظه للحديث:

كلما كثر حفظ الرجل للحديث قوي فقهه، وسدد قوله فيه، قال الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٢/ ٢٨٩): واعلم أن من عنى بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن، ونظر في أقاويل الفقهاء، فجعله عونا له على اجتهاده ومفتاحا لطرائق النظر وتفسير الجمل المحتملة للمعاني، ولم يقلد أحدا منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد إليها على كل حال دون نظر، ولم يرح نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن، وتدبرها، واقتدائهم في البحث، والتفهم، والنظر، وشكر لهم سعيهم في ما أفادوه، ونبهوا عليه، وحمدهم على صوابهم الذي هو أكثر أقوالهم، ولم يبرئهم من الزلل كما لم يبرئوا أنفسهم منه، فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح.اهـ المراد.

وأولى الناس بهذه الأوصاف أصحاب الحديث، نقل الإمام الألباني في **"صفة الصلاة"** (١/ ٢١) عن العلامة أبي الحسنات اللكنوي أنه قال: ومن نظر بنظر الإنصاف، وغاص في بحار الفقه والأصول متجنبا الاعتساف، يعلم علما يقينيا أن أكثر المسائل الفرعية والأصلية التي اختلف العلماء فيها فمذهب المحدثين فيها أقوى من مذاهب غيرهم. وإني كلما أسير في شعب الاختلاف أجد قول المحدثين فيه قريبا من الإنصاف. فلله درهم، وعليه شكرهم -كذا في الأصل-. كيف لا، وهم ورثة النبي ﷺ حقا ونواب شرعه صدقا!؟

حشرنا الله في زمرتهم، وأماتنا على حبهم وسيرهم.اهـ.

اعتناء الطالب بآثار السلف في الفقه:

أخرج الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٥٥/ ٣٢٠) بالإسناد الصحيح: **أخبرنا** أبو الحسن بن قبيس، أنبأنا أبو الحسن بن أبي الحديد، أنبأنا جدي، قال: أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن حماد، أنبأنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن صالح ابن كيسان، قال: كنت أطلب العلم أنا والزهري، قال: تعال نكتب السنن. قال: فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ. ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصحابة. قال: فكتب، ولم أكتب. قال: فأنجح، وضيعت.اهـ.

اعتناء الطالب بأقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سبب النجاح، ومن ذلك التسديد في موافقة الصواب وعدم الشذوذ. نقل الحافظ ابن مغلطاي في **"إصلاح كتاب ابن الصلاح"** (ص ١١٢) عن الخطيب أنه قال: المقاطع هي الموقوفات على التابعين، فيلزم كتبها والنظر فيها؛ ليتخير من أقوالهم، ولا يشذ عن مذاهبهم.اهـ المراد.

وإذا كانت أقوال التابعين بهذه المنزلة فأقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أولى. فيلزم الطالب الاعتناء بها؛ ليستعين بها في تفقهه في الكتاب والسنة تفقها صحيحا، ولا يشذ عنها؛ فإن قوة فقهه على قدر اعتنائه بأقوال السلف.

وفي صدده ما قاله الإمام البرذعي في **"سؤالاته للإمام أبي زرعة"** (١٠٤٨): **حدثني** أبو زرعة عن عبد الله بن الحسن الهسنجاني، قال: كنت بمصر، فرأيت قاضيا لهم في المسجد الجامع، وأنا ممراض، فسمعت القاضي يقول: «مساكين أصحاب الحديث، لا يحسنون الفقه». فحبوت إليه، فقلت: «اختلف أصحاب النبي ﷺ في جراحات الرجال والنساء، فأي شيء قال علي بن أبي طالب، وأي شيء قال زيد بن ثابت، وأي شيء قال عبد الله بن مسعود؟» فأفحم. فقلت له:

[العلماء أمنة من الضلال]

قال محمد بن الحسين: فلما أراد الله تعالى بهم خيرا فقههم في دينه، وعلمهم الكتاب والحكمة، وصاروا سراجا للعباد ومنارا للبلاد.

زعمت أن أصحاب الحديث لا يحسنون الفقه، وأنا [من] أخس أصحاب الحديث، سألتك عن هذه، فلم تحسنها، فكيف تنكر على قوم أنهم لا يحسنون شيئا، وأنت لا تحسنه!؟اهـ.

والهسنجاني صدوق، نقله الحافظ ابن قطلوبغا في **"الثقات"** عن أبي حاتم.

نقل الإمام البيهقي في **"الشعب"** (٣/ ١٨٧) عن العلامة الحليمي أنه قال في سياق كلامه على منهاج طالب العلم على سبيل العموم:... ولن يصح له معاني القرآن إلا بالآثار والسنن، ولا معاني السنن والآثار إلا بأخبار الصحابة، ولا أخبار الصحابة إلا بما جاء عن التابعين؛ فإن علم الدين هكذا أدي إلينا. فمن أراده فليتدرج إليه بدرجه، فيكون قد أتى الأمر من بابه، وقصده من وجهه.

فإذا بلغه الله تعالى رتبة المجتهدين فلينظر في أقاويل المختلفين، وليختر منها ما رآه أرجح وأقوم، وليقس ما يحدث، وينوب، على أشبه الأصول وأولاها به.اهـ المراد.

قوله: ﴿وصاروا سراجا للعباد ومنارا للبلاد﴾ يشرح هذا المعنى ما أخرجه الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١/ ٢١٢) بالإسناد الصحيح: أخبرني عبد الرحمن بن يحيى، نا علي بن محمد، نا أحمد بن داود، نا سحنون بن سعيد، نا ابن ...

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، أخبرنا الهيثم بن خارجة، أخبرنا رشدين بن سعد، عن عبد الله بن الوليد التجيبي، عن أبي حفص حدثه، أنه سمع أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال النبي ﷺ: «**إن مثل العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم يوشك أن تضل الهداة**».

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زهير بن محمد، أخبرنا الحسن بن موسى، أخبرنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، أن أبا الدرداء قال: مثل العلماء في الناس كمثل النجوم في السماء يهتدى بها.

وهب -فذكر الإسناد وخبرا، ثم قال:- وقال ابن وهب: وحدثني عبد الرحمن ابن شريح، قال: سمعت عبيد الله بن أبي جعفر يقول: العلماء منار البلاد، منهم يقتبس النور الذي يهتدى به.اهـ.

قوله: ﴿أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال النبي ﷺ: «إن مثل العلماء في...»﴾

ضعيف.

أخرجه الخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (٢/ ٧٠) من طريق المصنف.

وأخرجه الإمام أحمد (١٢٦٠٠) من طريق هيثم بن خارجة به.

في إسناده أبو حفص، وهو مجهول العين؛ إذ لم يوثق، ولا روى عنه إلا واحد، كما يفيده قول الحافظ في "**تعجيل المنفعة**" (٢/ ٤٣٧). ثم ذكر رحمه الله الحديث، وعقبه بالتصريح بضعف رشدين.

قوله: ﴿أبا الدرداء قال: مثل العلماء في الناس كمثل النجوم في السماء يهتدى بها﴾

ضعيف.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر أيضا، أخبرنا زهير بن محمد، أنبأنا يعلى بن عبيد، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عمه موسى بن يسار، قال: بلغنا أن سلمان الفارسي كتب إلى أبي الدرداء أن العلم كالينابيع يغشى الناس، فيختلجه هذا وهذا، فينفع الله به غير واحد، وإن حكمة لا يتكلم بها كجسد لا روح فيه، وإن علما لا يخرج ككنز لا ينفق. وإنما مثل المعلم كمثل رجل عمل سراجا في طريق مظلم، يستضيئ به من مر به، وكل يدعو إلى الخير.

الرجال في السند ثقات، لكنه منقطع، قال الإمام ابن أبي حاتم في **"المراسيل"** (١٤٨): قال أبو زرعة: الحسن عن أبي الدرداء مرسل.اهـ.

وقد سمي شيخ المصنف في مصادر ترجمته عبد الله بن محمد بن عبد الحميد، فيحتمل أن يكون نسب فيها أبوه إلى جده. ويحتمل أن يكون «ابن عبد الله» في السند بين أيدينا زيادة مقحمة، والله أعلم.

قوله: ﴿سلمان الفارسي كتب إلى أبي الدرداء أن العلم كالينابيع يغشى الناس...﴾ ضعيف.

أخرج هذا الأثر الإمام ابن أبي شيبة (٣٧٣٩٣) والإمام الدارمي (٥٧٤) من طريق محمد بن إسحاق به.

والرجال في السند ثقات ما عدا ابن إسحاق؛ فإنه صدوق. وأما تدليسه فأمن منه لتصريحه بالتحديث عند ابن أبي شيبة، لكن يمنع من تحسين الأثر إبهام من حدث به موسى بن يسار.

وقد أخرجه الإمام البيهقي في **"شعب الإيمان"** (١٦١٩) ومن طريقه الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٢١/ ٤٤٦) من طريق عدي بن الفضل، عن حبيب الأعور، عن أبي رجاء، عن سلمان نحوه ضمن سياق أطول دون أوله.

ولم أهتد لمعرفة عين أبي رجاء! وعدي بن الفضل يحتمل أن يكون التيمي المتروك، أو سميه الثقة...

وجه تشبيه العلماء بالنجوم:

مما صح في هذا المعنى ما أخرجه الإمام ابن أبي شيبة (٣٧٩١١): حدثنا عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، عن كتاب أبي قلابة، قال: مثل العلماء مثل النجوم التي يهتدى بها والأعلام التي يقتدى بها، إذا تغيبت عنهم تحيروا، وإذا تركوها ضلوا.اهـ.

والمراد برواية أيوب عن كتاب أبي قلابة وصيته له بكتبه، كما أخرجه الخطيب في **"الكفاية"** (ص ٣٧٨) بالسند الصحيح، والوصية من طرق التحمل المعتبرة.

أفاد الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى كما في **"مجموع رسائله"** (٢/ ٢٨٦-٢٨٧) بيان وجه تشبيه العلماء بالنجوم؛ حيث قال:... وهذا مثل في غاية المطابقة؛ لأن طريق التوحيد والعلم بالله تعالى، وأحكامه، وثوابه، وعقابه، لا يدرك بالحس. إنما يعرف بالدليل، وقد بين ذلك كله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

فالعلماء بما أنزل الله على رسوله ﷺ هم الأدلاء الذين يهتدى بهم في ظلمات الجهل، والشبه، والضلال، فإذا فقدوا ضل السالك.

وقد شبه العلماء بالنجوم، والنجوم في السماء فيها ثلاث فوائد،

يهتدى بها في الظلمات.

وهي زينة للسماء.

ورجوم للشياطين الذين يسترقون السمع منها.

والعلماء في الأرض تجتمع فيهم هذه الأوصاف الثلاثة،

بهم يهتدى في الظلمات.

وهـم زينة للأرض.

وهـم رجوم للشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل، ويدخلون في الدين ما ليس منه من أهل الأهواء.اهـ.

قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ١٩٢) في الوصف الثالث: وكذلك العلماء رجوم لشياطين الإنس والجن الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. فالعلماء رجوم لهذا الصنف من الشياطين، ولولا هم لطمست معالم الدين بتلبيس المضلين. ولكن الله سبحانه أقامهم حراسا وحفظة لدينه ورجوما لأعدائه وأعداء رسله.اهـ.

ويدل على عظم أمر هذا الوصف أيضا، كونه موجبا لفضل المتصف به. ومن ذلك قول الإمام ابن حبان عن الإمام زكريا بن يحيى اللؤلؤي: كان صاحب سنة وفضل، ممن يرد على أهل البدع.اهـ بواسطة **"تهذيب التهذيب"** (١/ ٦٣٣).

ومما يبين عظم أمر الردود على أهل الأهواء كونها نصف العلم، أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في **"التاريخ الكبير"** (٢/ ٢٨) بالسند الصحيح: **وقال لي** نصر ابن علي، أنا نوح بن قيس، عن خالد بن قيس، عن قتادة، لما مات أنس بن مالك قال مورق: ذهب اليوم نصف العلم! قيل: كيف ذاك يا أبا المعتمر!؟ قال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا: تعال إلى من سمعه من النبي ﷺ.اهـ.

أهمية الردود على أهل الأهواء لطالب العلم:

في قول الإمام مورق العجلي ما يدلك أيها الطالب! على أهمية الردود على أهل الأهواء؛ فإنه الوسيلة لطرد ما يحاول أهل الأهواء إدخاله في الدين، وليس منه بسبيل.

ومن أحسن ما اطلعت عليه في توجيه كون الردود على أهل الأهواء نصف العلم ما أفاده الشيخ مقبل رحمه الله تعالى في **"نصائح وفضائح"** (ص ١١١-١١٢) حين سئل عن البعض ممن ينتسب إلى السلفية ممن يشتغل بالنقد والتحذير من الفرق، ويهمل طلب العلم، وآخر اهتم بالعلم، وترك التحذير...، فقال: هؤلاء الذين يشتغلون بالنقد والتحذير يعتبرون مفرطين في طلب العلم ومفرطين في شأن النقد.

فعلماؤنا... إذا نظرت إلى ترجمة ابن أبي حاتم وجدته حافظا كبيرا، بل لقب بشيخ الإسلام، وهكذا الإمام البخاري، والإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، ويحيى بن سعيد القطان، وأبو حاتم، وأبو زرعة، والدارقطني، وابن حبان، والحاكم، فقد أخرجوا المؤلفات النافعة في التفسير وعلم الحديث. وألفوا الكتب النافعة، وحفظوا لنا سنة رسول الله ﷺ، وأخرجوا الكتب النافعة في الجرح والتعديل.

فلابد من الجمع بين هذا وهذا، وإلا كان الشخص ناقصا، ومفرطا.

وأنا أسألك بأي ميزان تزن الناس إذا كنت جاهلا بالعلم النافع؛ أتزنهم بالهوى، أم بما قال لك الشيخ فلان، فإذا تراجع الشيخ فلان تراجعت، وإذا حمل على طائفة حملت!؟ فلابد من الجمع بين هذا وهذا.

والطرف الآخر الذين يهتمون بالعلم، ولا يرفعون رأسا إلى التعديل، فهذا الطرف في نظري أحسن من الطرف الأول؛ لأن الطرف الأول يتصدى لما ليس من شأنه أن يتصدى له. لكن هذا الطرف هدم جانبا مهما.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله تعالى (ص ١١٤) بعد ذكر أدلة عديدة من الكتاب والسنة المبينة لمشروعية الجرح والتعديل:... والذي يزهد في الجرح والتعديل فهو يزهد في السنة...اهـ المرد.

[الاستعانة بالعلماء في الطريق إلى الله:]

قال محمد بن الحسين: فما ظنكم رحمكم الله بطريق فيه آفات كثيرة، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فإن لم يكن فيه ضياء، وإلا تحيروا. فقيض الله لهم فيه مصابيح تضيئ لهم، فسلكوه على السلامة والعافية.

ثم جاءت طبقات من الناس لابد لهم من السلوك فيه، فسلكوا،...

قوله: ﴿فقيض الله لهم فيه مصابيح تضيئ لهم، فسلكوه على السلامة والعافية﴾ كأن مراد المصنف بهؤلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكبار التابعين، فقد قال الإمام الذهبي في **"تذكرة الحفاظ"** (١/ ٥٦) بعد ذكر جملة من أعيان هاتين الطبقتين: وقد كان في هذا القرن الفاضل خلق عظيم من أهل العلم، وأئمة الاجتهاد، وأبطال الجهاد، في أقطار البلاد، وسادة عباد، أبدال، أو أوتاد. ولعل في من تركناهم من هو أجل وأعلم...

وكان الإسلام ظاهرا، عاليا، قد طبق الأرض...اهـ المراد.

قوله: ﴿ثم جاءت طبقات من الناس لابد لهم من السلوك فيه، فسلكوا﴾ ما قيد هنا المصنف هذا السلوك بالسلامة والعافية كما قيده في سلوك من تقدم! والسبب في ذلك في ما يبدو ما حصل في هذه الطبقات من انفتاح الشر واستمراره على مضي الزمان. قال الإمام الذهبي في **"تذكرة الحفاظ"** (١/ ١١٩-١٢٠) بعد ذكر جملة من حوادث سنوات الثلاثين ومائة: في هذا الزمان ظهر بالبصرة عمرو بن عبيد العابد وواصل بن عطاء الغزال، ودعوا الناس إلى الاعتزال والقول بالقدر. وظهر بخراسان الجهم بن صفوان، ودعا إلى تعطيل الرب عز وجل وخلق القرآن. وظهر بخراسان في قبالته مقاتل بن سليمان المفسر، وبالغ في إثبات الصفات حتى جسم.اهـ.

ولكن لم يزل الخير آنذاك ظاهرا والعلماء كثيرين، فأرشدوا الناس، وبصروهم بهذه الشرور، وحذروهم منها، فسلم من وفقه الله سبحانه وتعالى. ولذلك قال الإمام الذهبي عقب ما تقدم: وقام على هؤلاء علماء التابعين وأئمة السلف، وحذروا من بدعهم.اهـ المراد.

فكبتت البدع على ما قد يتبقى من شظاياها هنا وهناك. ومع هذا فالخير أعم، واستمر إلى رأس المائتين، قال الإمام الذهبي في **"التذكرة"** (١/ ٢٤٠):... على رأس المائتين نجم التشيع، وأبدى صفحته. وبزغ فجر الكلام، وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب.

ونشأ للناس علم جديد، مرد، مهلك، لا يلائم علم النبوة، ولا يوافق توحيد المؤمنين، قد كانت الأمة منه في عافية.

وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة. وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن، ودعاهم إليه، فامتحن العلماء، فلا حول ولا قوة إلا بالله.اهـ.

ولم يزل الشر حاصلا، يضعف تارة، ويقوى أخرى، قال الحافظ الذهبي في **"التذكرة"** (٤/ ١٨٤): وقد قل من يعتني بالآثار ومعرفتها في هذا الوقت في مشارق الأرض ومغاربها على رأس السبعمائة.

أما المشرق وأقاليمه فغلق الباب، وانقطع الخطاب، والله المستعان.

وأما المغرب وما بقي من جزيرة الأندلس فينذر من يعتني بالرواية كما ينبغي فضلا عن الدراية.اهـ.

ولكن مع هذا لم تزل بقية من العلماء على مضي الزمان، وإن قلوا، قال الحافظ الذهبي في **"السير"** (٧/ ٢٥٠): ويمكن أن نذكر في كل طبقة بعد ذلك أئمة على هذا النمط إلى زماننا، فرأس المحدثين اليوم أبو الحجاج القضاعي، المزي...اهـ المراد، والوصول إلى هذا الموضع مستفاد من **"العلم"** (ص ٢١) للعربي.

فبينما هم كذلك إذ طفئت المصابيح، فبقوا في الظلمة، فما ظنكم بهم؟

هكذا العلماء في الناس، لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض، ولا كيف اجتناب المحارم، ولا كيف يعبد الله في جميع ما يعبده به خلقه إلا ببقاء العلماء.

ولا يزال الخير واقعا في الأمة إلى قرب قيام الساعة مصداقا لما أخرجه الإمام البخاري (٧١) والإمام مسلم (١٧٤)-(١٠٣٧) من حديث **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم -أو خالفهم- حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس**».

قوله: ﴿لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض﴾ إن ذهاب العلم على مراحل، وفي كلام المصنف إشارة إلى أولها، وهي ذهاب العمل.

أخرج الإمام أحمد رحمه الله (٢٣٩٩٠) من حديث جبير بن نفير عن **عوف بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، فنظر في السماء، ثم قال: «**هذا أوان العلم أن يرفع**». فقال له رجل من الأنصار يقال له: «زياد بن لبيد»: أيرفع العلم يا رسول الله! وفينا كتاب الله، وقد علمناه أبناءنا ونساءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن كنت لأظنك من أفقه أهل المدينة**». ثم ذكر ضلالة أهل الكتابين، وعندهما ما عندهما من كتاب الله عز وجل.

فلقي جبير بن نفير شداد بن أوس بالمصلى، فحدثه هذا الحديث عن عوف بن مالك، فقال: صدق عوف. ثم قال: وهل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت: لا أدري. قال: ذهاب أوعيته. قال: وهل تدري أي العلم أول أن يرفع؟ قال: قلت: لا أدري. قال: الخشوع، حتى لا تكاد ترى خاشعا.

وقد صحح هذا الحديث الشيخ مقبل في "**الجامع الصحيح**".

فإذا مات العلماء تحير الناس، ودرس العلم بموتهم، وظهر الجهل،...

قال الحافظ ابن رجب كما في **"مجموع رسائله"** (٢/ ٢٨٨) بعد ذكر روايات لهذا الحديث: في هذه الأحاديث أن ذهاب العلم بذهاب العمل، وأن الصحابة فسروا ذلك بذهاب علم الباطن من القلوب، وهو الخشوع.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى بعد ذلك: في **"صحيح مسلم"** عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إن أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب، فرسخ فيه، نفع.

فالعلم النافع هو ما باشر القلب، فأوقر فيه معرفة الله تعالى وعظمته، وخشيته وإجلاله، وتعظيمه ومحبته... ومتى سكنت هذه الأشياء في القلب خشع، فخشعت الجوارح كلها تبعا لخشوعه.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله (ص ٢٩٠): أما العلم الذي على اللسان فهو حجة الله على ابن آدم، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والقرآن حجة لك، أو عليك**».

فإذا ذهب من الناس العلم الباطن بقي الظاهر على الألسنة حجة.اهـ المراد.

قوله: ﴿**فإذا مات العلماء تحير الناس**﴾ هذه المرحلة الثانية من ذهاب العلم، وفيها قال الحافظ ابن رجب عقب ما تقدم نقله: ثم يذهب هذا العلم الذي هو حجة بذهاب حملته، ولا يبقى من الدين إلا اسمه، فيبقى القرآن في المصاحف.اهـ المراد.

قوله: ﴿**ودرس العلم بموتهم، وظهر الجهل**﴾ هذه آخر مرحلة ذهاب العلم، وفيها قال الحافظ ابن رجب عقب ما تقدم: ثم يسرى به في آخر الزمان، فلا يبقى منه في المصاحف ولا في القلوب شيء.اهـ.

وفي هذا المعنى ما أخرجه الإمام ابن ماجه رحمه الله (٤٠٤٩) من حديث **حذيفة ابن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي**

...

فإنا لله، وإنا إليه راجعون! مصيبة ما أعظمها على المسلمين!!

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زهير، أخبرنا سعيد بن سليمان، أخبرنا عطاء بن محمد الحراني، عن بعض أصحابه، قال: قال كعب: عليكم بالعلم قبل أن يذهب؛ فإن ذهاب العلم موت أهله. موت العالم نجم طمس، موت العالم كسر لا يجبر وثلمة لا تسد. بأبي وأمي العلماء -قال: أحسبه قال:- قبلتي إذا لقيتهم وضالتي إذا لم ألقهم، لا خير في الناس إلا بهم.

الثوب حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية. وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها».

وقد صحح هذا الحديث الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

قوله: ﴿مصيبة ما أعظمها على المسلمين﴾ قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ١٩٧): لما كان صلاح الوجود بالعلماء -ولولا هم من الناس كالبهائم، بل أسوأ حالا- كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له.

وأيضا، فإن العلماء هم الذين يسوسون العباد، والبلاد، والممالك، فموتهم فساد لنظام العالم، ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالفا عن سالف، يحفظ بهم دينه، وكتابه، وعباده.اهـ.

قوله: ﴿كعب: عليكم بالعلم قبل أن يذهب؛ فإن ذهاب العلم موت أهله...﴾ ضعيف.

سنده ضعيف لإبهام الراوي عن كعب. على أنني لم أجد ترجمة لعطاء الحراني.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو أحمد هارون بن يوسف التاجر، أخبرنا ابن أبي عمر -يعني محمدا العدني-، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن **عبد الله بن عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعا. إنما يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا**».

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر بن أبي داود، أخبرنا أحمد بن صالح، أخبرنا عنبسة، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أخبرنا عروة بن الزبير، عن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينزع العلم من الناس بعد أن يؤتيهم إياه، ولكنه يذهب بالعلماء، فكلما ذهب بعالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم، فيضلون**».

قوله: ﴿**عبد الله بن عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **يقول: سمعت رسول الله...**﴾ **متفق عليه**.

أخرجه الإمام البخاري (١٠٠) و(٧٣٠٧)، وأخرجه الإمام مسلم (٢٦٧٣) عن شيوخ كثيرين، ومن بينهم ابن أبي عمر.

قوله: ﴿**عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **أنها قالت: قال رسول الله** ﷺ: «**إن الله لا ينزع...**»﴾ **غير محفوظ من حديث عائشة**.

سئل الإمام الدارقطني كما في "**العلل**" (١٠/ ٤٧٠) عن هذا الحديث، فذكر رواية يونس المذكورة، ثم رواية حديث عائشة مقرونا بعبد الله بن عمرو.

وسئل رحمه الله كما في "**العلل**" (٦/ ١٠٨) عن حديث أبي هريرة في معناه، فقال في آخر كلامه: ورواه يونس، عن الزهري، عن عروة مرسلا.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو أحمد هارون بن يوسف، أخبرنا ابن أبي عمر، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: سمعت ابن مسعود يقول: هل تدرون كيف ينقص الإسلام؟ قالوا: كيف؟ قال: كما ينقص الدابة سمنها، وكما ينقص الثوب عن طول اللبس، وكما ينقص الدرهم عن طول الخبث، وقد يكون في القبيلة عالمان، فيموت أحدهما، فيذهب نصف علمهم، ويموت الآخر، فيذهب علمهم كله.

وحديث معمر ويونس محفوظان.اهـ.

ويدل ظاهر كلامه على عدم حفظ حديث عائشة من رواية يونس. ويدل على ذلك أيضا، ما أخرجه الإمام مسلم (١٤)-(٢٦٧٣) بإسناده إلى عروة أنه قال: فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك، وأنكرته، قالت: أحدثك أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا؟اهـ المراد.

قال الحافظ في **"الفتح"** (١٣/ ٣٤٩) عن هذه الرواية: ظاهرة في أنه لم يكن عندها من الحديث علم.اهـ المراد.

ودل ما تقدم أيضا، على عدم حفظ طريق حديثها التي أخرجها الخطيب في **"تاريخه"** (٣/ ٢٥٢) من طريق أخرى غير طريق يونس.

على ما في الإسناد من الضعفاء، ومجهولي العين، ومن لم أعثر له على ترجمة.

قوله: ﴿أبي وائل، قال: سمعت ابن مسعود يقول: هل تدرون كيف ينقص...﴾

صحيح.

أخرجه الإمام العدني في **"الإيمان"** (٦٣) عن أبي أحمد هارون بن يوسف به.

وأخرجه الإمام محمد بن وضاح في **"البدع"** (٢٠١) من طريق الأعمش به بمعناه دون آخره.

[العلم حياة القلوب]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشكلي، قال: قال علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كلام الحكيم حياة القلوب ... كوابل السماء غياث الأمم
فنطق الحكيم جلاء الظلام ... وصمت الحكيم دعاء الحكم
حياة الحكيم جلاء القلوب ... كضوء النهار يجلي الظلم

والرجال في الإسناد ثقات، وتدليس الأعمش مغتفر، فيكون الأثر صحيحا.

وقد تابع عاصم الأعمش عند الإمام الطبراني (٨٩٩١) والخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٣٧) بمعناه، لكن قال: «وأكثر من ذلك موت، أو ذهاب، العلماء» بدل قوله: «وقد يكون في القبيلة... إلخ».

قال الحافظ الهيثمي في **"المجمع"** (١/ ٢٠١): ورجاله موثقون.اهـ.

وفي الباب ما أخرجه الإمام البخاري في **"تاريخه"** (٣/ ٣٨١) بسند صحيح: حدثنا موسى، قال: ثنا حماد، قال: أنا عمار بن أبي عمار، لما مات زيد بن ثابت جلسنا إلى ابن عباس في ظل، فقال: هذا ذهاب العلماء، دفن اليوم علم كثير.اهـ.

قوله: ﴿علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كلام الحكيم حياة القلوب كوابل السماء...﴾ معضل.

لم أعثر على هذه الأبيات عند غير المصنف، والإسناد إليها معضل؛ فإن ما بين وفاة علي وبين وفاة الشكلي ما يقارب ثلاثة قرون إلا ربع قرن.

قال محمد بن الحسين: وروي عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والزين عند الأخلاء، والقرب عند الغرباء. يرفع الله به أقواما، فيجعلهم في الخلق قادة يقتدى بهم وأئمة في الخلق تقتص آثارهم، وينتهى إلى رأيهم. وترغب الملائكة في حبهم، بأجنحتها تمسحهم، حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها؛ لأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف.

يبلغ به العبد منازل الأحرار، ومجالسة الملوك، والدراجات العلى في الدنيا والآخرة. والفكر به يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام، به يطاع الله عز وجل، وبه يعبد الله عز وجل، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء.

وقد ورد في معنى البيت الأول كلاما لغير علي بن أبي طالب، وفي ذلك مادة تأمل في ثبوت هذه الأبيات إليه، والله أعلم. قال الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (٤/ ١٣٣): قد ذكر الإمام أحمد في كتاب **"الزهد"** من كلام لقمان أنه قال لابنه: يا بني! جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك؛ فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل القطر.اهـ.

قوله: ﴿معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله خشية...﴾

موضوع نظرا للطريق المطلع عليها، وله أخرى عسى أن يكون ثابتا بها.

وصله الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في **"جامع بيان العلم"** (٢٦٩) من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم، يحدث عن رجاء بن حيوة، عن معاذ بن جبل به.

ونوح هذا قال الحافظ في **"التقريب"**: كذبوه في الحديث.اهـ.

ويضاف إلى ما تقدم ما في الإسناد من الانقطاع، قال الحافظ المزي رحمه الله تعالى في **"تهذيب الكمال"** (٢/ ٤٧٥) في سرد شيوخ رجاء بن حيوة: ومعاذ بن جبل، ولم يدركه.اهـ.

وقد قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٣٤١): رواه الخطيب، وأبو نعيم، وغيرهما.اهـ المراد.

فأما الحافظ أبو نعيم فوصله في **"الحلية"** (١/ ٢٣٨-٢٣٩) من الوجه المتقدم، ولكن مع ذكر مبهم بين نوح ورجاء!

وأما الخطيب فلم أطلع على إخراجه له موقوفا.

وأما غيرهما فقد عزاه الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (٤/ ١٣٤) إلى الطبراني، وعزي في **"كنز العمال"** (١٠/ ١٠٣) إلى ابن لال وابن جرير في **"تهذيب الآثار"**.

قال الحافظ ابن عبد البر قبل إخراجه: ورويناه من طرق شتى موقوفا.اهـ.

والله أعلم بحال هذه الطرق، وعسى أن تعتضد بعضها ببعض لما قاله شيخ الإسلام في **"درء تعارض العقل والنقل"** (٩/ ٢١): وهذا الكلام معروف عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رووه عنه بالأسانيد المعروفة.اهـ المراد.

ولما قاله أيضا، الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (٤/ ١٣٤): وقد روي مرفوعا إلى النبي ﷺ، والوقف أصح.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٣٤٢): هذا الأثر معروف عن معاذ. ورواه أبو نعيم في **"المعجم"** من حديث معاذ مرفوعا إلى النبي ﷺ، ولا يثبت، وحسبه أن يصل إلى معاذ.اهـ.

العلم نور يحيى به القلب:

قال شيخ الإسلام رحمه الله في **"درء تعارض العقل والنقل"** (٩/ ٢١) عن الأثر المتقدم: هو كلام حسن.اهـ.

وجمع معاني كثيرة تقدم الكلام على بعضها، ويأتي الكلام على البعض الآخر.

والشاهد منه ههنا كون العلم حياة القلوب، ويشرح معناه ما قاله الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (٤/ ١٣١-١٣٣) في كلامه على المرتبة الخامسة من مراتب الحياة: وهي حياة العلم من موت الجهل؛ فإن الجهل موت لأصحابه كما قيل:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... فليس لهم حتى النشور نشور

فإن الجاهل ميت القلب والروح، وإن كان حي البدن، فجسده قبر يمشي به على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وشبههم في موت قلوبهم بأهل القبور؛ فإنهم قد ماتت أرواحهم، وصارت أجسامهم قبورا لها، فكما أنه لا يسمع أصحاب القبور كذلك لا يسمع هؤلاء.

وإذا كانت الحياة هي الحس، والحركة، وملزومها، فهذه القلوب لما لم تحس بالعلم والإيمان، ولم تتحرك له، كانت ميتة حقيقة. وليس هذا تشبيها لموتها بموت البدن، بل ذلك موت القلب والروح.اهـ.

[الدعاء للعلماء]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر بن أبي داود، أخبرنا المصري، أخبرنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، عن عبد السلام بن سليم، عن يزيد بن سمرة، عن كثير ابن قيس، عن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه ليستغفر للعالم كل شيء حتى الحيتان في جوف البحر**».

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي، أخبرنا حفص بن عمر، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما سلك عبد طريقا يقتبس فيه علما إلا سلك به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا عنه، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر**».

قوله: ﴿**أبي الدرداء**﴾ إنما أعاد المصنف الحديث لبيان فضل العلماء في دعاء المطيعين لله لهم. قال الإمام ابن رجب رحمه الله كما في "**مجموع رسائله**" (٢/ ٣٠٣): إن سائر المخلوقات مطيعة لله، قانتة له، مسبحة له، غير عصاة الثقلين، الجن والإنس.

فكل الخلق المطيعين لله يحبون أهل طاعته، فكيف به -يعني العالم، أو طالب العلم-، وهو يعرف الله، ويعرف حقوقه وطاعته؟ فمن كانت هذه صفته فإن الله يحبه، ويزكيه، ويثني عليه، ويأمر عباده من أهل السماء والأرض وسائر خلقه بمحبته والدعاء له، وذلك هو صلاتهم عليه، ويجعل له المودة في قلوب عباده

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، أخبرنا شيبان بن فروخ، أخبرنا الصعق بن حزن، أخبرنا علي بن الحكم، عن المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش، أخبرنا **صفوان بن عسال المرادي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم. فقال: «**مرحبا يا طالب العلم! إن طالب العلم لتحفه الملائكة، وتظله، بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا سماء الدنيا من حبهم لما يطلب**».

المؤمنين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].اهـ المراد.

هذا ما يتعلق بالدعاء للعالم على العموم، وقال الإمام ابن القيم في "**مفتاح دار السعادة**" (١/ ١٨٨) في ما يتعلق من ذلك بالاستغفار: فإنه لما كان العالم سببا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلكات، وكان سعيه مقصورا على هذا، وكانت نجاة العباد على يديه، جوزي من جنس عمله، وجعل من في السماوات والأرض ساعيا في نجاته من أسباب الهلكات باستغفارهم له.اهـ.

وقال الحافظ ابن رجب في المصدر السابق (٢/ ٣٠٤): عكس هذا أن من كتم العلم الذي أمر الله بإظهاره لعنه الله، وملائكته، وأهل السماء والأرض، حيث سعى في إطفاء نور الله في الأرض الذي بسبب إخفائه تظهر المعاصي، والظلم، والعداوة، والبغي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].اهـ المراد.

قوله: ﴿صفوان بن عسال المرادي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت...﴾

صحيح لغيره.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زهير بن محمد، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، قال: أتيت **صفوان بن عسال المرادي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: ما جاء بك؟ فقلت: جئت ابتغاء العلم. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل خرج من بيته؛ ليطلب العلم، إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا لما يصنع**».

أخرجه الحاكم (٣٤٥) والحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١٦٢) من طريق عارم، ثنا الصعق به.

وأخرجه الإمام النسائي في "**الكبرى**" (٩٧٧٨)، والإمام الطبراني (٧٣٤٧)، والإمام ابن عدي في "**الكامل**" (١٥٩٧٨)، والحاكم (٣٤٦)، وغيرهم، بذكر عبد الله بن مسعود في السند.

ولكن قال الإمام ابن عدي: وإنما المنهال رواه عن زر، عن ابن مسعود، قال: حدث صفوان.

وهذا غير محفوظ.اهـ.

والرجال في السند المحفوظ ثقات كلهم ما عدا شيبان؛ فإنه صدوق. ويرتقي الحديث إلى الصحة بمتابعة عارم له لثقته.

قوله: ﴿**زر بن حبيش، قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **فقال...**﴾

الراجح في هذا القدر من الحديث الوقف، وهو صحيح بمجموع طرقه، وله حكم الرفع.

أخرج الخبر الإمام عبد الرزاق (٨٢٣) ومن طريقه الإمام أحمد (١٨٠٩٣)، والإمام ابن ماجه (٢٢٦)، والإمام ابن خزيمة (٢٠٥)، والإمام ابن حبان

(٨٦)، و(١٣١٤)، و(١٣٢٠)، والإمام الطبراني (٧٣٥٢)، والإمام الدارقطني (٧٥١)، والإمام البيهقي (١٣٥٤).

وأخرجه الإمام أحمد (١٨٠٩٥) وغيره من طريق ابن عيينة عن عاصم به.

قال الإمام الخطابي في **"معالم السنن"** (١/ ١١٤) عن وضع الملائكة أجنحتها: وهذه الكلمة لم يرفعها سفيان في هذه الرواية، ورفعها حماد بن سلمة.اهـ المراد.

وخالف بذلك أيضا، أبا عوانة، وابن كدام، وابن فضالة، وصالح بن صالح، عند الإمام الطبراني (٧٣٦٥)-(٧٣٦٧)، و(٧٣٧١)، و(٧٣٧٩).

وكذلك قد خالف ابن زيد، وهماما، وشعبة، قال الإمام أبو داود الطيالسي في سياق إخراجه لحديث ابن سلمة مقرونا بهؤلاء (١٢٦١)-(١٢٦٤): قال حماد ابن سلمة، ولم يقله أحد منهم، ورفع الحديث «**إن الملائكة لتضع**...».اهـ المراد.

وتابع حماد بن سلمة على الرفع معمر في ما تقدم، وزياد بن الربيع عند الإمام الطبراني (٧٣٨٨) وفي **"الأوسط"** (٣٤٤٦)، وخالد بن كثير الهمداني عند الإمام الطبراني (٧٣٧٣) وفي **"الأوسط"** (٩٤١٤)، وأبو جعفر الرازي عند الخطيب في **"الرحلة"** (٧) والحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٦٥).

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في **"جامع بيان العلم"** (١/ ١٦٧): هو حديث صحيح، حسن، ثابت، محفوظ، مرفوع، ومثله لا يقال بالرأي.اهـ.

والظاهر بالمقارنة بين الرافعين والواقفين صفة وعددا ترجيح رواية الوقف.

وقد اختلف أيضا، على زر بن حبيش في رفع هذا القدر من الحديث...

رواه عنه مرفوعا المنهال بن عمرو عند الحاكم (٣٤٥).

ورواه عنه موقوفا عبد الوهاب بن بخت عند الحاكم (٣٤٤)، وطلحة بن مصرف عند الإمام الطبراني (٧٣٤٩) والحاكم (٣٤٧)، وحبيب بن أبي ثابت عند الإمام الطبراني (٧٣٥٠).

وإذا اعتبر مع ذلك ما تقدم بيانه في رواية عاصم ترجح الوقف ههنا كذلك.

ويكون لهذا القدر من الخبر حكم الرفع، ويرتقي بما تقدم إلى الصحة لغيره.

وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم:

قال الإمام الخطابي في **"المعالم"** (١/ ١١٤) في معنى ذلك: قوله: «**إن الملائكة تضع أجنحتها**» فيه ثلاثة أقوال:

أحدها أن يكون معنى وضع الجناح من الملائكة بسط أجنحتها وفرشها لطالب العلم؛ لتكون وطاءا له ومعونة إذا مشى في طلب العلم.

والوجه الثاني أن يكون ذلك بمعنى التواضع من الملائكة تعظيما لحقه وتوقيرا لعلمه، فتضم أجنحتها له، وتخفضها عن الطيران، كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤].

والوجه الثالث أن يكون وضع الجناح يريد به النزول عند مجالس العلم والذكر وترك الطيران كما روي أنه قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ما من قوم يذكرون الله** عز وجل **إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة...**».اهـ المراد.

وقد استضعف الحافظ ابن رجب رحمه الله الوجه الثاني كما في **"مجموع رسائله"** (٢/ ٣٠٠) قائلا: في هذا نظر؛ لأن للملائكة أجنحة حقيقة بخلاف البشر.اهـ.

والمعنى الأول هو مقتضى إجراء الحديث على ظاهره، وهو الأصل.

وكان هذا الوجه هو المختار لولا ما في الحديث الآخر لصفوان؛ فإن ظاهره بيان لكيفية هذا الوضع. ولذلك قال الحافظ ابن رجب بعد ما تقدم، وقد ذكر مضمون ما سبق في الوجه الثالث: وورد مثله في بعض الألفاظ حديث **صفوان ابن عسال** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعا «**إن طالب العلم لتحفه الملائكة، وتظله، بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا إلى سماء الدنيا من حبهم لما يطلب**».

[فضل العلماء لرحلتهم في طلب العلم]

أخبرنا أبو بكر: أنبأنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز، أخبرنا محمد بن الصباح الجرجاني، أخبرنا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سلك**...

ولعل هذا القول أشبه، والله أعلم.اهـ.

وذكر الحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١/ ١٧٩) وجها رابعا؛ إذ قال: هو بمعنى قول: «**الملائكة تضع أجنحتها**»، أي: تدعو، والله أعلم.اهـ.

قد ورد معناه في قول الإمام مالك، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في "**مفتاح دار السعادة**" (١/ ١٨٦): قال أبو حاتم الرازي: سمعت ابن أبي أويس يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: معنى قول رسول الله ﷺ: «**تضع أجنحتها**»، يعني تبسطها بالدعاء لطالب العلم بدلا من الأيدي.اهـ.

وهذا الإسناد ضعيف لضعف ابن أبي أويس.

ولعل هذا المعنى مراد المصنف كما يشير إليه ترتيبه لهذا الحديث بعد الحديث المصرح باستغفار الملائكة لطالب العلم. ولكن الأظهر في المراد الترجيح المتقدم.

قوله: ﴿**أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**من سلك طريقا...**»﴾

أخرجه الإمام مسلم (٣٨)-(٢٦٩٩).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "**جامع العلوم**" (٢/ ٢٨٤) عقب ذكر إخراج الإمام مسلم لهذا الحديث: اعترض عليه غير واحد من الحفاظ في تخريجه، منهم ...

طريقا يطلب فيه علما...

أبو الفضل الهروي والدارقطني؛ فإن أسباط بن محمد رواه عن الأعمش، قال: «حدثت عن أبي صالح»، فتبين أن الأعمش لم يسمعه من أبي صالح، ولم يذكر من حدثه به عنه. ورجح الترمذي وغيره هذه الرواية.اهـ المراد.

ذكر نحو هذا الإمام الترمذي (٢٩٤٥)، بينما حسنه قبل ذلك (٢٦٤٦).

وقد ذكر الحافظ رحمه الله تعالى في **"الفتح"** (١/ ٢١١) بصيغة التمريض في سبب تحسين الترمذي للحديث دون تصحيحه العلة السابقة، ثم أجاب عنها بقوله: لكن في رواية مسلم: «عن أبي أسامة، عن الأعمش، حدثنا أبو صالح»، فانتفت تهمة تدليسه.اهـ.

قوله: ﴿سلك طريقا يطلب فيه علما﴾ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله كما في **"مجموع رسائله"** (٢/ ٢٨٤): سلوك الطريق لالتماس العلم يحتمل أن يراد به السلوك الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلم. ويحتمل أن يشمل ما هو أعم من ذلك من سلوك الطريق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم مثل حفظه، ودراسته، ومطالعته، ومذاكرته، والتفهم له، والتفكر فيه، ونحو ذلك.اهـ المراد.

وظاهر مراد المصنف بإيراد هذا الحديث الاحتمال الأول مشيرا بذلك إلى ما للعلماء من الفضل في حفظ الدين بسبب رحلتهم في طلب العلم.

حفظ الدين بسبب الرحلة في طلب العلم:

قال الحاكم رحمه الله تعالى في **"معرفة علوم الحديث"** (ص ١١٢) في سياق كلامه على تفسير الإمام أحمد لكون الطائفة المنصورة أصحاب الحديث:... ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، من قوم

سهل الله له طريقا إلى الجنة».

آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار، وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم والأخبار، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطمار؟ قد رفضوا الإلحاد الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية وتوابع ذلك من البدع، والأهواء، والمقاييس، والآراء، والزيغ. جعلوا المساجد بيوتهم، وأساطينها تكاءهم، وبواريها فرشهم.اهـ.

وفي هذا الصدد أيضا، قال الخطيب رحمه الله في **"شرف أصحاب الحديث"** (ص ٣٩): فشأنهم حفظ الآثار، وقطع المفاوز والقفار، وركوب البراري والبحار، في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى، لا يعرجون عنه إلى رأي ولا هوى. قبلوا شريعته قولا وفعلا، وحرسوا سنته حفظا ونقلا حتى ثبتوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها.

وكم من ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ما ليس منها والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفاظ لأركانها، والقوامون بأمرها وشأنها، إذا صدف عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون...اهـ المراد.

قوله: ﴿سهل الله له طريقا إلى الجنة﴾ قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٢٠٩) في شرح هذا الحديث: وقد تظاهر الشرع والقدر على أن الجزاء من جنس العمل، فكما سلك طريقا يطلب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقا يحصل له ذلك.اهـ.

والسبب في تسهيل هذه الطريق ما بينه الإمام ابن رجب رحمه الله كما في **"مجموع رسائله"** (٢/ ٢٨٥)؛ حيث قال: وسبب تيسير طريق الجنة على طالب العلم، إذا أراد به وجه الله عز وجل وطلب مرضاته، أن العلم يدل على الله من أقرب الطرق وأسهلها. فمن سلك طريقه، ولم يعوج عنه، وصل إلى الله وإلى الجنة من أقرب

[سعي طالب العلم في سبيل الله]

أخبرنا أبو بكر: *أنبأنا* أبو محمد عبد الله بن العباس الواسطي، أخبرنا نصر ابن علي، أخبرنا خالد بن يزيد، أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**».

الطرق وأسهلها، فتسهلت عليه الطرق الموصلة إلى الجنة كلها في الدنيا وفي الآخرة.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى عقبه في بيان عدم إيصال سائر الطرق إلى الجنة غير المتقدمة: من سلك طريقا يظنه طريق الجنة بغير علم فقد سلك أعسر الطرق وأشقها، ولا يوصل إلى المقصود مع عسرة شديدة. فلا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه، والفوز بقربه، ومجاورته في الآخرة، إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، فهو الدليل عليه، وبه يهتدى في ظلمات الجهل...اهـ المراد.

قوله: ﴿أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج في...»﴾

ضعيف.

أخرجه الإمام الترمذي (٢٦٤٧)، والإمام العقيلي في **"الضعفاء"** (٢/ ٣٦٤-٣٦٥)، والإمام الطبراني في **"الصغير"** (٣٨٠)، والحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٢٧١)، والحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (١٣/ ٣٩٥-٣٩٦)، والحافظ المزي في **"تهذيب الكمال"** (٢/ ٣٧٦)، من طريق نصر بن علي به.

قال الإمام الترمذي: حديث حسن، غريب. ورواه بعضهم، فلم يرفعه.اهـ.

وقال الإمام الطبراني: لا يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو جعفر الرازي وخالد بن يزيد.اهـ.

وفي هذا الكلام إشارة إلى جعل عهدة الخطإ في الحديث على أحد الرجلين، والله أعلم. وخالد بن يزيد، هو اللؤلؤي، وقد خصه الإمام العقيلي بحمل عهدة ذلك؛ إذ قال في ترجمته قبل إخراج الحديث: لا يتابع على كثير من حديثه...اهـ.

لكن قد وردت متابعة محمد بن مصعب للؤلؤي، أخرجها الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٥/ ٢١٢-٢١٣) و(١٣/ ٣٩٥). وبهذا ينتقل حمل عهدة الخطإ إلى الرازي.

ويؤيده ما قاله الحافظ في ترجمة الربيع بن أنس من **"التهذيب"** (١/ ٥٩٠): وذكره ابن حبان في **"الثقات"**، وقال: الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه؛ لأن في أحاديثه عنه اضطرابا كثيرا.اهـ.

وأخرج الطبراني (٧٣٨٨) في سياق طويل مرفوعا «**من غدا يطلب علما كان في سبيل الله حتى يرجع**» من طرق ثلاثة إلى زياد بن الربيع اليحمري، قال: ثنا عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن صفوان بن عسال به.

وظاهر السند الحسن، ولكن ورد من طرق دون هذه اللفظة! والأشبه مخالفة اليحمري في الإتيان بها سائر الرواة عن عاصم، فتكون غير محفوظة، والله أعلم.

طلب العلم جهاد:

وعلى هذا يدل قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

[شفاعة العلماء]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، أخبرنا عنبسة بن عبد الرحمن، عن علاق بن أبي مسلم، عن...

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كما في **"بدائع التفسير"** (٢/ ٢٧): فقيل: المعنى أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلم. بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة، تتفقه تلك الطائفة، ثم ترجع تعلم القاعدين.

فيكون النفير على هذا نفير تعلم.

والطائفة تقال على الواحد فما زاد، قالوا: «فهو دليل على قبول خبر الواحد»، وعلى هذا حملها الشافعي وجماعة.

وقالت طائفة أخرى: المعنى وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم. بل ينبغي أن تنفر طائفة للجهاد، وفرقة تقعد، تتفقه في الدين. فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقهتها القاعدة، وعلمتها ما أنزل من الدين، والحلال، والحرام.

وعلى هذا فيكون قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ و﴿لِيُنذِرُواْ﴾ للفرقة التي نفرت منها طائفة، وهذا قول الأكثرين.

وعلى هذا فالنفير نفير جهاد على أصله؛ فإنه حيث استعمل إنما يفهم منه الجهاد.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله تعالى: وعلى القولين فهو ترغب في التفقه في الدين، وتعلمه، وتعليمه؛ فإن ذلك يعدل الجهاد. بل ربما يكون أفضل منه.اهـ.

أبان بن عثمان، عن أبيه **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يشفع يوم القيامة الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**».

قوله: ﴿عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع يوم القيامة الأنبياء...»﴾

متروك.

أخرجه الإمام ابن ماجه (٤٣١٣)، والإمام البزار كما في **"كشف الأستار"** (٣٤٧١)، والإمام العقيلي في **"الضعفاء"** (٣/ ١٠٧٠)، والمصنف في **"الشريعة"** (٨١٥)، والإمام ابن عدي في **"الكامل"** (١٣٠٨٩)، والحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٥٢)، والخطيب في **"تاريخ بغداد"** (١٢/ ٥١٢-٥١٣)، والحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٣٤/ ٤٠-٤١)، والحافظ المزي في **"تهذيب الكمال"** (٥/ ٥٣٣-٥٣٤)، من طريق عنبسة بن عبد الرحمن به.

عزاه الإمام ابن كثير في **"البداية"** (١٧/ ٤٠٥) للإمام أبي يعلى مع ذكر سنده.

ووقع عند البزار ذكر الشهداء عقب الأنبياء وذكر المؤذنين بدل العلماء!

قال الحافظ الهيثمي رحمه الله تعالى: فيه عنبسة بن عبد الرحمن الأموي، وهو مجمع على ضعفه.اهـ.

وقال الحافظ في **"التقريب"**: متروك، رماه أبو حاتم بالوضع.اهـ.

ثم قال رحمه الله تعالى في علاق: مجهول.اهـ.

شفاعة المؤمنين ومن بينهم العلماء:

أخرج الإمام البخاري (٧٤٣٩) والإمام مسلم (٣٠٢)-(١٨٣) من حديث **أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سياق طويل في الأمور التي تقع يوم القيامة، ومن بين ذلك ما قال فيه رسول الله ﷺ: «**فيقول الله** عز وجل: **شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون...**» الحديث.

[طيب الحياة بالعلم]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، أخبرنا شجاع بن مخلد، أخبرنا عباد بن العوام، أخبرنا هشام، عن الحسن في قول الله عز وجل: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، قال: الحسنة في الدنيا العلم والعبادة، والجنة في الآخرة.

قوله: ﴿الحسن في قول الله عز وجل: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ...﴾﴾

حسن بمجموع طرقه.

أخرج هذا الأثر الإمام ابن أبي شيبة (٣٨٠٥٠)، والإمام ابن جرير الطبري في **"تفسيره"** (٢/ ٣٠٠)، والإمام البيهقي في **"الشعب"** (١٧٤٣)، والحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٢٥٢)، من طريق هشام به.

والرجال في الإسناد ثقات كلهم، ولكنه ضعيف لضعف رواية هشام، وهو ابن حسان، عن الحسن، قال الحافظ في **"التقريب"**: في روايته عن الحسن وعطاء مقال.اهـ.

وقد تابع سفيان بن حسين هشاما، فقد أخرج الأثر عنهما مقرونا الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٢٥٣).

وسنده ضعيف لضعف سنيد، لكن يرتقي الأثر بمجموع طريقيه إلى الحسن.

وقد أخرجه الإمام الطبري عقب ما تقدم عن سفيان وحده، لكن دون ذكر العلم في متنه.

أجل الحسنات في الدنيا العلم والعمل به:

قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٣٤٣) عقب ذكر هذا الأثر للحسن: هذا من أحسن التفسير؛ فإن أجل حسنات الدنيا العلم النافع والعمل الصالح.اهـ.

ويشرح هذا ما قاله رحمه الله تعالى في **"المدارج"** (٤/ ١٢٧): وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته، ومحبته، وعبادته، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقد فسرت الحياة الطيبة بالقناعة، والرضا، والرزق الحسن، وغير ذلك.

والصواب أنها حياة القلب، ونعيمه، وبهجته، وسروره، بالإيمان، ومعرفة الله، ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه؛ فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة، كما كان بعض العارفين يقول: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.اهـ المراد.

وإنما يدرك هذا بالكد في طلب العلم والعمل، وإن كان صاحبه أفقر الناس.

بل، وإن كان في سجن، قد عزل عن التصرف في الدنيا. وهذا شيخ الإسلام رحمه الله كما في **"مجموعة الفتاوى"** (٢٨/ ٣٠-٣١) يكتب من سجن الإسكندرية: والذي أعرِّف به الجماعة -أحسن الله إليهم في الدنيا وفي الآخرة، وأتم عليهم نعمته الظاهرة والباطنة-... فإني والله العظيم الذي لا إله إلا هو في نعم من الله ما رأيت مثلها في عمري كله، وقد فتح الله سبحانه وتعالى من أبواب فضله، ونعمته، وخزائن جوده ورحمته، ما لم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال، ما يصل الطرف إليها، يسرها الله تعالى حتى صارت مقاعد.

وهذا يعرف بعضها بالذوق من له نصيب من معرفة الله، وتوحيده، وحقائق الإيمان، وما هو مطلوب الأولين والآخرين من العلم والإيمان؛ فإن اللذة، والفرحة، والسرور، وطيب الوقت، والنعيم... الذي لا يمكن التعبير عنه، إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى، وتوحيده، والإيمان به، وانفتاح الحقائق الإيمانية والمعارف القرآنية، كما قال بعض الشيوخ: لقد كنت في حال أقول فيها: إن كان أهل الجنة في هذه الحال إنهم لفي عيش طيب.اهـ المراد.

قبل ذوق لذة العلم الكد في تحصيله والصبر على المرارة في ذلك:

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في **"أدب الطلب"** (ص ٩٣-٩٤): فإن من شغل أوائل عمره وعنفوان شبابه بطلب الفضائل لابد له أن يفطم نفسه عن بعض شهواتها، ويحبسها عن الأمور التي يشتغل بها أترابه ومعارفه من الملاهي، ومجالس الراحة، وشهوات الشباب. فإذا انتهى إليه ما هم فيه من تلك اللذات والخلاعات وجد في نفسه بحكم الشباب، وحداثة السن، وميل الطبع إلى ما هناك، مرارة، واحتاج إلى مجاهدة يرد بها جامح طبعه، ومتفلت هواه، ومتوثب نشاطه، لا يتم له إلا بإلجام شهوته بلجام الصبر ورباطها بمربط العفة.

... وكيف لا يجد مرارة الحبس للنفس من كان في زاوية من زوايا المساجد ومقصورة من مقاصر المدارس، لا ينظر إلا في دفتر، ولا يتكلم إلا في فن من الفنون، ولا يتحدث إلا إلى عالم، أو متعلم، وأترابه ومعارفه من قرابته وجيرانه، وذوي سنه وأهل نشأته وبلده، يتقبلون في رافه العيش ورائق القصف.

وإذا انضم لذلك الطالب إلى هذه المرارة الحاصلة له بعزف النفس عن شهواتها مرارة أخرى، هي إعواز الحال، وضيق المكسب، وحقارة الدخل، فإنه لابد أن يجد من المرارة المتضاعفة ما يعظم عنده موقعه.

لكنه يذهب عنه ذلك قليلا قليلا. فأول عقدة تنحل عنه من عقد هذه المرارة عندما يتصور ما يئول به الأمر، وينتهي إليه حاله، من الوصول إلى ما قد وصل إليه من يجده في عصره من العلماء.

ثم تنحل عنه العقدة الثانية بفهم المباحث، وحفظ المسائل، وإدراك الدقائق، فإنه عند ذلك يجد من اللذة والحلاوة ما يذهب بكل مرارة.

ثم إذا نال من المعارف حظا، وأحرز منها نصيبا، ودخل في عداد أهل العلم، كان متقلبا في اللذات النفسانية التي هي اللذات بالحقيقة.

ولا يعدم عند ذلك من اللذات الجسمانية ما هو أفضل وأحلى من اللذات التي يتقلب فيها كل من كان من أترابه. وهو إذا وازن بين نفسه الشريفة وبين فرد من معارفه الذين لم يشتغلوا بما اشتغل به اغتبط بنفسه غاية الاغتباط، ووجد من السرور والحبور ما لا يقادر قدره.اهـ المراد.

وقد شهد بالمعنى المذكور الإمام ابن الجوزي في **"صيد الخاطر"**؛ إذ قال: فأما من أنفق عصر الشباب في العلم فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جني ما غرس، ويلتذ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئا بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم.

هذا مع وجود لذاته في الطلب الذي كان تأمل به إدراك المطلوب.

وربما كانت تلك الأعمال أطيب مما نيل منها، كما قال الشاعر:

أهتز عند تمني وصلها طربا ورب أمنية أحلى من الظفر

ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا ما لو حصل لي ندمت عليه.

قال محمد بن الحسين: فالعلماء في كل حال لهم فضل عظيم.

في خروجهم لطلب العلم وفي مجالستهم لهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل...

ثم تأملت حالي فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم.

فقال لي إبليس: ونسيت تعبك وسهرك!... فقلت له: أيها الجاهل! تقطيع الأيدي لا وقع له عند رؤية يوسف، وما طالت طريق أدت إلى صديق،

جزى الله المسير إليه خيرا وإن ترك المطايا كالمزاد

ولقد كنت في حلاوة طلب العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب، وأرجو.

كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء. فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم. فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول ﷺ، وأحواله، وآدابه، وأحوال أصحابه وتابعيهم، فصرت في معرفة طريقه كابن أجود.اهـ بواسطة تحقيق نور الدين لـ**"الرحلة في طلب الحديث"** (ص ١٤٧-١٤٨).

قوله: ﴿**فالعلماء في كل حال لهم فضل**﴾ هذه الجملة كالخلاصة لما تقدم تفصيله.

قوله: ﴿**في مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل**﴾ في المذاكرة نعش العلم وأمان من درسه، أخرج الإمام ابن أبي شيبة (٢٧٨١٥) بإسناد صحيح: **حدثنا** وكيع، قال: ثنا كهمس بن الحسن، عن عبد الله بن بريدة، قال: قال علي: تزاوروا، وتذاكروا الحديث؛ فإنكم إن لم تفعلوا يدرس.اهـ.

وفي من تعلموا منه العلم لهم فيه فضل، وفي من علموه العلم لهم فيه فضل. فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة، نفعنا الله وإياهم بالعلم.

قوله: ﴿في من تعلموا منه العلم لهم فيه فضل﴾ قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ١٦٥-١٦٦): إن الله سبحانه أخبرنا عن صفيه وكليمه الذي كتب له التوراة بيده، وكلمه منه إليه، أنه رحل إلى رجل عالم يتعلم منه، ويزداد علما إلى علمه، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، حرصا منه على لقاء هذا العالم وعلى التعلم منه.

فلما لقيه سلك معه مسلك المتعلم مع معلمه، وقال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، فبدأه بعد السلام بالاستئذان على متابعته، وأنه لا يتبعه إلا بإذنه.

وقال: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، فلم يجئ ممتحنا ولا متعنتا، وإنما جاء متعلما، مستزيدا علما إلى علمه.

وكفى بهذا فضلا وشرفا للعلم؛ فإن نبي الله وكليمه سافر، ورحل، حتى لقي النصب من سفره في تعلم ثلاث مسائل من رجل عالم.اهـ المراد.

قوله: ﴿في من علموه العلم لهم فيه فضل﴾ كفى بفضل التعليم ما استظهره الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ١٧٩)؛ إذ قال: في **"الصحيحين"** أيضا، من حديث **سهل بن سعد** رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لأن يهدي بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**».

وهذا يدل على فضل العلم، والتعليم، وشرف منزلة أهله، بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعالم كان ذلك خيرا له من حمر النعم، وهي خيارها وأشرفها عند أهلها. فما الظن بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس!؟اهـ.

مراتب العلم:

في ذكر المصنف التعلم، والمذاكرة، والتعليم، إشارة إلى مراتب العلم التي قال فيها الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٢١٣-٢١٤):... فإن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه، ووعاه، وحفظه، وبلغه، وهذه هي مراتب العلم.

أولها وثانيها سماعه وعقله.

فإذا سمعه وعاه بقلبه، أي: عقله، واستقر في قلبه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه، ولا يخرج منه. وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير، والدابة، ونحوها، حتى لا تشرد، وتذهب. ولهذا كان الوعي والعقل قدرا زائدا على مجرد إدراك المعلوم.

المرتبة الثالثة تعاهده وحفظه حتى لا ينساه، فيذهب.

المرتبة الرابعة تبليغه وبثه في الأمة؛ ليحصل به ثمرته ومقصوده.اهـ.

ثم قال رحمه الله في فضل هذه المراتب: من قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن؛ فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان، وابتهاج الباطن به، وفرح القلب، وسروره، والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة، والسرور، والفرحة، نضارة على الوجه. ولهذا يجمع له سبحانه بين السرور والنضرة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]، فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم. فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤].

والمقصود أن هذه النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله ﷺ، ووعاها، وحفظها، وبلغها، هي أثر تلك الحلاوة، والبهجة، والسرور.اهـ المراد.

[العالم والمتعلم شريكان في الأجر]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا الفريابي، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي، أخبرنا صدقة بن خالد، أخبرنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن **أبي أمامة الباهلي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع**». ثم جمع بين إصبعيه، الوسطى والتي تلي الإبهام، وقال: «**العالم والمتعلم شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس بعد**».

قوله: ﴿**أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالعلم...»**﴾

متروك، وشطره الأول ضعيف.

أخرجه من طريق المصنف الحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١٣٧) والحافظ ابن عساكر في "**تاريخ دمشق**" (٣٧/ ٢١١).

وأخرجه الإمام ابن ماجه (٢٢٨)، والإمام الطبراني (٧٨٧٥)، والحافظ ابن عدي في "**الكامل**" (١٢٤٣٦)، والإمام تمام في "**الفوائد**" (٦٨)، والخطيب في "**تاريخ بغداد**" (٢/ ٦١٦-٦١٧)، والحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١٣٦)، من طريق عثمان بن أبي العاتكة به.

وأفاد المعلق بإخراج الحاكم له في "**معرفة العلوم**"، وهو فيه برقم (٢١١).

والإسناد شديد الضعف لكون علي بن يزيد متروكا.

ومن طريقه أخرج أوله بمعناه ضمن سياق مطول الإمام أحمد (٢٢٢٩٠) والإمام الطبراني (٧٨٦٧).

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زهير بن محمد، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي الدرداء، قال: العالم والمتعلم في الأجر سواء، وسائر الناس همج، لا خير فيهم.

وأخرج أوله بسند آخر الإمام الدارمي (٢٤٨) والإمام الطبراني (٧٩٠٦).

ولكنه ضعيف لضعف حجاج بن أرطاة، إضافة إلى تدليسه، وقد عنعن.

وورد في الباب حديث ابن مسعود، أخرجه الإمام الطبراني (١٠٤٦١) وفي **"الأوسط"** (٧٥٧٥).

قال الحافظ الهيثمي في **"المجمع"** (١/ ١٢١): وفي سند **"الأوسط"** نهشل بن سعيد، وفي الآخر الربيع بن بدر، وهما كذابان.اهـ.

وجعلهما الحافظ في **"التقريب"** متروكين، وثم أسباب أخرى توجب ضعفه.

وفيه حديث أبي الدرداء عند الإمام الطبراني في **"مسند الشاميين"** (٢٢١٨).

قال الحافظ الهيثمي في **"المجمع"** (١/ ١٢١): رواه الطبراني في **"الكبير"**، وفيه معاوية بن يحيى الصدفي، قال ابن معين: هالك، ليس بشيء.اهـ.

وفي الباب كذلك حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٣٣)، وقال: هكذا رواه عبد الملك بن حبيب المصيصي عن ابن المبارك مسندا. ورواه عبدان -وهو عبد الله بن عثمان-، عن ابن المبارك، عن ثور، عن خالد بن معدان، من قول أبي الدرداء.اهـ.

والكلام على هذا الأثر آت، وشواهد المرفوع لا اعتبار بها لشدة ضعفها.

قوله: ﴿أبي الدرداء، قال: العالم والمتعلم في الأجر سواء، وسائر الناس همج...﴾ صحيح لغيره.

[انتفاع العالم بعلمه بعد موته]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا الفريابي، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن **أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت، المرابط في سبيل الله، ومن علم علما أجري له ما عمل به، ورجل تصدق بصدقة، فأجره يجري ما جرت، ورجل ترك أولادا صغارا، فهم يدعون له**».

أخرجه الإمام عبد الله في زوائد **"الزهد"** (٧٣٦) من طريق عبد الرزاق به.

وتابعه ابن المبارك عند الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٣٤).

والرجال في السند ثقات، لكنه منقطع بين خالد بن معدان وبين أبي الدرداء.

وأخرجه الإمام أحمد في **"الزهد"** (٧٣١) بإسناد صحيح.

قال الحاكم في **"معرفة العلوم"** (ص ٣١٣) في توجيهه: قال أبو زكريا: فالعالم والمتعلم في الأجر سيان كما أن الداعي والمؤمِّن في الدعاء شريكان.اهـ المراد.

قوله: ﴿**أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **أن رسول الله** ﷺ **قال: «أربعة تجري عليهم...»**﴾

صحيح لغيره.

أخرجه الإمام أحمد (٢٢٢٤٧) و(٢٢٣١٩) من طريق ابن لهيعة به.

وهذا الإسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة، ولما نقله ابن أبي حاتم في **"المراسيل"** (١٨٨) عن أبيه أنه قال: خالد بن أبي عمران لم يسمع من أبي أمامة الباهلي.اهـ.

وأخرجه الإمام أحمد (٢٢٣١٨) بذكر الواسطة، ولكنها مبهمة.

وأخرجه الطبراني (٧٨٣١) من طريق فيها علي بن يزيد الألهاني المتروك!

ويشهد للخصلة الأولى ما أخرج الإمام مسلم (١٦٣)-(١٩١٣) عن **سلمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه. وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله...**» الحديث.

ويشهد للخصال الأخرى ما أخرجه الإمام مسلم (١٤)-(١٦٣١) عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

بقاء علم الرجل بعد موته:

قال الحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١/ ١٠٥): قالت الحكماء: علم الرجل ولده المخلد.اهـ.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في "**مفتاح دار السعادة**" (١/ ٤٩٢) في الكلام على حديث أبي هريرة: وهذا من أعظم الأدلة على شرف العلم، وفضله، وعظم ثمرته؛ فإن ثوابه يصل إلى الرجل بعد موته ما دام ينتفع به، فكأنه حي لم ينقطع عمله مع ما له من حياة الذكر والثناء، فجريان أجره عليه إذا انقطع عن الناس ثواب أعمالهم حياة ثانية.اهـ.

وأخرج الحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (٢٤١٥) بإسناد صحيح: حدثني أحمد بن محمد، وعبد الرحمن بن يحيى، وخلف بن أحمد، وغيرهم، قالوا: نا أحمد بن سعيد بن حزم، نا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، قال أحمد بن أبي عمران، قال: كنت عند أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع، وقد تخلف في منزله، فبعث غلاما من غلمانه إلى أبي عبد الله بن الأعرابي، صاحب "**الغريب**"، يسأله المجيء إليه. فعاد إليه الغلام، فقال: قد سألته ذلك، فقال لي:

عندي قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي منهم أتيت. قال الغلام: وما رأيت عنده أحدا إلا أن بين يديه كتبا ينظر فيها، فينظر في هذا مرة، وفي هذا مرة.

ثم ما شعرنا حتى جاء. فقال له أبو أيوب: يا أبا عبد الله! سبحان الله العظيم! تخلفت عنا، وحرمتنا الأنس بك. ولقد قال لي الغلام: إنه ما رأى عندك أحدا. وقلت: أنا مع قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي معهم أتيت!؟

فقال ابن الأعرابي:

لنا جلساء ما نمل حديثهم ... ألباء مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا

بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا يتقى منهم لسانا ولا يدا

فإن قلت: «أموات» فلا أنت كاذب ... وإن قلت: «أحياء» فلست مفندا

.اهـ.

علم الرجل في تأليفه أبقى:

قال العلامة السيوطي في **"زهر الربى"** (٦/ ٢٥١-٢٥٢): وذكر القاضي تاج الدين السبكي أن حمل العلم المذكور على التأليف أقوى؛ لأنه أطول مدة وأبقى على ممر الزمان.

ورأيت من تكلم على هذا الحديث في كراسة... قال الأخنائي في كتاب **"البشرى بما يلحق الميت من الثواب في الدار الأخرى"**: قوله: «**وعلم ينتفع به**» هو ما خلفه من تعليم، أو تصنيف، ورواية.

وربما دخل في ذلك نسخ كتب العلم، وتسطيرها، وضبطها، ومقابلتها، وتحريرها، والإتقان لها بالسماع، وكتابة الطبقات، وشراء الكتب المشتملة على ذلك... ولكن شرطه أن يكون منتفعا به.اهـ.

[فضل التعليم]

[الاستغفار للمعلم:]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني، أخبرنا الحسين ابن علي بن الأسود العجلي، أخبرنا يحيى بن آدم، أخبرنا قيس بن الربيع، أخبرنا شمر بن عطية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: معلم الخير ومتعلمه يستغفر لهم كل شيء حتى الحوت في البحر.

قوله: {ابن عباس، قال: معلم الخير ومتعلمه يستغفر لهم كل شيء حتى...}

صحيح دون ذكر المتعلم.

أخرجه الإمام ابن أبي شيبة (٢٧٧٩٤) ومن طريقه الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٧٩٦) والإمام الدارمي (٣٥٤)، من طريق الأعمش عن شمر به مثله دون ذكر المتعلم!

وهذا الإسناد صحيح.

أما زيادة قوله: «ومتعلمه» فالظاهر عدم حفظها لمخالفة قيس فيها الأعمش، وقد قال الحافظ في ترجمة قيس من **"التقريب"**: «صدوق، تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه، فحدث به»، وقال في الأعمش: «ثقة، حافظ».

قوله: {يستغفر لهم} نكتفي بما تقدم ذكره في الاستغفار للعالم عن إعادته هنا؛ فإن الاستغفار للعالم متضمن للاستغفار للمعلم، إذ لا يكون معلم حتى يكون عالم.

[التعليم سنة إبراهيم عليه السلام:]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زياد بن أيوب، أخبرنا هشيم، أخبرنا سيار، عن الشعبي، قال: قال عبد الله بن مسعود: إن معاذا كان أمة قانتا. قيل له: إن إبراهيم كان أمة قانتا. قال: فقال عبد الله: إنا كنا نشبه معاذا بإبراهيم. قال: قيل له: فما القانت؟ قال: المطيع لله ولرسوله.

قوله: ﴿عبد الله بن مسعود: إن معاذا كان أمة قانتا. قيل له: إن إبراهيم كان...﴾ صح من طريق أخرى على شرط الشيخين.

أخرجه الإمام الطبري في "**تفسيره**" (١٤/ ١٩٢) والإمام الطبراني (٩٩٤٩) من طريق هشيم به.

وهذا السند منقطع، قال الإمام ابن أبي حاتم في "**المراسيل**" (٥٩١): سمعت أبي يقول: لم يسمع الشعبي من عبد الله بن مسعود.اهـ المراد.

وتابع بيان بن بشر وغيره سيارا متابعة تامة.

وقد جعل بعضهم الواسطة بين الشعبي وبين ابن مسعود من ذكره الإمام ابن عساكر في "**تاريخه**" (٥٨/ ٤١٨)؛ حيث قال: وقد رواه منصور بن عبد الرحمن الأشل، عن الشعبي، عن فروة بن نوفل.اهـ.

أخرجه من هذا الوجه الإمام محمد بن سعد في "**الطبقات**" (٢/ ٢٦٥-٢٦٦) ومن طريقه الإمام ابن عساكر في "**تاريخه**" (٥٨/ ٤١٨) وغيرهما.

ولكن قال الإمام ابن عساكر في هذا الوجه ورواية بيان التي تقدمت الإشارة إليها: كلا الحديثين غير محفوظ. والمحفوظ رواية الشعبي، عن مسروق، عن ابن مسعود، وراجعه فيه فروة بن نوفل.اهـ.

قد أخرج هذه الرواية المحفوظة الإمام ابن سعد في **"الطبقات"** (٢/ ٢٦٦)، والإمام الطبري في **"تفسيره"** (١٤/ ١٩١)، والإمام الطبراني (٩٩٤٤)، والحاكم (٥٢٧٠)، وغيرهم.

وسند الإمام الطبري كما قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.اهـ.

والشاهد منه في **"تفسير الطبري"** تفسير ابن مسعود للأمة بكونه معلم الخير.

❁ الأمة معلم الناس الخير:

قال الإمام القرطبي في **"الجامع لأحكام القرآن"** (٢/ ٣٩٧):... الأمة الجماعة هنا. وتكون واحدا إذا كان يقتدى به في الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقال ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل: «**يبعث أمة وحده**»؛ لأنه لم يشرك في دينه غيره، والله أعلم.اهـ.

وقال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٤٨٨-٤٨٩) أثناء كلامه على الآية: افتتحها بأنه أمة، والأمة هو القدوة الذي يؤتم به، قال ابن مسعود: «والأمة المعلم للخير»، وهي فعلة من الائتمام كقدوة، وهو الذي يقتدى به.

والفرق بين الأمة والإمام من وجهين،

أحدهما أن الإمام كل ما يؤتم به سواء كان بقصده وشعوره، أو لا، ومنه سمي الطريق إماما كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر]، أي: بطريق واضح، لا يخفى على السالك، ولا يسمى الطريق أمة.

الثاني أن الأمة فيه زيادة معنى، وهو الذي جمع صفات الكمال من العلم والعمل بحيث بقي فيها فردا وحده، فهو الجامع لخصال تفرقت في غيره. فكأنه باين غيره باجتماعها فيه وتفرقها، أو عدمها، في غيره.اهـ المراد.

التعليم أول بركة العلم:

قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ٦٤): وإذا رزق منه الحظ لا يبخل بالإفادة؛ لأن أول بركة العلم الإفادة. وما رأيت أحدا قط بخل بالعلم إلا لم ينتفع بعلمه.

وكما لا ينتفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم ينبع، ولا بالذهب الأحمر ما لم يستخرج من معدنه، ولا باللؤلؤ النفيس ما لم يخرج من بحره، كذلك لا ينتفع بالعلم ما دام مكنونا، لا ينشر، ولا يفاد.اهـ.

وينبغي للمعلم السماحة في التعليم، قال الإمام أبو زرعة في **"سؤالات الإمام البرذعي"** (١٠٣٢): من لم يسمح بالحديث لم ينتفع به.اهـ المراد.

من بخل بما عنده من العلم أضر بنفسه:

أخرج الإمام البخاري في **"تاريخه"** (٣/ ٢٨٦-٢٨٧) بسند صحيح: قال عبد العزيز بن عبد الله: ثنا مالك: كان ربيعة يقول لابن شهاب: إن حالتي ليس تشبه حالك، أنا أقول برأي، من شاء أخذه، وأنت تحدث عن النبي ﷺ، فتحفظ. لا ينبغي لأحد أن يعلم أن عنده شيء -كذا لدي- من العلم يضيع نفسه.اهـ.

بل قد يجر البخل بالعلم لفاعله شرا! ومما ينبغي الاتعاظ به في ذلك ما أخرج الحافظ ابن عدي في **"الكامل"** (٥١٤٨) بالسند الصحيح: سمعت عبدان، يقول: سمعت فضلك الرازي وجعفر بن الجنيد يقولان: المعمري كذاب.

ثم قال لي عبدان: حسدا؛ لأنه كان رفيقهم، وأنا معه، فكان المعمري إذا كتب حديثا غريبا لا يفيدهما.اهـ المراد.

وورد في بعض روايات تولية المعمري انتخاب الأحاديث من كتاب شيخهم، ولهذا كان إذا ظفر بحديث غريب في كتاب الشيخ قصده؛ ليحدثه به وحده دون

[التعليم صدقة:]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا الحسن بن ذكوان، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من الصدقة أن تتعلم، ثم تعلمه، ابتغاء وجه الله** عز وجل».

فضلك وابن الجنيد. فلما سمعاه يحدث بهذه الغرائب التي لم يسمعاها من الشيخ المشترك استغربوا مجيئ المعمري بها دونهما، ونسباه إلى الكذب! ولذا قال الذهبي في **"السير"** (١٣/ ٥١٢) في ما نتجه فعل المعمري هذا لنفسه: فعوقب بنقيض قصده، ولم ينتفع بتلك الغرائب. بل جرت إليه شرا! فقبح الله الشَّرَهَ.اهـ.

قوله: ﴿الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الصدقة أن تتعلم، ثم...»﴾ مرسل.

وفي الإسناد الحسن بن ذكوان، وهو ممن تضر عنعنته من المدلسين.

وتابعه أشعث بن عبد الملك عند الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٧٨٢)، وإسناده صحيح إلى الحسن. لكن قال الإمام الذهبي في **"الموقظة"** (ص ٤٤): ومن أوهى المراسيل عندهم مراسل الحسن.اهـ.

أخرج نحوه الإمام ابن ماجه (٢٤٣) موصولا من طريق عبيد الله بن طلحة، عن الحسن البصري، عن أبي هريرة.

ويظهر من هذه الطرق مخالفة عبيد الله بن طلحة مع جهالة حاله لابن ذكوان وأشعث، فيكون الوصل غير محفوظ. على أن السند إلى ابن طلحة ضعيف!

وفي هذا الباب ما أخرجه الإمام هناد في **"الزهد"** (١٠٨٣): حدثنا المحاربي، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان له**

مال فليتصدق من ماله، ومن كان له علم فليتصدق من علمه، ومن كان له قوة فليتصدق من قوته».

وصح هذا المرسل، ولا يضر ضعف ابن سعد؛ إذ هو أثبتهم في زيد بن أسلم.

وعزي في **"كنز العمال"** (١٠/ ١٤٥) بعض اللفظ السابق ذكره لابن السني من حديث ابن عمر.

ولم أجده! وإنما الذي وجدت فيه قول الحافظ ابن رجب في **"جامع العلوم"** (٢/ ٥٩): وخرج ابن مردويه بإسناد فيه ضعف عن ابن عمر مرفوعا.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله تعالى بعد ذكر لفظه: ولعله موقوف.اهـ.

التعليـم من أجل الصدقات:

يغني عن الأحاديث المتقدم ذكرها في صحة معناها ما أخرج الإمام البخاري (٢٩٨٩) والإمام مسلم (٥٦)-(١٠٠٩) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس**». قال: «**تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته، فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه، صدقة**». قال: «**والكلمة الطيبة صدقة...**» الحديث.

ولا يخفى اندراج العلم النافع تحت الكلمة الطيبة، وهي صدقة بنص الخبر.

وفي هذا المعنى ما أخرجه الإمام مسلم (٥٣)-(١٠٠٦) عن **أبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: «**أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون!؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة...**» الحديث.

[الاستمرار في طلب العلم]

قال محمد بن الحسين: قد اختصرت من فضل العلماء وما خصهم الله عز وجل به على سائر المؤمنين ما فيه بلاغ لمن تدبره، فألزم نفسه الطلب للعلم؛ ليكون معهم، وذلك بتوفيق الله عز وجل.

وفي التعليم أمر بالمعروف ونهي عن منكر، وقد جعلا في الحديث صدقة.

قوله: ﴿فألزم نفسه الطلب للعلم﴾ نقل العلامة أبو هلال العسكري رحمه الله تعالى في **"الحث على طلب العلم"** (١٥) عن بعض الحكماء أنه قال: يجب للمتعلم أن يعرف فضل ما بين طلب العلم للمناسبة والشهرة وبين طلبه للرغبة والشهوة، وأن يعلم أن العلم لا يجود بمكنونه، ولا يسمح بسيره ومخزونه، إلا لمن رغب فيه لكرم عنصره وفضل جوهره، ورفعه عن التكسب، وصانه عن الشباك، انتفع به، وأنه لا يعطيه خالص فائدته حتى يعطيه خالص محبته.اهـ.

الاستمرار في طلب العلم:

قال العلامة العسكري في **"الحث على طلب العلم"** (٢٧) بعد ذكر عدد من خصال العلم:... ومن حق من يعرفه حق معرفته أن يجتهد في التماسه؛ ليفوز بفضيلته، فإن ما كانت هذه خصاله كان التقصير في طلبه قصورا، والتفريط في تحصيله لا يكون إلا بعدم التوفيق.

ومن أقصر عنه، أو قصر دونه، فليأذن بخسران الصفقة، وليقر بقصور الهمة، وليعترف بنقصان المعرفة. وليعلم أنه غبن الحظ الأوفر، وخدع عن النصيب

الأجزل، وباع الأرفع بالأدون، ورضي بالأخس عوضا عن الأنفس.اهـ المراد مما قصدناه من كلامه.

من آفة طلب العلم:

قال شيخنا سعيد بن دعاس رحمه الله تعالى في **"منهجية طلب العلم"** (ص ١٦٥): فمن أعظم آفات الطلب عدم الاستمرار في تحصيل العلم والانقطاع عن دوام تلقي المعارف والترقي في مراتبها الشريفة.اهـ.

ثم صنف رحمه الله حال المنقطع عن الاستمرار في طلب العلم إلى اثنين؛ فقال (ص ١٦٦) في الأولى: ترك الاشتغال بطلب العلم بالكلية والانشغال بأعمال الدنيا.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله تعالى (ص ١٦٧) في بيان الحال الثانية: الانقطاع عن مواصلة التحصيل وترك الاستمرار في التزود، والإتقان، وترسيخ القدم، والاستعجال في فتح المراكز، وتصدر الدعوة وشئونها، والترؤس قبل الرسوخ وتوفر الكفاءة الكافية في العلم، والاكتفاء بالبصيص من العلم في العلوم الشرعية، أو بعضها، مع الحاجة إلى التزود، وضعف الحصيلة، وقلة البضاعة.اهـ.

ويتلخص ما تقدم من أسباب الانقطاع عن طلب العلم في أمرين، الانشغال بالدنيا وبالترؤس قبل حينه. والانشغال بهما متضمن لجمع المال وطلب الشرف، وقد أخرج الإمام الترمذي (٢٣٧٦) ما يدل على عظم فساد دين المرء بحرصه على هذين الأمرين من حديث **كعب بن مالك الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**».

وقد صحح هذا الحديث الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

ودين المرء شامل لعلمه، وقد ثبت من قول الإمام ابن سيرين: «إن هذا العلم دين». فكان حينئذ من فساد دين المرء فساد علمه، وذلك بنسيانه وترك تحصيله.

معالجة الانقطاع عن طلب العلم:

قال شيخنا رحمه الله تعالى في **"منهجية طلب العلم"** (ص ١٧٢-١٧٣): وملاك البعد عن الانقطاع في تحصيل العلم، والتزود، والرسوخ فيه، وعن الاستمرار والمواصلة، بشتى صوره السابقة، الصبر على المشقات التي تعرض لطالب العلم أثناء طلبه من فقر، وفاقة، وحاجة، وأمراض، وأسقام، وجهد، وتعب، واليقين بوعد الله؛ إذ بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين كما قاله شيخ الإسلام. ومصداقه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فلم يمل في الغالب إلى الدنيا من طلاب العلم إما بالانشغال بها مع بقائه على السنة والاستقامة، أو باعتناق الأفكار المنحرفة والتحزبات المضلة، ولم يستعجل في تحمل أعباء الدعوة، إلا من ضعف صبره، ورق يقينه.اهـ المراد.

وأخرج الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى في **"جامع بيان العلم"** (٥٩٦) بالسند الصحيح: **وأخبرنا** عبد الله بن محمد، نا يحيى بن مالك وعبد الله بن محمد، قالا: نا عمر بن أبي تمام، نا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، نا أبو زيد بن أبي الغمر، عن ابن القاسم، قال: كان مالك يقول: «إن هذا الأمر لن ينال حتى يذاق فيه طعم الفقر»، وذكر ما نزل بربيعة من الفقر في طلب العلم حتى باع خشب سقف بيته في طلب العلم، وحتى كان يأكل ما يلقى على مزابل المدينة من الزبيب وعصارة التمر.اهـ.

وابن أبي تمام هو عمر بن حفص بن غالب، أفاده المحقق.

[العلماء هم القوم لا يشقى بهم جليسهم]

فإن قال قائل: «من علم العلم، وحفظه، وناظر فيه، يدخل في هذا الفضل الذي ذكرت؟» قيل له: أرجو أن لا يخلي الله كل مسلم طلب الخير والعلم من خيره الذي وعد به العلماء.

قوله: ﴿أرجو أن لا يخلي الله كل مسلم طلب الخير والعلم من خيره الذي وعد به العلماء﴾ يشهد لهذا ما أخرجه الإمام البخاري (٦٤٠٨) والإمام مسلم (٢٥)-(٢٦٨٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة، فضلا، يتبعون مجالس الذكر. فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا. فإذا تفرقوا عرجوا، وصعدوا إلى السماء». قال: «فيسألهم الله عز وجل، وهو أعلم بهم؛ من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب! قال: فكيف لو رأوا جنتي!؟... قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك، يا رب! قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري!؟... قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم، فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا. قال: فيقولون: رب! فيهم فلان، عبد خطاء، إنما مر، فجلس معهم. قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

[خاتمة بابي فضل العلماء]

ولكن قد ذكرت لهم أوصاف وأخلاق، فنحن نذكرها...

فإذا كانت هذه حال هذا الرجل فكيف بمن يسعى في طلب العلم، ويحفظ، ويجتهد قدر استطاعته!؟

قوله: ﴿قد ذكرت لهم أوصاف وأخلاق، فنحن نذكرها﴾ سيأتي ذكر المصنف لهذه الأوصاف والأخلاق في الباب التالي، إن شاء الله.

وربما أهمل طالب العلم هذه الأوصاف، وأخل بالتحلي بها، فيسبب له ما لا تحمد عاقبته... ولهذا كان من المبادئ التي يهتم بها طالب العلم معرفة ما يليق به من الأوصاف؛ ليتحلى بها، ويجتنب ما يناقضها.

وقد حصل شيء من إهمال لهذه المادة في تعليم المعلم وتعلم المتعلم! فلنرجع إلى الاعتناء بذلك لعلنا نستدرك ما قد فات. وقد حث على ذلك الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في **"الحلية"** (ص ١٥)؛ حيث قال: وقد كان العلماء السابقون يلقنون الطلاب في حلق العلم آداب الطلب. وأدركت خبر آخر العقد في ذلك في بعض حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، إذ كان بعض المدرسين فيه يدرس طلابه كتاب الزرنوجي -م سنة ٥٩٣ هـ- رحمه الله تعالى المسمى **"تعليم المتعلم طريق التعلم"**. فعسى أن يصل أهل العلم هذا الحبل الوثيق، الهادي لأقوم طريق، فيدرج تدريس هذه المادة في فواتح دروس المساجد وفي مواد الدراسة النظامية.اهـ المراد.

فمن تدبرها من أهل العلم رجع إلى نفسه، فإن كان منهم شكر الله عز وجل على ما خصه به، وإن لم تكن أوصافه منهم، وكان ممن علمه حجة عليه، استغفر الله عز وجل، ورجع إلى الحق من قريب، والله ولي التوفيق.

باب أوصاف العلماء الذين نفعهم الله بالعلم في الدنيا والآخرة

قال محمد بن الحسين: لهذا العالم صفات وأحوال شتى، ومقامات لابد له من استعمالها، فهو مستعمل في كل حال ما يجب عليه.

فله صفة في طلبه للعلم، كيف يطلبه. وله صفة في كثرة العلم، إذا كثر عنده ما الذي يجب عليه فيه، فيلزمه نفسه.

وله صفة إذا جالس العلماء، كيف يجالسهم. وله صفة إذا تعلم من العلماء، كيف يتعلم.

وله صفة كيف يعلم غيره. وله صفة إذا ناظر في العلم، كيف يناظر.

وله صفة إذا أفتى الناس، كيف يفتي.

وله صفة كيف يجالس الأمراء، إذا ابتلي بمجالستهم. ومن يستحق أن يجالسه ومن لا يستحق. وله صفة عند معاشرته لسائر الناس ممن لا علم معه.

وله صفة كيف يعبد الله عز وجل في ما بينه وبينه.

قد أعد لكل حق يلزمه ما يقويه على القيام به، وقد أعد لكل نازلة ما يسلم به من شرها في دينه، عالم بما يجتلب به الطاعات، عالم بما يدفع به البليات، قد اعتقد الأخلاق السنية، واعتزل الأخلاق الدنية.

ذكر صفته في طلب العلم

[العلم قبل العمل:]

فمن صفته لإرادته في طلب العلم أن يعلم أن الله عز وجل فرض عليه عبادته، والعبادة لا تكون إلا بعلم.

قوله: ﴿أن يعلم أن الله عز وجل فرض عليه عبادته﴾ إنما هذه هي الغاية التي لأجلها خلق الجن والإنس، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وعلم العبد بهذا مهم؛ إذ هو العلم بمقصود حياته ووجوده في هذه الدنيا! ويدل على أهمية علم العبد بهذا ما يصدر منه من الإلهاء بالتكاثر من أمور الدنيا متى جهل ذلك، أو غفل عنه. والجهل بهذا هلكة، والغفلة عنه مؤدية إلى الهلكة وسبيلها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ -إلى قوله:- ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ١-٦].

قوله: ﴿والعبادة لا تكون إلا بعلم﴾ بوب على هذا المعنى الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب العلم من "صحيحه"؛ حيث قال: باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

فبدأ بالعلم قبل القول العمل.اهـ.

[على المرء طلب ما تجب عليه من العلم:]

وعلم أن العلم فريضة عليه،...

قال الحافظ في **"الفتح"** (١/ ٢١١): قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل.اهـ المراد.

ومن جهة أخرى، فالمقصود من العلم العبادة، فيكون تقديمه عليها من باب تقديم الوسيلة على الغاية. قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ٥٨): العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به؛ لأن من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد فخرا وتجبرا، وللعمل تركا وتضييعا.اهـ المراد.

قوله: ﴿**وعلم أن العلم فريضة عليه**﴾ قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٤٤٦): ثم شرائع الإسلام واجبة على كل مسلم. ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها. والله تعالى أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، فطلب العلم فريضة على كل مسلم. وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم!؟ وهل ينال العلم إلا بطلبه!؟اهـ.

العلم المفروض ضربان:

قال الإمام ابن القيم عقب ما تقدم: ثم إن العلم المفروض تعلمه ضربان،

ضرب منه فرض عين، لا يسع مسلما جهله.اهـ المراد.

وأول ما يندرج تحت ذلك ما قاله الخطيب رحمه الله تعالى في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٤٥): فأما الأصول التي هي معرفة الله سبحانه، وتوحيده، وصفاته، وصدق رسله، فمما يجب على كل أحد معرفته، ولا يصح أن ينوب فيه بعض المسلمين عن بعض.اهـ.

وعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل.

[النية والصدق في طلب العلم:]

فطلب العلم؛ لينفي عن نفسه الجهل، وليعبد الله عز وجل كما أمره، ليس كما تهوى نفسه. فكان هذا مراده في السعي في طلب العلم...

ثم قال رحمه الله تعالى (ص ٤٦): وكل مسلم بالغ، عاقل، من ذكر وأنثى، حر وعبد، تلزمه الطهارة، والصلاة، والصيام، فرضا، فيجب على كل مسلم تعرف علم ذلك. وهكذا يجب على كل مسلم أن يعرف ما يحل له وما يحرم عليه من المآكل، والمشارب، والملابس، والفروج، والدماء، والأموال. فجميع هذا لايسع أحدا جهله.اهـ المراد.

والضرب الثاني ما قاله الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١/ ٩٢): فرض على الكفاية، إذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع.اهـ.

قوله: ﴿**وعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل**﴾ والسر في ذلك ما قاله الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٤٤٦): إن الإيمان فرض على كل واحد، وهو ماهية مركبة من علم وعمل، فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل اهـ.

قوله: ﴿**النية والصدق في طلب العلم**﴾ قال الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى في **"روضة العقلاء"** (ص ٤٨): قطب الطاعات للمرء في الدنيا هو إصلاح السرائر وترك إفساد الضمائر. والواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره، وحركته وسكونه؛ لأن تكدر الأوقات وتنغص اللذات لا يكون إلا عند فساده.اهـ.

قوله: ﴿**كما أمره، ليس كما تهوى نفسه. فكان هذا مراده في السعي في طلب العلم**﴾ قال الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى في **"شعب الإيمان"** (٣/ ٢٦٧-٢٦٨) نقلا عن

...

العلامة الحليمي: ينبغي لطالب العلم أن يكون تعلمه، وللعالم أن يكون تعليمه، لوجه الله تعالى جده.

لا يريد به المتعلم أن يكتسب بما يتعلمه مالا، أو يزداد به في الناس جاها، أو على أقرانه استعلاءا، ولأضداده إقماءا.

ولا يريد العالم بتعليمه أن يكثر الآخذون عنه، وإذا أحصوا وجدوا أكثر من الآخذين عن غيره، ولا أن يكون علمه أظهر في الناس من علم غيره.

بل يريد العالم أداء الأمانة بنشر ما حصل عنده، وإحياء معالم الدين وصيانتها عن أن يدرس، كما روي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: لولا آية في كتاب الله لما حدثتكم، ثم قرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ويريد المتعلم عبادة الله عز وجل بطلب علم الدين؛ ليتوصل بما يتعلمه إلى العمل بما يرضى الله عنه، وأن يكثر العلماء، فيكون ذلك أحوط للعلم وأحرى لبقائه، إن انقرض أحدهم، وبالله التوفيق.اهـ.

أول واجب على طالب العلم إصلاح نيته:

قال الإمام الشوكاني في **"أدب الطلب"** (ص ٧): فأول ما على طالب العلم أن يحسن نيته، ويصلح طويته، ويتصور أن هذا العمل الذي قصد له والأمر الذي أراده هو الشريعة التي شرعها الله سبحانه لعباده، وبعث بها رسله، وأنزل بها كتبه. ويجرد نفسه عن أن يشوب ذلك بمقصد من مقاصد الدنيا، أو يخلطه بما يكدره من الإرادات التي ليست منه، كمن يريد به الظفر بشيء من المال، أو يصل به إلى نوع من الشرف، أو البلوغ إلى رئاسة من رئاسات الدنيا، أو جاه يحصله به؛ فإن العلم طيب، لا يقبل غيره، ولا يحتمل الشركة.اهـ.

معتقدا للإخلاص في سعيه.

ثم قال رحمه الله تعالى (ص ٨): فإن من أراد أن يجمع في طلبه العلم بين قصد الدنيا والآخرة فقد أراد الشطط، وغلط أقبح الغلط؛ فإن طلب العلم من أشرف أنواع العبادة، وأجلها، وأعلاها، وقد قال الله سبحانه: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، فقيد الأمر بالعبادة بالإخلاص الذي هو روحها.اهـ.

قوله: ﴿معتقدا للإخلاص في سعيه﴾ قد يعتري طالب العلم ما يخدش في إخلاص نيته أثناء الطلب، وقد يستمر على هذه الحال، فيحتاج إلى تجديد نيته وتصفيتها مما يشوبها. قال الإمام الشوكاني رحمه الله في **"أدب الطلب"** (ص ٩): ومن أهم ما يجب على طالب العلم تصوره عند الشروع واستحضاره عند المباشرة، بل وفي كل وقت من أوقات طلبه، مبتدئا ومنتهيا، متعلما وعالما، أن يقر في نفسه أن هذا العمل الذي هو بصدده هو تحصيل العلم الذي شرعه الله لعباده، والمعرفة لما تعبدهم في محكم كتابه وعلى لسان رسوله، والوقوف على أسرار كلام الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن هذا المطلب الذي هو بسبب تحصيله ليس هو من المطالب التي يقصدها من هو طالب للجاه، والمال، والرياسة. بل هو مطلب يتأجر به الرب سبحانه.اهـ المراد.

إذا لم يرزق النية في أول الأمر:

قد لا يرزق طالب العلم إخلاص النية فيه من أول أمره، فلا ينبغي أن يصده ذلك عن الطلب. بل يستمر في تحصيل العلم النافع، ويجتهد في إصلاح نيته؛ فإن الواقع شاهد برد من استمر في طلب العلم إلى الإخلاص فيه بإذن الله.

وفي هذا المعنى يقول الإمام الذهبي في **"السير"** (٧/ ١٥٢): فقد كان السلف يطلبون العلم لله، فنبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم.

وطلبه قوم منهم أولا لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: «طلبنا هذا العلم، وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعد»، وبعضهم يقول: «طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله»، فهذا أيضا، حسن.اهـ المراد، واستفيد الوصول إلى هذا الموضع من **"العلم"** للعربي (ص ٣٣).

وقد يحصل للمعلم أثناء نشره للعلم شيء من هذا القبيل أيضا، فعليه مجاهدة نفسه في إصلاح نيته، ولا ينبغي أن يكون ما يعرض له من الخدش في نيته سببا لترك التعليم. قال الإمام ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (٢/ ٢٦٠): وقال ابن الجوزي في أوائل **"صيد الخاطر"**: أنا لا أرى ترك التحديث بعلة قول قائلهم: «إني أجد في نفسي شهوة للتحديث»؛ لأنه لابد من وجود شهوة الرياسة؛ فإنها جبلة في الطباع. وإنما ينبغي مجاهدتها، ولا يترك حق لباطل.اهـ.

الحذر من الداء الخفي:

اخذر أيها الطالب! مما يكدر نيتك؛ فإن لذلك عاقبة سيئة في الدنيا والآخرة.

قال الحافظ السخاوي رحمه الله في **"فتح المغيث"** (٣/ ٢١٤-٢١٥) أثناء كلامه على النية في التحديث: لا تريد به معنى سوى التقرب إلى الله، وإن لم تفعل ذلك فما صنعت شيئا! ولا تأمن أن يقول لك الرب سبحانه حين قولك: «تعلمت فيك العلم، وعلمته، وقرأت القرآن»: «كذبت، ولكن ليقال: «قارئ»، فقد قيل». ثم يؤمر بمن يكون كذلك، فيسحب على وجهه حتى يلقى في النار؛ إذ الأعمال بالنيات، ولا يقبل الله منها إلا ما كان خالصا له.اهـ المراد.

وقال الذهبي في **"السير"** (١٨/ ١٩٢) في عاقبة سوء النية في طلب العلم في الدنيا: فكم من رجل نطق بالحق، وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه

لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داء خفي سار في نفوس الفقهاء، كما أنه داء سار في نفوس المنفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والترب المزخرفة.

وهو داء خفي يسري في نفوس الجند، والأمراء، والمجاهدين، فتراهم يلتقون العدو، ويصطدم الجمعان، وفي نفوس المجاهدين مخبآت وكمائن من الاختيال، وإظهار الشجاعة؛ ليقال، والعجب، ولبس القراقل المذهبة، والخوذ المزخرفة، والعدد المحلاة، على نفوس متكبرة وفرسان متجبرة.

وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة، وظلم للرعية، وشرب للمسكر.

فأنى ينصرون؟ وكيف لا يخذلون؟ اللهم! فانصر دينك، ووفق عبادك.

فمن طلب العلم للعمل كسره العلم، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء، والفخر والرياء، تحامق، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العجب، ومقته الأنفس، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس]، أي: دسسها بالفجور والمعصية.اهـ.

الصدق في طلب العلم:

استطرادا على ما تقدم يلزم طالب العلم الصدق في الطلب؛ ليظفر بمطلوبه.

قال الإمام ابن القيم في "**المدارج**" (٣/ ٧) في بيان الصدق باعتبار محله: وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله، وعمله، وحاله، فالصدق في هذه الثلاثة.

فالصدق في الأقوال استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد.

[طلب العلم فضل من الله:]

لا يرى لنفسه الفضل في سعيه. بل يرى لله عز وجل الفضل عليه؛ إذ وفقه لطلب علم ما يعبده به من أداء فرائضه واجتناب محارمه.

والصدق في الأحوال استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة.اهـ.

فإذا صدق الطالب ظفر بمطلوبه، أخرج الإمام النسائي (١٩٥٣) عن **شداد ابن الهاد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ، فآمن به، واتبعه، ثم قال: «أهاجر معك». فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه. فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيا، فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم. فلما جاء، دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ. فأخذه، فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**». قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا -وأشار إلى حلقه- بسهم، فأموت، فأدخل الجنة. فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**»... الحديث.

وقد صحح الحديث الشيخ مقبل في "**الجامع الصحيح**".

وقد يكون طالب العلم صحيح النية، لكنه غير صادق في تحصيله، فلا يجتهد في الطلب، فيفوته المطلوب. وإن حصل على شيء منه فدون المطلوب بمراحل.

قوله: ﴿**لا يرى لنفسه الفضل...**﴾ قال الحافظ ابن القيم في "**المدارج**" (١/ ٤٠٤-٤٠٥): وقال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [**يوسف: ٥٣**].

فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه علم أنها منبع كل شر...اهـ المراد.

قوله: ﴿**بل يرى لله عز وجل الفضل**﴾ قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عقب ما تقدم: وأن كل خير فيها ففضل من الله من به عليها، لم يكن منها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا ...

فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

فهذا الحب وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا بها. ولكن هو الله الذي من بهما، فجعل العبد بسببهما من الراشدين ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٨].

﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح لهذا الفضل، ويزكو عليه وبه، ويثمر عنده.

﴿حَكِيمٌ﴾، فلا يضعه عند غير أهله، فيضيعه بوضعه في غير موضعه.اهـ.

فساد طالب العلم بالعجب:

قال العلامة ابن القيم في **"الفوائد"** (ص ٣٢١): اعلم أن العبد إذا شرع في قول، أو علم، يبتغي به مرضاة الله، مطالعا فيه منة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله، لا بنفسه، ولا بمعرفته، وفكره، وحوله، وقوته. بل هو الذي أنشأ له اللسان، والقلب، والعين، والأذن، فالذي من عليه بذلك هو الذي من عليه بالقول والفعل.

فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته ونظر قلبه لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منة ربه، وتوفيقه، وإعانته.

فإذا غاب عن تلك الملاحظة، وثبت النفس، وقامت في مقام الدعوى، فوقع العجب، ففسد عليه القول والعمل.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله تعالى: فلا شيء أفسد للأعمال من العجب ورؤية النفس!

فإذا أراد الله بعبده خيرا أشهده منته، وتوفيقه، وإعانته له، في كل ما يقوله، ويفعله، فلا يعجب به...اهـ المراد.

ذكر صفته في مشيه إلى العلماء

[صفة مشي طالب العلم:]

يمشي برفق، وحلم، ووقار، وأدب.

قوله: ﴿يمشي برفق، وحلم...﴾ قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ٢٩٧): الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها؛ إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها. ومن منع الرفق منع الخير كما أن من أعطي الرفق أعطي الخير... ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يجب إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة.اهـ.

ومصداق ذلك ما أخرجه الإمام مسلم (٧٧)-(٢٥٩٣) من حديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**».

قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ٢٨٧-٢٨٨) في بيان معنى الحلم: والحلم اسم يقع على زم النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ما نهي عنه. فالحلم يشتمل على المعرفة، والصبر، والأناة، والتثبت.اهـ.

مشي طالب العلم هونا:

ما تقدم وصفه لمشي طالب العلم هو الذي أمر الله به سبحانه وتعالى عباده في قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

[المشي منفردا:]

مكتسب في مشيه كل خير، تارة يحب الوحدة،...

قال العلامة ابن القيم كما في **"بدائع التفسير"** (٢/ ٢٦٥): «الهون» بفتح الهاء من الشيء الهين، وهو مصدر «هان، هونا»، أي: سهل.اهـ.

ثم قال رحمه الله تعالى: فوصف مشيهم بأنه مشي حلم، ووقار، وسكينة، لا مشي جهل، وعنف، وتبختر.اهـ المراد.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله كما في **"تفسيره"** (٥/ ٢١): فأخبر أن عباد الرحمن هم هؤلاء. فإذا كان مأمورا بالسكينة والوقار في الأفعال العادية، التي هي من جنس الحركة، فكيف الأفعال العبادية!؟اهـ المراد.

وأول عباد الرحمن الذين تشملهم هذه الآية هم العلماء لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، ويلتحق بهم طلاب العلم.

ولما قد يتبادر إلى ذهن البعض من الآية المذكورة في سورة الفرقان مما لا يليق في فهمها نبه على ذلك الحافظ ابن كثير في **"تفسيره"** (٣/ ٤٤٥)؛ إذ قال: وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعا ورياءا، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب.اهـ المراد.

قوله: ﴿مكتسب في مشيه كل خير﴾ لطالب العلم في مشيه إلى تحصيل العلم وإلى غيره أيضا، عدة أحوال...

قوله: ﴿تارة يحب الوحدة﴾ يكون هذا غالب حال طالب العلم. ولاسيما في أول الطلب لما في ذلك من المحافظة على وقته الذي هو رأس ماله المبذول في تحصيل العلم. وعلى قدر المحافظة المذكورة تكون الحصيلة العلمية، قال الإمام ابن القيم رحمه الله في **"الفوائد"** (ص ٢٨٧) في سياق ذكر أوصاف طالب النفود إلى كل علم ...

فيكون للقرآن تاليا، وتارة بالذكر مشغولا،...

وغيره:... شعاره الصبر، وراحته التعب، محبا لمكارم الأخلاق، حافظا لوقته، لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم.اهـ المراد.

إيثار الوحدة:

المختار والأنسب لطالب العلم إيثار الوحدة في مشيه وغيره وتقلل الخلطة.

ويكون ذلك أنفع لطالب العلم في أول الأمر وبداية الطلب لما في الوحدة من استجماع الفكر، والمحافظة على الوقت، والبعد عن تشتيت الذهن، والسلامة مما قد تجره الخلطة من المعاصي. ويشهد لهذه المعاني ما حبب للنبي ﷺ من الخلوة في أول أمره، فقد أخرج الإمام البخاري (٣) والإمام مسلم (٢٥٢)-(١٦٠) من حديث **عائشة** رضي الله عنها، أنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي أولات العدد... الحديث.

قال الإمام النووي في **"المنهاج"** (٢/ ١٧٢): قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله حببت العزلة إليه ﷺ؛ لأن معها فراغ القلب، وهي معينة على التفكر، وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويتخشع قلبه، والله أعلم.اهـ.

قوله: ﴿فيكون للقرآن تاليا، وتارة بالذكر مشغولا﴾ شأن طالب العلم الحرص على وقته ووضعه في ما ينفعه في الدنيا والآخرة. وفي هذا المعنى ما قال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام النووي من **"تاريخه"** (٢٩/ ٣٢٨): قال شيخنا ابن العطار: ذكر لي شيخنا رحمه الله أنه كان لا يضيع له وقتا في ليل ولا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتى في ذهابه في الطرق يكرر، أو يطالع...اهـ المراد.

وتارة يحدث نفسه بنعم الله عز وجل عليه، ويقتضي منها الشكر،...

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في **"التذكرة"** (٤/ ١٩٨) عن شيخه: وسمعت من الشيخ، العالم، المحدث، المفتي، بقية السلف، أبي الحسن علي بن إبراهيم بن داود ابن العطار الدمشقي، الشافعي، صاحب الشيخ محيي الدين النووي.اهـ المراد.

فإذا مشى الطالب وحده في سعيه لتحصيل العلم استغل وقته في ذكر الله تعالى بأنواعه؛ ليكون من المفرِّدين الذين ورد في فضلهم ما أخرجه الإمام مسلم (٤)-(٢٦٧٦) عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له: جمدان، فقال: «**سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون**». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرا والذاكرات**».

نقل الإمام ابن رجب في **"جامع العلوم"** (٢/ ٥١٢) عن العلامة ابن قتيبة أنه قال في الحديث: فالمراد بالمفردين المتخلين من الناس بذكر الله تعالى.اهـ المراد.

ويؤيد هذا المراد ما قاله الإمام القرطبي رحمه الله في **"المفهم"** (٧/ ٩): وإنما ذكر النبي ﷺ هذا القول عقيب قوله: «**هذا جمدان**»؛ لأن جمدان جبل منفرد بنفسه هنالك، ليس بحذائه جبل مثله، فكأنه تفرد هناك، فذكره بهؤلاء المفردين.اهـ.

قوله: ﴿وتارة يحدث نفسه بنعم الله عز وجل عليه، ويقتضي منها الشكر﴾ قال الإمام ابن القيم في **"الفوائد"** (ص ٢٣٥): وبالجملة فالقلب لا يخلو قط من الفكر إما في واجب آخرته ومصالحها، وإما في مصالح دنياه ومعاشه، وإما في الوساوس والأماني الباطلة والمقدرات المفروضة.

وقد تقدم أن النفس مثلها كمثل رحى تدور بما يلقى فيها، فإن ألقيت فيها حبا دارت به، وإن ألقيت فيها زجاجا، وحصى، وبعرا، دارت به.

والله سبحانه هو قيم تلك الرحى، ومالكها، ومصرفها. وقد أقام لها ملكا يلقي فيها ما ينفعها، فتدور به، وشيطانا يلقي فيها ما يضرها، فتدور به. الملك يلمُّ بها

ويستعيذ بالله من شر سمعه، وبصره، ولسانه، ونفسه، وشيطانه.

[المشي مصاحبا للغير:]

فإن بلي بمصاحبة الناس في طريقه لم يصاحب إلا من يعود عليه نفعه.

مرة، والشيطان يلم بها مرة، فالحب الذي يلقيه الملك إيعاد بالخير وتصديق بالوعد والحب الذي يلقيه الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالوعد، والطحين على قدر الحب. وصاحب الحب المضر لا يتمكن من إلقائه إلا إذا وجد الرحى فارغة من الحب، وقيمها قد أهملها، وأعرض عنها...اهـ المراد.

قوله: ﴿ويستعيذ بالله من شر سمعه، وبصره، ولسانه، ونفسه، وشيطانه﴾ المناسبة من ذكر المصنف لهذه الجملة هنا مستفادة من كلام الإمام ابن القيم السابق نقله.

وفي ذلك أيضا، تنبيه منه على المفاسد المتوقعة من ملازمة العزلة بلا علم. قال الإمام ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (٤/ ١٢٠) نقلا عن الإمام ابن الجوزي أنه قال فيه: ليس في الدنيا أطيب من تنزه العالم بالعلم، فهو أنيسه وجليسه. وقد قنع بما يسلم به دينه من المباحات الحاصلة، لا عن تكلف ولا عن تضييع دين. وارتدى بالعزلة عن الذل للدنيا وأهلها، والتحف بالقناعة باليسير، إذا لم يقدر على الكثير، فيسلم دينه ودنياه. واشتغاله بالعلم يدله على الفضائل، ويفرجه في البساتين، فهو يسلم من الشيطان، والسلطان، والعوام، بالعزلة.

ولكن لا يصح هذا إلا للعالم؛ فإنه إذا اعتزل الجاهل فاته العلم، فتخبط.اهـ.

قوله: ﴿لم يصاحب إلا من يعود عليه نفعه﴾ أنشد الإمام الحميدي الأندلسي:

لقاء الناس ليس يفيد شيئا ... سوى الهذيان من قيل وقال

فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو إصلاح حال

.اهـ بواسطة **"سير أعلام النبلاء"** (١٩/ ١٢٧).

موضع الماشين بعضهم من بعض:

قال الإمام ابن مفلح رحمه الله تعالى في **"الآداب الشرعية"** (٣/ ٤١١): قال ابن عقيل رحمه الله: ومن مشى مع إنسان، فإن كان أكبر منه وأعلم، مشى عن يمينه، أو خلفه، يقيمه مقام الإمام في الصلاة. وإذا كانا سواءا استحب أن يخلي له عن يساره حتى لا يضيق عليه جهة البصاق والامتخاط.

ومقتضى كلامه استحباب مشي الجماعة خلف الكبير، وإن مشوا عن جانبيه فلا بأس كالإمام في الصلاة.اهـ.

ليست هذه الجملة مسلمة كلها لكراهة السلف المشي خلف الغير، فقد أخرج الإمام أبو خيثمة رحمه الله في **"العلم"** (١٥٨) بالإسناد الصحيح: حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون أن توطأ أعقابهم.اهـ.

وقد أخرج (١٢٣) بالسند الصحيح في سبب هذه الكراهة: حدثنا حجاج بن محمد، عن شعبة، عن الهيثم، عن عاصم بن ضمرة، أنه رأى أناسا يتبعون سعيد ابن جبير، فنهاهم، وقال: إن صنيعكم هذا مذلة للتابع وفتنة للمتبوع.اهـ.

والمختار في موضع جماعة الماشين مع العالم ما يسفاد مما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله (١)-(٨) بإسناده إلى يحيى بن يعمر، أنه قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين، أو معتمرين، فقلنا: «لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر». فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله...الحديث.

قال الإمام النووي في **"المنهاج"** (١/ ١٤٧): وفي هذا تنبيه على أدب الجماعة في مشيهم مع فاضلهم.اهـ المراد، وذكر معناه الإمام ابن مفلح بعد ما تقدم.

قد أقام الأصحاب مقام ثلاثة إما رجل يتعلم منه خيرا، إن كان أعلم منه، أو رجل هو مثله في العلم، فيذاكره العلم؛ لئلا ينسى ما لا ينبغي أن ينساه، أو رجل هو أعلم منه، فيعلمه، يريد الله عز وجل بتعليمه إياه.

ويستفاد من هذا الأدب ما قاله الإمام القرطبي في **"المفهم"** (١/ ١٣٤): لو قاما أمامه لمنعاه المشي، ولو صارا له من جانب واحد لكلفاه الميل إليهما...اهـ.

قوله: ﴿**قد أقام الأصحاب مقام ثلاثة**﴾ قد ذكر الثلاثة دون تقييدها بالمشي القاضي الرامهرمزي رحمه الله تعالى في **"المحدث الفاصل"** (٩٦) عن الإمام عبد الرحمن بن مهدي معلقا لذلك بصيغة الجزم.

العلم حال المشي:

كره بعض الأئمة التعليم والتعلم أثناء المشي. قال الحافظ السخاوي في **"فتح المغيث"** (٣/ ٢٢٦): وكذا صرح الخطيب بالكراهة؛ فقال: يكره التحديث في حالتي المشي والقيام حتى يجلس الراوي والسامع معا، ويستوطنا، فذلك أحضر للقلب وأجمع للفهم. ولكل مقام مقال، وللحديث مواضع مخصوصة، شريفة، دون الطرقات والأماكن الدنية.اهـ المراد.

إن كان مراد الخطيب بكراهة ذلك لورود دليل يدل عليها فمسلم. وإلا فقد سبق تحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ماشيا، وورد في معناه من فعل النبي ﷺ ما قال فيه الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١/ ٤٥٤): ولا بأس أن يسأل العالم قائما وماشيا في الأمر الخفيف لحديث **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينما أمشي مع رسول الله ﷺ في خرب المدينة، وهو يتوكأ على عسيب معه، مر بنفر من يهود خيبر، فقال بعضهم لبعض: «سلوه عن الروح؟». فقام رجل منهم، فقال: يا أبا القاسم! ما الروح؟... وذكر الحديث.

لا يمل من أصحابه لكثرة صحبه. بل يحب ذلك لما يعود عليه من بركته.

[شغل النفس بما ينفع، وإلا شغلت صاحبها بغيره:]

قد شغل نفسه بهذه الخصال، خائف على نفسه أن يشتغل بغير الحق. قد أجمع الحذر من عدوه الشيطان كراهية أن يزين له قبيح ما نهي عنه.

أخرجه البخاري...اهـ المراد.

قوله: ﴿يحب ذلك لما يعود عليه من بركته﴾ الأنسب تنويع المصنف المتقدم في حال مشي الطالب بين الوحدة والخلطة إضافة لما قدمنا بيانه من إيثار الوحدة.

قوله: ﴿قد شغل نفسه بهذه الخصال، خائف على نفسه أن يشتغل بغير الحق﴾ قال الإمام ابن القيم في **"الفوائد"** (ص ٢٣٣): فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر في ما يعنيك دون ما لا يعنيك. فالفكر في ما لا يعني باب كل شر، ومن فكر في ما لا يعنيه فاته ما يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه.

فالفكر، والخواطر، والإرادة، والهمة، أحق شيء بإصلاحه من نفسك؛ فإن هذه خاصتك وحقيقتك التي تبتعد بها، أو تقرب، من إلهك ومعبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربه ورضاه عنك.اهـ المراد.

قوله: ﴿قد أجمع الحذر من عدوه الشيطان﴾ قال الإمام ابن القيم بعد ما تقدم: إياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك؛ فإنه يفسدها عليك فسادا يصعب تداركه، ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرة، ويحول بينك وبين الفكر في ما ينفعك، وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله في بيان ما يحميك من الشيطان وشغله إياك عن ما ينفعك: جماع إصلاح ذلك أن تشغل فكرك في باب العلوم والتصورات بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقوقه، وفي الموت وما بعده إلى دخول الجنة والنار، وفي آفات الأعمال

يكثر الاستعاذة بالله من علم لا ينفع، ويسأله علما نافعا.

همه في تلاوة كلام الله عز وجل الفهم عن الله في ما أمر، ونهى، وفي حفظ السنن، والآثار، والفقه؛ لئلا يضيع ما أمر به، ولأن يتأدب بالعلم.

وطرق التحرز منها، وفي باب الإرادات والعزوم أن تشغل نفسك بإرادة ما ينفعك إرادته وطرح إرادة ما يضرك إرادته.اهـ.

قوله: ﴿يكثر الاستعاذة بالله من علم لا ينفع﴾ أهم ما يشغل به طالب العلم نفسه تحصيل العلم النافع. وقد تقدم بيان ماهيته، وفي ما يلي مزيد تقرير المصنف لهذا المعنى. وقد مهد كلامه في ذلك بالتنبيه على الاستعاذة بالله مما لا ينفع منه ابتداءا منه بالتخلي قبل التحلي؛ إذ اجتناب الرذائل مقدم على التحلي بالفضائل.

وقد ورد في هذا الدعاء ما أخرجه الإمام مسلم (٧٣)-(٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: «**اللهم! إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر. اللهم! آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم! إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**».

قال الشيخ الإثيوبي في "**الذخيرة**" (٣٩/ ٣٩٥): كان يتعوذ من علم لا ينفع صاحبه؛ فإن من العلم ما لا ينفع صاحبه، بل يصير حجة عليه. وذلك بأن لا يعمل به، ولا يعلمه الناس، ولا يهذب به الأخلاق، ولا الأقوال، ولا الأفعال، أو يكون علما لا يحتاج إليه، أو لم يرد إذن شرعي في تعلمه.اهـ.

قوله: ﴿ويسأله علما نافعا﴾ كما أمر الله نبيه ﷺ بذلك، ولنا به ﷺ أسوة حسنة.

قوله: ﴿همه في تلاوة كلام الله عز وجل الفهم...﴾ هذا بيان من المصنف للعلم النافع.

[أهمية الصمت لطالب العلم:]

طويل السكوت عما لا يعنيه، حتى يشتاق جليسه إلى حديثه.

قال الإمام ابن رجب في صدده في **"فضل علم السلف"**: والعلم النافع هو ما كان ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، في معاني القرآن والحديث، وفي ما ورد عنهم من الكلام من مسائل الحلال، والحرام، والزهد، والرقائق، والمعارف، وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولا، ثم الاجتهاد على معرفة معانيه وتفهمه ثانيا.اهـ بواسطة ما نقل منه باختصار في **"نضرة النعيم"** (٧/ ٢٩١٤).

قوله: ﴿طويل السكوت عما لا يعنيه﴾ بل المطلوب سكوت المتكلم إلا في ما يعنيه.

وعلى العبد تعلم الصمت، ولا يتكلم إلا في خير، لما أخرجه الإمام البخاري (٦٤٧٥) والإمام مسلم (٧٤)-(٤٧) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا، أو ليصمت**...» الحديث.

وعلى طالب العلم تعلم الصمت أيضا، والاعتناء به؛ إذ ذاك مفتاح استفادته.

وقد أخرج الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى في **"جامع بيان العلم"** (٩١٥) بالسند الصحيح: **حدثنا** عبد الوارث، نا قاسم، نا أحمد بن زهير، نا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، قال: سمعت أبا الذيال يقول: تعلم الصمت كما تتعلم الكلام، فإن يكن الكلام يهديك فإن الصمت يقيك. ولك في الصمت خصلتان، تأخذ به علم من هو أعلم منك، وتدفع به عنك من هو أجدل منك.اهـ المراد.

قوله: ﴿حتى يشتاق جليسه إلى حديثه﴾ لما كان بالعبد حاجة للتكلم وضع المصنف لوقت الكلام الضابط المذكور. وأحسن من ذلك ما يستفاد من الحديث السابق،

ويبينه ما قاله الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى في **"جامع بيان العلم"** (١/ ٤٤٩): الكلام بالخير أفضل من السكوت؛ لأن أرفع ما في السكوت السلامة، والكلام بالخير غنيمة، وقد قالوا: من تكلم بالخير غنم، ومن سكت سلم.اهـ المراد.

شروط السلامة من زلل الكلام:

قال العلامة الماوردي في **"الأدب"**: واعلم أن للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يعرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها، وهي أربعة،

الشرط الأول أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع، أو دفع ضرر. ذلك أن ما لا داعي له هذيان، وما لا سبب له هجر. ومن سامح نفسه في الكلام إذا عن، ولم يراع صحة دواعيه وإصابة معانيه، كان قوله مرذولا ورأيه معلولا.

الشرط الثاني أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته؛ لأن الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به، وما لا ينفع من الكلام فقد تقدم القول بأنه هذيان وهجر.

فإن قدم ما يقتضي التأخير كان عجلة وخرقا، وإن أخر ما يقتضي التقديم كان توانيا وعجزا؛ لأن لكل مقام قولا وفي كل زمان عملا.

الشرط الثالث أن يقتصر منه على قدر حاجته؛ فإن الكلام إن لم ينحصر بالحاجة، ولم يقدر بالكفاية، لم يكن لحده غاية ولا لقدره نهاية.

وما لم يكن من الكلام محضورا كان إما حصرا إن قصر، وهذرا إن كثر.

والشرط الرابع اختيار اللفظ الذي يتكلم به؛ لأن اللسان عنوان الإنسان، يترجم عن مجهوله، ويبرهن عن محصوله، فيلزم أن يكون بتهذيب ألفاظه حريا وبتقويم لسانه مليا.اهـ بواسطة **"نضرة النعيم"** (٧/ ٢٦٣٥-٢٦٣٦).

[كلما ازداد علمك ازداد خوفك:]

إن ازداد علما خاف من ثبات الحجة، فهو مشفق في علمه، كلما ازداد علما ازداد إشفاقا.

إن فاته سماع علم قد سمعه غيره، فحزن على فوته، لم يكن حزنه بغفلة حتى يواقف نفسه، ويحاسبها على الحزن، فيقول: «لم حزنت؟ احذري يا نفس! أن يكون الحزن عليك، لا لك، إذ سمعه غيرك، فلم تسمعيه أنت، فكان أولى بك أن تحزني على علم قد قرع السمع، وقد ثبتت عليك به الحجة، فلم تعملي به. فكان حزنك على ذلك أولى من حزنك على علم لم تسمعيه! ولعلك لو قدر لك سماعه كانت الحجة عليك أوكد!»، فاستغفر الله من حزنه، وسأل مولاه الكريم أن ينفعه بما قد سمع.

قوله: ﴿إن ازداد علما خاف من ثبات الحجة، فهو مشفق في علمه﴾ قد تقدم الكلام على هذا المعنى في الكلام على خشية العالم لله تبارك وتعالى. ولما كان اتصاف العالم بهذه الصفة ذا أهمية أعاد المصنف ذكرها هنا.

وأفاد المصنف ههنا ضابطا يعرف به العبد ماهية ما ناله من العلم، أهو النافع الذي يزيده عملا، أم الذي يقيم به الحجة على نفسه. وذلك ما قال فيه ما يلي...

قوله: ﴿إن فاته سماع علم قد...﴾ طالب العلم يحزن على ما فاته من علم لم يسمعه هو، وسمعه غيره. ولكن لا يكون حزنه لمجرد فوات ذلك العلم. بل كذلك لما فاته من العمل بالعلم الذي فاته سماعه.

ويشبه أن يكون في معنى هذا الباب ما أخرجه الإمام البخاري (٢٠٦٢) والإمام مسلم (٣٦)-(٢١٥٣) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه استأذن على ...

صفة مجالسته للعلماء

[آداب مجالسة الطالب لمعلمه:]

فإذا أحب مجالسة العلماء...

عمر ثلاثا، فكأنه وجده مشغولا، فرجع. فقال عمر: «ألم تسمع صوت عبد الله ابن قيس!؟ ائذنوا له»، فدعي له، فقال: ما حملك على ما صنعت. قال: إنا كنا نؤمر بهذا. قال: «لتقيمن على هذا بينة، أو لأفعلن». فخرج، فانطلق إلى مجلس الأنصار. فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا. فقام أبو سعيد، فقال: كنا نؤمر بهذا. فقال عمر: خفي علي هذا من أمر رسول الله ﷺ... الحديث.

قوله: ﴿فإذا أحب مجالسة العلماء﴾ من أهم ما يتخلق به طالب العلم قبل المجالسة تحريه لمن يأخذ عنه العلم لما قاله القاضي عياض في **"الإلماع"** (ص ٢٥): ليبحث عن حقيقة من يظهر منه خير وعلم؛ لئلا يكون على بدعة وهوى، فيشربه إياه، ويلقنه له، ويرويه من الظواهر التي يحتج بها على بدعته وأباطيل الأحاديث الموضوعة مما يضره، وينبز بعد بصحبته له، فقد أضر ذلك بجماعة من أهل هذا الشأن.اهـ.

وفي معناه ما أخرجه الإمام ابن وضاح القرطبي في **"البدع"** (١٣٨) بالإسناد الحسن: **أخبرنا** أسد، قال: نا عبد الرحمن بن زياد، عن إسماعيل بن عياش، عن أبي سلمة سليمان بن سليم الحمصي، عن الحسن البصري، قال: لا تجالس صاحب هوى، فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه، فتهلك، أو تخالفه، فيمرض قلبك.اهـ.

جالسهم بأدب، وتواضع في نفسه، وخفض صوته عند صوتهم.

ويدل على هذا ما أخرجه الإمام أبو داود (٤٨٣٣) عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**».

وقد حسن هذا الحديث الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

وهذا التحري دليل فقه طالب العلم، فقد أخرج الإمام ابن وضاح رحمه الله تعالى في **"البدع"** (١٣٢) بالإسناد الصحيح: أخبرنا أسد، قال: نا حماد بن زيد، عن أيوب، قال: قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.

قال أيوب: وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب.اهـ.

ووجه الفقه في المسألة حيث كان مقصود طالب العلم وغايته المحمودة طلب العلم لإصلاح حاله، فإذا كانت استفادته للعلم ممن حاله فاسدة كأهل الأهواء والبدع متى تصلح حال الطالب؛ فإن فاقد الشيء لا يعطيه!؟

ومن وفق لأخذ العلم من أهل السنة من أول وهلة فليحمد الله. وإلا يفوت طالب العلم خير كثير، وضاع وقته في ما لا ينفع، بل يضر. قال الإمام البرذعي رحمه الله في **"سؤالاته للإمام أبي زرعة"** (١٠٠٨): قال أبو زرعة: كان أهل الرأي قد افتتنوا بأبي حنيفة، وكنا أحداثا نجري معهم.

ولقد سألت أبا نعيم عن هذا، وأنا أرى أني في عمل! ولقد كان الحميدي يقرأ كتاب **"الرد"**، ويذكر أبا حنيفة، وأنا أهم بالوثوب عليه... حتى من الله علينا، وعرفنا ضلالة القوم.اهـ المراد.

قوله: ﴿جالسهم بأدب، وتواضع في نفسه، وخفض صوته عند صوتهم﴾ في هذه الجملة يشير المصنف إلى بعض آداب مجالسة الطالب عند معلمه يأتي تفصيلها في ما يلي...

الجلوس في الحلقة:

لما كان غالب أحوال الطالب في الاستفادة من معلمه أثناء جلوسه في الحلقة تعين عليه تعلم آداب ذلك الجلوس. وقد جمعت جملة منها في ما أخرجه الإمام البخاري (٦٦) والإمام مسلم (٢٦)-(٢١٧٦) من حديث **أبي واقد الليثي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد. قال: فوقفا على رسول الله ﷺ... فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة، فجلس فيها. وأما الآخر فجلس خلفهم. وأما الثالث فأدبر ذاهبا. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله، فآواه الله. وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه. وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه**».

قال الإمام القرطبي رحمه الله في "**المفهم**" (٥/ ٥٠٨): وفيه التحلق لسماع العلم في المسجد حول العالم، والحض على سد خلل الحلقة؛ لأن القرب من العالم أولى لما يحصل من ذلك من حسن الاستماع والحفظ، والحال في حلق الذكر كالحال في صفوف الصلاة، يتم الصف الأول، فإن كان نقص ففي المؤخر.اهـ.

ومن آداب هذه المجالسة ما نبه عليه الشيخ ابن عثيمين في شرحه على "**حلية طالب العلم**" (ص ٩٢)؛ حيث قال: اجلس جلسة المتأدب، يعني لا تمد رجليك بين يديه؛ لأن هذا سوء أدب. ولا تجلس متكئا. هذا أيضا، سوء أدب.اهـ المراد.

لزوم التواضع:

تواضع طالب العلم لله لازم له في سائر أحواله؛ فإن مقدار علمه على مقدار تواضعه. وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وأخرج الإمام مسلم رحمه الله (٦٩)-(٢٥٨٨) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «... **وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**».

فدلت الآية على رفع الله للعبد على قدر علمه، ودل الحديث على رفعه جل وعلا له على قدر تواضعه... وقد صور بعضهم هذا المعنى بما نقله الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٩٤٧)؛ إذ قال: وقالوا: المتواضع من طلاب العلم أكثر علما كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءا.اهـ.

وهكذا كان الصحابة في جلوسهم حول النبي ﷺ، أخرج الإمام أبو داود (٤٧٥٣) من حديث **البراء بن عازب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير... الحديث.

وقد حسن هذا الحديث الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

والعكس صحيح أيضا؛ فإن ترك الطالب للتواضع سبب لتفويت علم كثير عليه، قال الشاعر:

العلم حرب للفتى المتعالي ... كالسيل حرب للمكان العالي

.اهـ بواسطة **"حلية طالب العلم"** (ص ٣٤).

وفي آخر **"سؤالات الإمام السلفي للإمام خميس بن علي"**:

كم جاهل متواضع ... ستر التواضع جهله

ومبرز في علمه ... هدم التكبر فضله

فدع التكبر ما حييت ... ولا تصاحب أهله

فالكبر عيب للفتى ... أبدا يقبح فعله

.اهـ.

خفض الصوت لإنصات المعلم:

تقدم الكلام المتعلق بإنصات المتعلم لمعلمه وبيان كونه سببا في الاستفادة منه. ونضيف هنا ما يقرر ذاك المعنى، وينبه على ما يصدر من الطالب مما يخل به.

قال الشيخ أبو زيد في **"الحلية"** (ص٩١): فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وترك التطاول والمماراة أمامه.اهـ المراد.

وحذر شيخنا سعيد بن دعاس في **"منهجية طلب العلم"** (ص ١٨٠-١٨١) عن هذا الخطإ وسوء مآل مرتكبه؛ حيث قال: فكم من طالب علم صار ضحية الأهواء، والتحزبات، والفتن، بعد زمن قضاه في الطلب، حيث أحس من نفسه فهما واستفادة، فإذا به يستطيل على شيخه، ويظن في نفسه أن قد فاق شيخه فهما وإدراكا، فلا يألو جهدا في سرعة الاستدراك والمعارضة لشيخه ظانا أنه أصوب رأيا وأمتن إدراكا، واضعا نفسه بمنزلة شيخه! ونسي أنه كان بالأمس القريب بين يديه متعلما. وربما لا زال ينهل من علومه، ويستضيء بفهومه، وهو يركب هذه الوقاحة!؟اهـ المراد.

ونظير هذه الوقاحة ما قال فيه الشيخ بكر أبو زيد في **"التعالم"** (ص ٦٥):... وبيانه أن بعض من هذه حاله من مبتدئ في الطلب، أو من عفى على معلوماته الزمن، تجده يلتقط المسألة والمسألتين، ويحبر النظر فيها، فيتنمر بها في المجالس وفي مواجهة من لا يعشرهم؛ ليظهر فضل علم لديه، ويمتحن الأشياخ على يديه، في مقاصد هزيلة.

وكم في الحضور من يمقته، ويقليه، ويبغضه، ويشينه. وقد جرب على هذا الصنف أنه لا ينشر له القبول في الأرض.اهـ المراد.

وقارن بين هذا التعالم والوقاحة المذكورة قبله وبين ما نقله الإمام الذهبي في **"السير"** (٨/ ٤٢٠) من **"تاريخ أبي عمر أحمد بن سعيد الصدفي"**؛ إذ قال: محمد ابن وضاح عن يحيى بن يحيى الليثي، قال: كنا عند مالك، فاستؤذن لعبد الله بن المبارك بالدخول، فأذن له، فرأينا مالكا تزحزح له في مجلسه، ثم أقعده بلصقه. وما رأيت مالكا تزحزح لأحد في مجلسه غيره! فكان القارئ يقرأ على مالك، فربما مر بشيء، فيسأله مالك؛ ما مذهبكم في هذا، أو ما عندكم في هذا؟ فرأيت ابن المبارك يجاوبه. ثم قام، فخرج. فأعجب مالك بأدبه. ثم قال لنا مالك: هذا ابن المبارك فقيه خراسان.اهـ.

سند القصة حسن. وذكرها الحافظ في **"التهذيب"** (٢/ ٤١٧) بصيغة الجزم، وقيد فيها جواب الإمام ابن المبارك للإمام مالك بالخفاء!

ومما يجتنبه الطالب من الخطإ المخل بالأدب في إنصات معلمه ما قال الشيخ بكر أبو زيد بعد ما تقدم نقله من **"الحلية"**: أو مداخلته في حديثه.اهـ المراد.

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح ذلك: معناها الشيخ يتكلم مستمرا في كلامه، فتأتي أنت، وتدخل فيه، أي: في كلامه؛ لتقطع الكلام.

هذا لا يصح لا في الدرس ولا خارج الدرس؛ لأنه من سوء الأدب.اهـ.

ومن تجرأ على هذه المداخلة استحق تأديب المعلم له بالإعراض عنه حتى ينهي كلامه، فقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى (٥٩) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي، فقال: «متى الساعة؟»، فمضى رسول الله ﷺ يحدث... فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال. وقال بعضهم: «بل لم يسمع». حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين** -أراه- **السائل عن الساعة؟**». قال: ها أنا يا رسول الله! قال: «**فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»... الحديث.

[آداب السؤال:]

وسألهم بخضوع،...

قال الحافظ رحمه الله تعالى في **"الفتح"** (١/ ١٨٨) في شرح تبويب الإمام البخاري على الحديث: محصله التنبيه على أدب العالم والمتعلم.

أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل. بل أدبه بالإعراض عنه أولا حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه، فرفق به؛ لأنه من الأعراب، وهم جفاة.

وفيه العناية بجواب سؤال السائل، ولو لم يكن السؤال متعينا ولا الجواب.

وأما المتعلم فلما تضمنه من أدب السائل أن لا يسأل العالم، وهو مشتغل بغيره؛ لأن حق الأول مقدم.اهـ.

قوله: ﴿وسألهم﴾ أخرج الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ٣٢) بالإسناد الصحيح: وأخبرنا ابن الفضل، أنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، نا يعقوب بن سفيان، ثني زيد بن بشر وعبد العزيز بن عمران، قالا: أنا ابن وهب، ثني يونس، عن ابن شهاب، أنه قال: إنما هذا العلم خزائن، وتفتحها المسألة.اهـ.

السؤال مفتاح العلم، وله آداب يراعيها الطالب وعوائق يجتنبها.

قوله: ﴿بخضوع﴾ الأنسب التعبير بما يفيد معنى الرفق، وهو المصرح به في ما يأتي من كلام المصنف. والرفق في السؤال سبب لاستفادة الطالب من معلمه العلم الكثير، وقد تقدم قول النبي ﷺ: «**يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف**».

وفي هذا المعنى ما أخرجه الإمام محمد بن سعد بسند صحيح في **"الطبقات"** (٥/ ١٩٤): وقال يونس بن محمد، عن حماد بن زيد، عن معمر، عن الزهري، قال: كان أبو سلمة يسأل ابن عباس، فكان يخزن عنه. وكان عبيد الله بن عبد الله يلطفه، فكان يعزه عزا.اهـ.

علقه الحافظ في **"التهذيب"** (٣/ ١٥) بالجزم، والكلمتان الأخيرتان فيه بالراء قبلها معجمة. وهذا الأنسب من حيث المعنى، قال الإمام ابن الأثير في **"النهاية"** (٢/ ٢٩٩):... «كان النبي ﷺ يغر عليا بالعلم»، أي: يلقمه إياه.اهـ المراد.

ممماراة المعلم سبب حرمان علم كثير:

مما ينافي رفق الطالب لمعلمه المماراة. وبسببها حرم أبو سلمة علم ابن عباس، ففي الأثر المتقدم سؤاله له، لكن لما كان سؤال مماراة أدبه ابن عباس بعدم إفادته.

أخرج الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٨٣٥) بإسناد صحيح: حدثنا عبد الوارث بن سفيان، نا قاسم بن أصبغ، نا أحمد بن زهير...اهـ المراد.

وساق تمام الإسناد وما انتهى إليه من الأثر، ثم ساقه من جهة أخرى، ثم قال (٨٣٧): ونا مؤمل بن إهاب، نا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، قال: كان أبو سلمة يماري ابن عباس، فحرم بذلك علما كثيرا.اهـ.

علقه الحافظ في **"التهذيب"** (٤/ ٥٣٢) بصيغة الجزم، وفيه «كثيرا ما يخالف».

وإذا ثبتت هذه الرواية بينت معنى المماراة في السابقة. وفي هذا الصدد ما قاله الشيخ ابن عثيمين في شرحه على **"حلية الطالب"** (ص ٩٣): يسألك عن مسألة من المسائل، تجيبه. ثم يأتي بمسألة فرضية تجيبه على هذا الفرض، تجيب بفرض آخر أضيق من الأول. هذه مماراة، ليس لها داع.اهـ.

ثم قد تجلب جوابا من المعلم قد يشق على الطالب تحمله. وفي ذلك ما أخرجه الإمام البخاري (٢٥٢) والإمام مسلم (٥٧)-(٣٢٩) من حديث **جابر بن عبد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من جنابة صب على رأسه ثلاث حفنات من ماء. فقال له الحسن بن محمد: إن شعري كثير. قال جابر: فقلت له: يا ابن أخي! كان شعر رسول الله ﷺ أكثر من شعرك وأطيب.

قال الحافظ في **"الفتح"** (١/ ٤٧٥): وفيه جواز الرد بعنف على من يماري بغير علم، إذا قصد الراد إيضاح الحق وتحذير السامعين من مثل ذلك.اهـ.

ما يكره من كثرة السؤال:

مما يراعيه الطالب من الآداب في سؤال معلمه عدم الإكثار عليه لما يأتي تنبيه المصنف عليه من ضجر المعلم بسبب ذلك.

وفي كراهة كثرة السؤال ما أخرجه الإمام البخاري (١٤٧٧) والإمام مسلم (١٣)-(٥٩٣) من حديث **المغيرة بن شعبة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله كره لكم ثلاثا، قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**».

قال الحافظ رحمه الله في **"الفتح"** (١٠/ ٥٠٠): قوله: «**وكثرة السؤال**» تقدم في كتاب الزكاة بيان الاختلاف في المراد منه، وهل هو سؤال المال، أو السؤال عن المشكلات والمعضلات، أو أعم من ذلك؟ وأن الأولى حمله على العموم.اهـ.

ويندرج تحت عمومه ما نحن بصدده، ويشهد له ما أخرجه الإمام البخاري (٥٢٧)، وهذا اللفظ له، والإمام مسلم (١٣٧)-(٨٥) عن **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: سألت النبي ﷺ؛ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قال: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**». قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**». قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني.

قال الحافظ في **"فتح الباري"** (٢/ ١٥): كأنه استشعر منه مشقة، ويؤيده ما في رواية لمسلم: «فما تركت أن أستزيده إلا إرعاءا عليه»، أي: شفقة عليه.اهـ المراد.

وقال النووي في **"المنهاج"** (٢/ ٦٧): معناه إبقاءا عليه ورفقا به.اهـ.

وعلى هذا فالإكثار من سؤال المعلم مناف للرفق به، فيسبب حرمان علم كثير أيضا! ومن ذلك ما قال فيه الإمام أبو داود في **"سؤالاته للإمام أحمد"** (٤٨١):

ويكون أكثر سؤاله عن علم ما تعبده الله به.

سمعت أحمد، قال: جاء شعبة إلى حميد الطويل، فحدث بحديث، فقال: أسمعته؟ قال: «فجعل حميد يقول هكذا»، وجعل أحمد يقلب كفه. قال: فلما قام قال حميد: ما فيه حديث إلا سمعته، ولكنه شدد، فشدد عليه.اهـ.

ووجه ذلك الاستقصاء المعهود من الإمام شعبة في سؤاله عن الحديث.

وتقدم اندراج المعضلات تحت عموم حديث المغيرة السابق الذكر. وفي بيان معنى هذه المعضلات يقول العلامة ابن الأثير في **"النهاية"** (٢/ ٣١٤-٣١٥): أراد المسائل التي يغالط بها العلماء؛ ليزلوا فيها، فيهيج بذلك شر وفتنة. وإنما نهى عنها؛ لأنها غير نافعة في الدين، ولا تكاد تكون إلا في ما لا يقع.اهـ.

وقد نبه المصنف في كلامه التالي على حرص الطالب في سؤاله على ما ينفعه.

قوله: ﴿يكون أكثر سؤاله عن علم ما تعبده الله به﴾ هذا هو الذي حمدته أمنا عائشة بقولها: نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

أخرجه الإمام مسلم (٦١)-(٣٣٢).

حسن السؤال نصف العلم:

قال الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ٣٣): ينبغي أن يوجز السائل في سؤاله، ويحدد كلامه، ويقلل ألفاظه، ويجمع فيها معاني مسلمة؛ فإن ذلك يدل على حسن معرفته.اهـ.

قال الحافظ في **"الفتح"** (١/ ١٦٦) في سياق شرح حديث أبي هريرة في سؤال جبريل عن مراتب الدين: قال ابن المنير: في قوله: «**يعلمكم دينكم**» دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علما وتعليما؛ لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال ومع ذلك فقد سماه معلما. وقد اشتهر قولهم: «حسن السؤال نصف العلم».

ويخبرهم أنه فقير إلى علم ما يسأل عنه.

ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث؛ لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال والجواب معا.اهـ.

قوله: ﴿ويخبرهم أنه فقير إلى علم ما يسأل عنه﴾ جعل المصنف ذلك من الآداب التي يراعيها الطالب في سؤال معلمه.

ويستغنى عن ذلك بتفطن المعلم لمن يسأله عما يحتاج إليه ومن ليس كذلك.

وفي هذا المعنى ما أخرجه الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى في **"الجرح والتعديل"** (٧/ ٨): حدثنا حجاج بن حمزة، نا علي بن الحسين بن شقيق، نا أبو حمزة -يعني السكري-، نا يزيد النحوي، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: انطلق، فأفت الناس، وأنا لك عون. قال: قلت: لو كان مع الناس مثلهم أفتيتهم. قال: انطلق، فأفت الناس، فمن سألك عن ما يعنيه فأفته. ومن سألك عن ما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثلثي مؤنة الناس.اهـ.

والإسناد صحيح، إلا أنه تصحف اسم علي! وإنما هو ابن الحسن!

المناظرة للحاجة:

قد يحتاج الطالب أحيانا إلى إيراد أكثر من سؤال في مسألة ما لرفع ما يشكل عليه فيها. قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في **"التمهيد"** (٢٣/ ٥١٥): فمن سأل مستفهما، راغبا في العلم ونفي الجهل عن نفسه، باحثا عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشفاء العي السؤال.اهـ المراد.

يشير بهذا الكلام إلى ما يستثنى من حكم كراهة كثرة السؤال.

ولكن لهذه المناظرة آداب يأتي ذكر بعضها قريبا في هذا الفصل، ثم في فصل مستقل في هذه المسألة، إن شاء الله.

[شكر المعلم والصبر عليه:]

فإذا استفاد منهم علما أعلمهم أني قد أفدت خيرا كثيرا، ثم شكرهم على ذلك.

وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم، ونظر إلى السبب الذي من أجله غضبوا عليه، فرجع عنه، واعتذر إليهم.

قوله: ﴿شكرهم على ذلك﴾ هذا الشكر من الأمور المهمة التي يستجلب به طالب العلم توفيق الله له للاستمرار. قال شيخنا سعيد بن دعاس في **"منهجية طلب العلم"** (ص ١٧٩): ومن لم يشكر المعروف لأهله لا يوفق لشكر الله.اهـ المراد.

ومصداق ذلك في ما أخرجه الإمام أبو داود (٤٨١١) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**».

وقد صحح الحديث على شرط مسلم الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

قال شيخنا رحمه الله تعالى بعد ما تقدم نقله: ومن لم يشكر الله خذل، وفاته عون الله سبحانه وتعالى، ومزيد فضله، وإحسانه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].اهـ.

قوله: ﴿وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم، ونظر إلى السبب...﴾ قال العلامة ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (٢/ ١١٣): ينبغي أن يتحمل الطالب ما يكون من الشيخ، أو من بقية الطلبة؛ لئلا يفوته العلم.اهـ المراد.

حتى وإن صدر غضب من المعلم صبر الطالب لاستخراج ما لديه من العلم.

أخرج الإمام مسلم (٦٧)-(٥٦٠) بإسناده إلى ابن أبي عتيق، قال: تحدثت أنا والقاسم عند **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حديثا. وكان القاسم رجلا لحانة، وكان لأم ولد، فقالت له عائشة: ما لك لا تحدث كما يتحدث ابن أخي هذا؟ أما إني قد علمت ...

لا يضجرهم في السؤال، رفيق في جميع أموره.

لا يناظرهم مناظرة من يريهم أني أعلم منكم. وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم مع حسن التلطف لهم. لا يجادل العلماء، ولا يماري السفهاء.

يحسن التأني للعلماء مع توقيره لهم حتى يتعلم ما يزداد به عند الله فهما في دينه.

من أين أتيت، هذا أدبته أمه، وأنت أدبتك أمك. قال: فغضب القاسم، وأضب عليها. فلما رأى مائدة عائشة قد أتي بها قام. قالت: أين؟ قال: أصلي. قالت: اجلس. قال: إني أصلي. قالت: اجلس غدر!... الحديث.

قال الإمام النووي في **"المنهاج"** (٥/ ٤٣): وإنما قالت له: «غدر»؛ لأنه مأمور باحترامها، لأنها أم المؤمنين، وعمته، وأكبر منه، وناصحة له، ومؤدبة. فكان حقه أن يحتملها، ولا يغضب عليها.اهـ المراد.

قال الإمام ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (٢/ ١٧٧) بعد نقل كلامه: وعلى هذا ينبغي للتلميذ أن يصبر، ويحتمل، ولا يغضب؛ لئلا يفوته العلم.اهـ المراد.

قوله: ﴿لا يضجرهم في السؤال...﴾ تقدم الكلام على السؤال، والمناظرة، والمماراة.

قوله: ﴿يحسن التأني للعلماء﴾ هذا مما يندرج في صبر الطالب على المعلم، ويدرك به خيرا كثيرا. ودليل ذلك ما في **"سؤالات السلمي للإمام الدارقطني"** (٣٢٧): قال أبو عبيد القاسم بن سلام: أدركت من العلم ما أدركت، وما استأذنت على أحد من الشيوخ قط. إنما أصبر أن يخرج، وأن أتأول فيه قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الحجرات: ٥].اهـ.

قوله: ﴿مع توقيره لهم﴾ هذا أيضا، من شكر الطالب معلمه الذي هو سبب توفيقه للاستمرار كما سبق تقريره.

صفته إذا عرف بالعلم

[تواضع العالم:]

فإذا نشر الله له الذكر عند المؤمنين أنه من أهل العلم، واحتاج الناس إلى ما عنده من العلم، ألزم نفسه التواضع للعالم وغير العالم.

قال الحافظ السخاوي في **"فتح المغيث"** (٣/ ٢٩٥) في سياق كلامه على آداب الطالب اتجاه معلمه: بجله، أي: عظمه، واحترمه، ووقره لقول طاوس: «من السنة أن توقر العالم»، بل لقوله ﷺ: «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا**».

ولا شك أنه بمنزلة الوالد وأعظم، وإجلاله من إجلال العلم.اهـ المراد.

قوله: ﴿**ألزم نفسه التواضع**﴾ قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ٩٢): لا يمتنع من التواضع أحد، فالتواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد.

وثمرة التواضع المحبة كما أن ثمرة القناعة الراحة. وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته. وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة مذرة، وآخره يعود جيفة قذرة، وهو بينهما يحمل العذرة!؟اهـ.

قوله: ﴿**للعالم وغير العالم**﴾ قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ٩٣): فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سنا منه تواضع له، وقال: «سبقني إلى الإسلام»، وإذا رأى من هو أصغر سنا [منه] تواضع له، وقال: «سبقته بالذنوب»، وإذا رأى من هو مثله عده أخا، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه!؟اهـ.

فأما تواضعه لمن هو مثله في العلم فإنها محبة تنبت له في قلوبهم، وأحبوا قربه. وإذا غاب عنهم حنت إليه قلوبهم.

وأما تواضعه للعلماء فواجب عليه؛ إذ أراه العلم ذلك.

وأما تواضعه لمن هو دونه في العلم فشرف العلم له عند الله وعند أولي الألباب.

قوله: ﴿تواضعه لمن هو مثله في العلم فإنها محبة تنبت له في قلوبهم...﴾ هذه علامة تواضع العالم، متى وجدت دلت عليه.

والعكس بالعكس، قال الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى في **"روضة العقلاء"** (ص ٩٣): ما استجلبت البغضة بمثل التكبر، ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع. ومن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء.اهـ.

قوله: ﴿تواضعه للعلماء فواجب﴾ وإلا فقد طغى، قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ٩١): العاقل يلزم مجانبة التكبر لما فيه من الخصال المذمومة...

إحداها أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه، ويرى لها على غيرها الفضل.

والثانية ازدراؤه بالعالم؛ لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم. وكفى بالمستحقر لمن أكرمه الله بالإيمان طغيانا.اهـ المراد.

قوله: ﴿تواضعه لمن هو دونه في العلم فشرف العلم له عند الله﴾ يتواضع له نظرا لما ناله من العلم الذي شرفه الله.

ومن تكبر على من دونه فجزاؤه ما قاله الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ٩٣): ما رأيت أحدا تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه.اهـ.

والجزاء من جنس العمل.

[صيانة العالم لعلمه:]

وكان من صفته في علمه، وصدقه، وحسن إرادته، يريد الله بعلمه، فمن صفته أنه لا يطلب بعلمه شرف منزلة عند الملوك، ولا يحمله إليهم،...

قوله: ﴿**يريد الله بعلمه**﴾ تقدم الكلام على النية والصدق في طلب العلم. والمقصود في هذا الفصل مزيد تقرير لما يحتاجه طالب العلم من مسائل متعلقة بنيته فيه.

قوله: ﴿**لا يطلب بعلمه شرف منزلة عند الملوك، ولا يحمله إليهم**﴾ عقد الإمام ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" بابا في إتيان العالم السلطان، ولخص معناه قبيل إنهائه (١/ ٥٢٠-٥٢١) قائلا: معنى هذا الباب كله في السلطان الجائر، الفاسق. فأما العدل منهم، الفاضل، فمداخلته، ورؤيته، وعونه على الصلاح، من أفضل أعمال البر. ألا ترى أن عمر بن عبد العزيز إنما كان يصحبه جلة العلماء.اهـ.

ثم قال رحمه الله: وإذا حضر العالم عند السلطان غبا في ما فيه الحاجة إليه، وقال خيرا، ونطق بعلم، كان حسنا، وكان في ذلك رضوان الله إلى يوم يلقاه. ولكنها مجالس الفتنة فيها أغلب، والسلامة منها ترك ما فيها.اهـ.

وعلى هذه السلامة يحمل إطلاق المصنف في قوله: «ولا يحمله إليهم». وإلا فالصواب في المسألة التقييد المتقدم، ودليله ما أخرجه الإمام الترمذي (٢٢٥٩) عن **كعب بن عجرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ، ونحن تسعة، خمسة وأربعة، أحد العددين من العرب والآخر من العجم، فقال: «**اسمعوا. هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم، فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني، ولست منه، وليس بوارد علي الحوض. ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني، وأنا منه، وهو وارد علي الحوض**».

صائن للعلم إلا عن أهله.

صحح الحديث الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**، وبوب عليه (١/ ٤٥) بقوله: الميزان في دخول العالم إلى السلطان.اهـ.

تقسيم العلماء باعتبار مقصودهم:

استطرادا على ما تقدم ننقل ههنا تقسيم الشيخ العثيمين في **"الشرح الممتع"** (٩/ ٤٦٣-٤٦٥) للعلماء إلى ثلاثة بحسب مقصودهم...

فالأول ما قال رحمه الله فيه: علماء الدولة، هم الذين ينظرون ماذا تريد الدولة، فيلتمسون له أدلة متشابهة، فيتبعون ما تشابه من الأدلة إرضاءا للدولة.اهـ.

والثاني علماء الأمة، قال فيهم: ينظرون ماذا تريد الأمة، ويمشون عليه.اهـ.

والقسم الثالث ما قال فيه: علماء الملة، هم الذين لا يريدون إلا أن يكون دين الله هو الأعلى، وكلمته هي العليا.اهـ المراد.

قوله: ﴿**صائن للعلم إلا عن أهله**﴾ إذ خلافه وضع للعلم في غير محله.

وعلى هذا فمقتضى حكمة العالم التحري لمن يعلم، قال القاضي عياض رحمه الله في **"الإلماع"** (ص ١٠١): **أخبرنا** أبو علي الجياني من كتابه، قال بعض شيوخي:

صن العلم قدره وارع حقه ولا تلقه إلا إلى كل منصف

.اهـ المراد.

قال العلامة ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (٢/ ٢١٣): في **"الصحيحين"** قول ابن عباس لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن الموسم يجمع الرعاع والغوغاء، فأمهل حتى تقدم المدينة، فتخلص بأهل الفقه». فقدمنا المدينة...

وذلك أن عمر قبل مشورة ابن عباس، فلم يتكلم بذلك حتى قدم المدينة.

قال ابن الجوزي: في هذا تنبيه على أن لا يودع العلم عند غير أهله.اهـ المراد.

ولا يأخذ على العلم ثمنا، ولا يستقضي به الحوائج.

وعلى هذا فأصل التحري السابق الذكر من فعل الصحابة.

وفي الباب من عمل الأئمة ما قال فيه الإمام البرذعي في **"سؤالاته للإمام أبي زرعة"** (٤٨٥): شهدت أبا زرعة، وأتاه أبو العباس الهسنجاني، فكلمه أن يقبل يحيى بن معاذ. رجل كان بالري يتكلم بكلام يشبه كلام منصور بن عمار، أو نحو ذلك... فقال: «إنه يقول: أنا على مذهبك، فأنا رجل نواح أنوح». فقال أبو زرعة: «إنما النوح لمن يدخل بيته، ويغلق بابه، وينوح على ذنوبه. فأما من يخرج إلى أصبهان وفارس، ويجول في الأمصار في النوح، فإنا لا نقبل هذا منه. هذا من فعال المستأكلة الذين يطلبون الدراهم والدنانير»، ولم يقبله.اهـ.

قوله: ﴿ولا يأخذ على العلم ثمنا﴾ هذا من موانع نيل العلم؛ إذ متى قصد الطالب بعلمه الدنيا انشغل قلبه بجمعها، وفاته من العلم بحسب ذلك. ويدل على هذا المعنى ما أخرجه الإمام ابن ماجه (٤١٠٥) من حديث **زيد بن ثابت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له. ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا، وهي راغمة**».

وقد صحح هذا الحديث الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

ولهذا كان من آداب العالم الزهد في الدنيا. وسبب ذلك ما نقله شيخنا سعيد ابن دعاس رحمه الله في **"منهجية طلب العلم"** (ص ١٨٩) عن العلامة ابن جماعة في **"التذكرة"** قائلا ما المراد منه: ولهذا ذكر أيضا، (ص ٥٤) من آدابه أن يتخلق بالزهد في الدنيا والتقلل منها بقدر الإمكان، الذي لا يضر بنفسه، أو بعياله؛ فإن ما يحتاج إليه لذلك على الوجه المعتدل من القناعة ليس يعد من الدنيا.

ولا يقرب أبناء الدنيا، ويباعد الفقراء. ويتجافى عن أبناء الدنيا، يتواضع للفقراء والصالحين؛ ليفيدهم العلم.

[آداب العالم في مجلسه:]

وإن كان له مجلس قد عرف بالعلم...

وأقل درجات العالم أن يستقذر التعلق بالدنيا؛ لأنه أعلم الناس بخستها.اهـ.

قوله: ﴿ولا يقرب أبناء الدنيا، ويباعد الفقراء﴾ قال الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قال الإمام الطبري رحمه الله في "تفسيره" (٧/ ٢٠٠): ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين، قال المشركون له: لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك، وحضرنا مجلسك.اهـ.

أخرج هذا السبب في نزول الآية الإمام مسلم (٤٦)-(٢٤١٣).

قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى في "تفسيره" (ص ٢٦١) في سياق كلامه على هذه الآية: فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض عنهم. بل هم مستحقون لموالاتهم، ومحبتهم، وإدنائهم، وتقريبهم؛ لأنهم الصفوة من الخلق، وإن كانوا فقراء، الأعزاء في الحقيقة، وإن كانوا عند الناس أذلاء.اهـ المراد.

قوله: ﴿يتواضع للفقراء والصالحين؛ ليفيدهم﴾ قال الإمام السعدي بعد ما سبق: قد امتثل ﷺ هذا الأمر أشد امتثال، فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين صبر نفسه معهم، وأحسن معاملتهم، وألان لهم جانبه، وحسن خلقه.اهـ المراد.

قوله: ﴿إن كان له مجلس﴾ في ما يلي جملة من الآداب يتحراها العالم في مجلسه.

ولكن قبل إتيان مجلسه ينبغي له تفقد حاله، قاله الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (ص ١٢٠). ومن جملة ذلك ما قال فيه: وإن كان حاقنا قضى حاجته.اهـ.

واستدل لذلك بحديث **عبد الله بن الأرقم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**إذا حضرت الصلاة، وأراد الرجل الخلاء، بدأ بالخلاء**».

أخرجه الإمام الترمذي (١٤٢)، وصححه الشيخ مقبل على شرط الشيخين في **"الجامع الصحيح"**.

قال الخطيب في سياق ما تقدم (ص ١٢١): وإن كان ناعسا لأمر أسهره أخر تدريسه في تلك الحال، وأخذ حظه من نومه.اهـ.

واستدل لذلك بحديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم؛ فإن أحدكم إذا صلى، وهو ناعس، لعله يذهب؛ ليستغفر، فيسب نفسه**».

أخرجه الإمام البخاري (٢١٢) والإمام مسلم (٢٢٢)-(٧٨٦).

ويتبع ما تقدم التطهر قبل حضور المجلس لما أخرج الإمام البخاري (٢٧٣)، واللفظ له، والإمام مسلم (٣٧١) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة، وهو جنب... فانخنست منه. فذهب، فاغتسل، ثم جاء، فقال: «**أين كنت يا أبا هريرة؟**». قال: كنت جنبا، فكرهت أن أجالسك، وأنا على غير طهارة... الحديث.

قال الحافظ في **"الفتح"** (١/ ٥٠٧): وفي هذا الحديث استحباب الطهارة عند ملابسة الأمور المعظمة.اهـ.

ثم شرع الخطيب في ذكر الآداب التي يتحراها العالم عند حضور مجلسه...

ومن ذلك أمر العالم من حضر بالتحلق حوله، وتقدم الكلام عليه بما يكفي.

قال (ص ١٢٣): ليكن أول ما يفتتح به الكلام بعد التسمية «الحمد لله».اهـ.

ألزم نفسه حسن المداراة لمن جالسه، والرفق بمن سائله، واستعمال الأخلاق الجميلة. ويتجافى عن الأخلاق الدنية.

وقال رحمه الله بعد ذلك: ثم يتبع ذلك بذكر رسول الله ﷺ والصلاة عليه.اهـ.

واستدل لذلك بأدلة أنسبها عندي حديث **أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**لا يجلس قوم مجلسا لا يذكرون الله، ولا يصلون فيه على النبي ﷺ، إلا كان عليهم حسرة، وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب**».

أخرجه النسائي في **"السنن الكبرى"** (١٠٣٤٩) دون ما يتعلق بالصلاة على النبي ﷺ، وصححه الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

ثم قال الخطيب: يذكر لهم الدرس على تمكث وتؤدة من غير إسراع.اهـ.

واستدل لذلك بحديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يسرد الكلام كسردكم... الحديث.

أخرجه الإمام البخاري (٣٥٦٨) والإمام مسلم (١٦٠)-(٢٤٩٣).

وجعل بعض الأئمة سرد الحديث من أفعال الحمقى، قال الإمام أبو عبيدة الآجري في **"سؤالاته للإمام أبي داود"** (١٤٤٩): **سمعت** أبا داود يقول: بلغ حماد ابن زيد أن أبا عوانة حدث في مجلس بمائة وعشرين حديثا، فقال حماد: صار العلم عند الحمقى!اهـ.

قوله: ﴿ألزم نفسه حسن المداراة لمن جالسه﴾ قال العلامة ابن القيم في **"الروح"**: المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم.

والفرق بينهما أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق، أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به؛ ليقره على باطله، ويتركه على هواه. فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق.اهـ بواسطة **"نضرة النعيم"** (٨/ ٣٣٥٩).

[آداب العالم مع مجالسيه:]

فأما أخلاقه مع مجالسيه فصبور على من كان ذهنه بطيئا عن الفهم حتى يفهم عنه.

صبور على جفاء من جهل عليه حتى يرده بحلم.

يؤدب جلساءه بأحسن ما يكون من الأدب، لا يدعهم يخوضون في ما لا يعنيهم، ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ما ينطق به من العلم.

فإن تخطى أحدهم إلى خلق لا يحسن بأهل العلم لم يجبهه في وجهه على جهة التبكيت له،...

قوله: ﴿فأما أخلاقه مع مجالسيه فصبور على من كان ذهنه بطيئا عن الفهم﴾ أخرج الإمام البخاري (٣١٤)، واللفظ له، والإمام مسلم (٦٠)-(٣٣٢) من حديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل، قال: «**خذي فرصة من مسك، فتطهري بها**». قالت: كيف أتطهر؟ قال: «**تطهري بها**». قالت: كيف؟ قال: «**سبحان الله! تطهري**». فاجتبذتها إلي، فقلت: تتبعي بها أثر الدم.

قال الحافظ في "**الفتح**" (١/ ٥٣٩) في سياق ما يستفاد من الحديث: تكرير الجواب لإفهام السائل.اهـ.

قوله: ﴿صبور على جفاء من جهل عليه...﴾ ذكر المصنف في الأسطر التالية جملة من الأخلاق يتحراها العالم، وكلامه يشرح بعضه بعضا بما فيه كفاية. ولاسيما وقد تقدم الكلام على البعض والإشارة إلى بعض الآخر.

قوله: ﴿فإن تخطى أحدهم إلى خلق لا يحسن بأهل العلم لم يجبهه في وجهه على جهة التبكيت﴾ في هذا المعنى ما أخرجه الإمام أبو داود (٤٧٨٨) من حديث **عائشة**

...

ولكن يقول: «لا يحسن بأهل العلم والأدب كذا كذا. وينبغي لأهل العلم أن يتجافوا كذا وكذا»، فيكون الفاعل لخلق لا يحسن قد علم أنه المراد بهذا، فيبادر برفقه به.

إن سأله منهم سائل عما لا يعنيه رده عنه، وأمره أن يسأل عما يعنيه.

فإذا علم أنهم فقراء إلى علم قد غفلوا عنه أبداه إليهم، وأعلمهم شدة فقرهم إليه.

لا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح، فيخجله، ولا يزجره، فيضع من قدره. ولكن يبسطه في المسألة؛ ليجبره فيها، قد علم بغيته عما يعنيه. ويحثه على طلب علم الواجبات من علم أداء فرائضه واجتناب محارمه.

يقبل على من يعلم أنه محتاج إلى علم ما يسأل عنه، ويترك من يعلم أنه يريد الجدل والمراء. يقرب عليهم ما يخافون بعده بالحكمة والموعظة الحسنة.

يسكت عن الجاهل حلما، وينشر الحكمة نصحا.

فهذه أخلاقه لأهل مجلسه وما شاكل هذه الأخلاق...

[آداب العالم في جوابه:]

وأما ما يستعمل مع من يسأله عن العلم والفتيا فإن من صفته...

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: «**ما بال فلان يقول...؟**»، ولكن يقول: «**ما بال أقوام يقولون: كذا وكذا؟**».

صحح الحديث على شرط الشيخين الشيخ مقبل في "**الجامع الصحيح**".

قوله: {آداب العالم في جوابه} ذكر المصنف ههنا كيفية تعامل العالم مع ما يرد عليه من الأسألة. وقد ذكر في ذلك عدة أحوال...

إذا سأله سائل عن مسألة، فإن كان عنده علم أجاب، وجعل أصله أن الجواب من كتاب، أو سنة، أو إجماع.

فإذا أوردت عليه مسألة قد اختلف فيها أهل العلم اجتهد فيها. فما كان أشبه بالكتاب، والسنة، والإجماع، ولم يخرج به من قول الصحابة وقول الفقهاء بعدهم، قال به، إذا كان موافقا لقول بعض الصحابة وقول بعض أئمة المسلمين قال به.

قوله: ﴿وجعل أصله أن الجواب من كتاب، أو سنة، أو إجماع﴾ هذا في حال ما إذا كان السؤال مما لا خلاف فيه بين الصحابة وأئمة المسلمين.

أخرج الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٥٧) بالإسناد الصحيح: قرأت على محمد بن أحمد بن يعقوب، عن محمد بن عبد الله بن نعيم النيسابوري، قال: نا علي بن حمشاذ العدل، نا محمد بن أيوب، نا أبو جعفر محمد بن مهران الحمال، أنا علي بن شقيق، عن ابن المبارك، قال: قيل له: متى يفتي الرجل؟ قال: إذا كان عالما بالأثر، بصيرا بالرأي.اهـ.

في ما بين يدي «الحمال» بالمهملة، وهو تصحيف، صوابه بالجيم!

قوله: ﴿فإذا أوردت عليه مسألة قد اختلف فيها أهل العلم اجتهد﴾ هذا ما يتعلق بآداب العالم إذا وقع في ما يسأل عنه اختلاف بين الصحابة وأئمة الإسلام.

عمل الناظر في اختلاف الصحابة والأئمة:

قال الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٢/ ٩٥): اختلف الفقهاء في هذا الباب على قولين،

أحدهما أن اختلاف العلماء من الصحابة ومن بعدهم من الأئمة رحمهم الله رحمة واسعة، وجائز لمن نظر في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ أن يأخذ ...

وإن كان قد رآه مما يخالف به قول الصحابة وقول فقهاء المسلمين حتى يخرج عن قولهم لم يقل به. واتهم رأيه،...

بقول من شاء منهم، كذلك الناظر في أقاويل غيرهم من الأئمة، ما لم يعلم أنه خطأ.

فإذا بان له أنه خطأ لخلافه نص الكتاب، أو نص السنة، أو إجماع العلماء، لم يسعه اتباعه.

فإن لم يبن له من هذه الوجوه جاز له استعمال قوله، وإن لم يعلم صوابه من خطئه...اهـ المراد.

القول الثاني ما قال رحمه الله فيه (ص ٩٩) مما المراد منه: إن الاختلاف إذا تدافع فهو خطأ وصواب. والواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس على الأصول، على الصواب منها، وذلك لا يعدم.

فإن استوت الأدلة وجب الميل مع الأشبه بما ذكرنا بالكتاب والسنة.اهـ.

والقول الثاني اختيار المصنف، ويدل عليه قول الله جل وعلا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

قوله: ﴿وإن كان قد رآه مما يخالف به قول الصحابة وقول فقهاء المسلمين...﴾ قال الخطيب رحمه الله تعالى في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ١٧٣): باب القول في أنه يجب اتباع ما سنه أئمة السلف من الإجماع والخلاف، وأنه لا يجوز الخروج عنه.اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله:... لو اختلف الصحابة بمسألة على قولين، وانقرض العصر عليه، فإنه لا يجوز للتابعين إحداث قول ثالث؛ لأن اختلافهم على قولين إجماع على إبطال كل قول سواه. فكما لم يجز إحداث قول ثان في ما أجمعوا فيه على قول لم يجز إحداث قول ثالث في ما أجمعوا فيه على قولين.اهـ.

ووجب عليه أن يسأل من هو أعلم منه، أو مثله، حتى ينكشف له الحق، ويسأل مولاه أن يوفقه لإصابة الخير والحق.

وبهذا قال الجمهور، نقله عنهم الإمام الشنقيطي في **"المذكرة"** (ص ٢٥٦)، وهو الصواب للحجة التي استظهرها الخطيب.

وفي ما يتعلق بأقوال التابعين ما قاله الخطيب رحمه الله في **"جامعه"**: المقاطع هي الموقوفات على التابعين، فيلزم كتبها والنظر فيها؛ ليتخير من أقوالهم، ولا يشذ عن مذاهبهم.اهـ المراد بواسطة **"إصلاح كتاب ابن الصلاح"** (ص ١١٢).

قوله: ﴿ووجب عليه أن يسأل من هو أعلم منه، أو مثله، حتى ينكشف له الحق﴾

في المعنى المذكور ما أخرجه الخطيب رحمه الله تعالى في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٧١) بالإسناد الصحيح: **أخبرنا** القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، نا علي بن إسحاق بن محمد البختري المادرايي، نا العباس بن محمد الدوري، نا يعلى -هو ابن عبيد الطنافسي-، نا الأعمش، عن شقيق، قال: جاء رجل إلى عبد الله، فقال: يا أبا عبد الرحمن! رجل يؤذي، حريص على الجهاد، يعزم علينا أمراؤنا في أشياء لا نحصيها!؟ فقال: ما أدري ما أقول لك إلا أنا قد كنا مع رسول الله ﷺ فلقنا أن لا نؤمر بشيء إلا فعلناه.

وما أشبه ما مضى من الدنيا وما بقي إلا بالثغب شرب صفوه، وبقي كدره. إن العبد لن يزال بخير ما اتقى الله، فإذا حاك في نفسه شيء أتى رجلا، فشفاه. وايم الله ليوشكن أن لا تجدوه.اهـ.

قوله: ﴿يسأل مولاه أن يوفقه لإصابة الخير والحق﴾ يلازم العالم هذا الأدب في جميع أحواله؛ فإنه عنوان توفيقه. قال الإمام ابن القيم في **"أعلام الموقعين"** (٥/ ٣٤): ولا ريب أن من وفق لهذا الافتقار علما وحالا، وسار قلبه في ميادينه حقيقة وقصدا، فقد أعطي حظه من التوفيق، ومن حرمه فقد منع الطريق والرفيق.اهـ.

وإذا سئل عن علم لا يعلمه لم يستح أن يقول: لا أعلم.

لزوم المسئول الافتقار إلى ربه:

قال الإمام ابن القيم قبل ما تقدم: ينبغي للمفتي الموفق إذا نزلت به المسألة أن ينبعث من قلبه الافتقار الحقيقي، الحالي، لا العلمي المجرد، إلى ملهم الصواب، ومعلم الخير، وهادي القلوب، أن يلهمه الصواب، ويفتح له طريق السداد، ويدله على حكمه الذي شرعه لعباده في هذه المسألة. فمتى قرع هذا الباب فقد قرع باب التوفيق. وما أجدر من فضل ربه أن لا يحرمه إياه.

فإذا وجد من قلبه هذه الهمة فهي طلائع بشرى التوفيق، فعليه أن يوجه وجهه، ويحدق نظره إلى منبع الهدى، ومعدن الصواب، ومطلع الرشد، وهو النصوص من القرآن، والسنة، وآثار الصحابة، فيستفرغ وسعه في تعرف حكم تلك النازلة منها. فإن ظفر بذلك أخبر به، وإن اشتبه عليه بادر إلى التوبة، والاستغفار، والإكثار من ذكر الله.اهـ.

قوله: ﴿وإذا سئل عن علم لا يعلمه لم يستح أن يقول: لا أعلم﴾ هذا الجواب في هذه الحال جواب من رسخت في العلم قدمه. ومن ذلك ما أخرجه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٧٤) بالإسناد الحسن: أخبرنا محمد بن عبيد الله الحنائي، قال: ثنا أحمد بن سلمان النجاد، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول: قال عبد الرحمن بن مهدي: سأل رجل من أهل المغرب مالك بن أنس عن مسألة، فقال: لا أدري. فقال: يا أبا عبد الله! تقول: لا أدري!؟ قال: نعم، فبلغ من وراءك أني لا أدري.اهـ.

ومثل هذا الثبات في مثل هذا الموطن دليل علم صاحبه، وإلا تكلف ما ليس له به علم. فقد أخرج الإمام البخاري (٤٧٧٤) والإمام مسلم (٣٩)-(٢٧٩٨)

وإذا سئل عن مسألة، فعلم أنها من مسائل الشغب ومما يورث بين المسلمين الفتنة، استعفى منها، ورد السائل إلى ما هو أولى به على أرفق ما يكون.

وإن أفتى بمسألة، فعلم أنه أخطأ، لم يستنكف أن يرجع عنها.

من حديث **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال ضمن قصة طويلة: إنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: «الله أعلم»؛ فإن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]... الحديث.

قوله: ﴿إذا سئل عن مسألة، فعلم أنها من مسائل الشغب ومما يورث بين المسلمين الفتنة، استعفى﴾ أصل هذا الأدب ما أخرجه الإمام مسلم (٢١٥)-(١٣٥) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة! حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟**».

قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة! هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصى بكفه، فرماهم... الحديث.

قوله: ﴿ورد السائل إلى ما هو أولى به على أرفق ما يكون﴾ ليس هذا على إطلاقه، وقد تقدم من فعل أبي هريرة ما يخالفه. والظاهر رجوعه إلى اجتهاد المسئول.

قوله: ﴿إن أفتى بمسألة، فعلم أنه أخطأ، لم يستنكف أن يرجع عنها﴾ هذا واضح، بين. وبقي ما يتعلق بإعلام السائل بالرجوع. قال العلامة ابن القيم في **"أعلام الموقعين"** (٥/ ١١٨) بعد ذكر الاختلف في المسألة: والصواب التفصيل...

فإن كان المفتي ظهر له الخطأ قطعا بكونه خالف نص الكتاب، أو السنة التي لا معارض لها، أو خالف إجماع الأمة، فعليه إعلام المستفتي.

وإن كان إنما ظهر له أنه خالف مجرد مذهبه، أو نص إمامه، لم يجب. اهـ المراد.

وإن قال قولا، فرده عليه غيره ممن هو أعلم منه، أو مثله، أو دونه، فعلم أن القول كذلك، رجع عن قوله، وحمده على ذلك، وجزاه خيرا.

وإن سئل عن مسألة اشتبه القول عليه فيها قال: «سلوا غيري»، ولم يتكلف ما لا يتقرر عليه.

قوله: ﴿وإن قال قولا، فرده عليه غيره ممن هو أعلم منه، أو مثله، أو دونه، فعلم أن القول كذلك، رجع﴾ قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى في **"جامع بيان العلم"** (١/ ٤٣١): من بركة العلم وآدابه الإنصاف فيه. ومن لم ينصف لم يفهم، ولم يتفهم.اهـ.

قوله: ﴿وإن سئل عن مسألة اشتبه القول عليه فيها قال: «سلوا غيري»، ولم يتكلف ما لا يتقرر عليه﴾ قال الخطيب رحمه الله في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٧٠): قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، فإذا سئل المفتي عن حكم نازلة، فأشكل عليه، وهناك من هو عارف به، لزمه أن يرشد السائل إليه، ويدله عليه.اهـ.

وذكر رحمه الله تعالى من فعل الصحابة في ذلك ما أخرجه الإمام مسلم (٨٥-٢٧٦) بإسناده إلى شريح بن هانئ، أنه قال: أتيت **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أسألها عن المسح على الخفين، فقالت: عليك بابن أبي طالب، فسله؛ فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ... الحديث.

وقال الخطيب رحمه الله تعالى بعد ما تقدم نقله: فإن لم يكن هناك من يستفتى غيره لزمه الإمساك عنه، وترك الجواب فيه ما لم يتضح له؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].اهـ.

[ابتعاد العالم عن البدع وأهلها:]

يحذر من المسائل المحدثات في البدع، لا يصغي إلى أهلها بسمعه، ولا يرضى بمجالسة أهل البدع، ولا يماريهم.

قوله: ﴿يحذر من المسائل المحدثات في البدع، لا يصغي إلى أهلها﴾ قد ورد عن أئمة السلف وغيرهم كلام كثير في المعنى المذكور مما يدل على عظم أهمية هذا الأدب.

ويدل على ذلك ما ذكره الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٨١٣) و(١٨١٤)؛ إذ قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: ثني أبي، ثنا محمد بن فطيس، قال: نا يحيى بن إبراهيم، قال: نا عيسى بن دينار، عن ابن وهب، قال: نا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: وايم الله إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه والثقة، ونتعلمها شبيها بتعلمنا آي القرآن.

وما برح من أدركنا من أهل الفقه والفضل من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي، وينهون عن لقائهم ومجالستهم، ويحذرونا مقاربتهم أشد التحذير، ويخبرون أنهم أهل ضلال وتحريف لتأويل كتاب الله وسنن رسوله.

وما توفي رسول الله ﷺ حتى كره المسائل، وناحية التنقيب، والبحث، وزجر عن ذلك، وحذره المسلمين، في غير موطن حتى كان من قوله كراهية لذلك: «**ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم**».اهـ.

أخرج الحديث المرفوع الإمام البخاري (٧٢٨٨) والإمام مسلم (٤١٢)-(١٣٣٧) من حديث أبي هريرة.

أصله الكتاب، والسنة، وما كان عليه الصحابة، ومن بعدهم من التابعين، ومن بعدهم من أئمة المسلمين. يأمر بالاتباع، وينهى عن الابتداع، لا يجادل العلماء، ولا يماري السفهاء.

وأما قول الإمام أبي الزناد ففي السند إليه عيسى بن دينار الأندلسي قد اشتهر بالفقه والصلاح، ولكن لم أجد في حقه توثيقا. وإنما الغرض من الأثر ما فيه من توضيح وشرح للحديث.

قوله: ﴿يأمر بالاتباع، وينهى عن الابتداع﴾ قد وردت في هذا المعنى آثار عدة عن الصحابة. ويناسب كلام المصنف في سياق آداب العالم ما أخرج الإمام البخاري (٧٢٨٢) من كلام حذيفة، أنه قال: يا معشر القراء! استقيموا، فقد سبقتم سبقا بعيدا. فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا.اهـ.

قال الحافظ في "الفتح" (١٣/ ٣١٦): المراد أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام، فإذا تمسك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير؛ لأن من جاء بعده إن عمل بعلمه لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام، وإلا فهو أبعد منه حسا وحكما.اهـ.

في الاعتصام بالكتاب والسنة نجاة عن البدع:

في الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة ما قاله الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وفي ترك البدع وأهلها ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ ...

[جمع العالم بين فهم النصوص وفهم الواقع:]

همه في تلاوة كلام الله الفهم وفي سنن الرسول ﷺ الفقه؛ لئلا يضيع ما لله عليه، وليعلم كيف يتقرب إلى مولاه.

فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال الله جل وعلا: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٤٠].

وفي بيان ما في مجالسة أهل البدع والخوض معهم من الهلاك والشر ما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وفي هذا المعنى ما قاله الإمام الذهبي في **"تاريخه"** (١٠/ ١٠٣٠): كلام الإمام أحمد كثير، طيب، في أصول الدين، لا يتسع هذا الباب لسياقه.

قد جمعه الخلال في مصنف سماه **"كتاب السنة عن أحمد بن حنبل"** في ثلاث مجلدات، فمما فيه...

أخبرنا المروذي، سمعت أبا عبد الله يقول: من تعاطى الكلام لا يفلح، من تعاطى الكلام لم يخل من أن يتجهم.

وسمعت أبا عبد الله يقول: لست أتكلم إلا ما كان من كتاب، أو سنة، أو عن الصحابة والتابعين. وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود.اهـ، واستفيد موضع هذه الفائدة من تحقيق كتاب الإمام الخلال **"السنة"** (٢/ ٣٧٣)، الحاشية (١).

قوله: ﴿همه في تلاوة كلام الله الفهم وفي سنن الرسول ﷺ الفقه﴾ قد سبق الكلام على ما ذكره المصنف ههنا إلى آخر الفصل.

مذكر للغافل، معلم للجاهل، يضع الحكمة عند أهلها، ويمنعها من ليس بأهلها. مثله مثل الطبيب يضع الدواء بحيث يعلم أنه ينفع.

فهذه صفته وما يشبه هذه الأخلاق الشريفة إذ كان الله عز وجل قد نشر له الذكر بالعلم في قلوب الخلق.

فكلما ازداد علما ازداد لله تواضعا، يطلب الرفعة من الله عز وجل مع شدة حذره من واجب ما يلزمه من العلم.

والكلام المتعلق بفهم الكتاب والسنة تقدم أيضا، إلا أننا رأينا بمناسبة الكلام على آداب المفتي السابق آنفا التنبيه ههنا على فهم آخر يتمكن به لإصابة الحق في الفتوى. قال الإمام ابن القيم في **"أعلام الموقعين"** (١/ ١٨٩-١٩٠): لا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم،

أحدهما فهم الواقع، والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن، والأمارات، والعلامات، حتى يحيط به علما.

والنوع الثاني فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه، أو على لسان رسوله في هذا الواقع.

ثم يطبق أحدهما على الآخر. فمن بذل جهده، واستفرغ وسعه، في ذلك لم يعدم أجرين، أو أجرا.

فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه.اهـ المراد.

ثم قال (ص ١٩١): من تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا. ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسب ذلك إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله.اهـ.

ذكر صفة مناظرة هذا العالم

۞ إذا احتاج إلى المناظرة [لأهل الأهواء عند الاضطرار]:

قال محمد بن الحسين: اعلموا -رحمكم الله، ووفقنا وإياكم للرشاد- أن من صفة هذا العالم العاقل الذي فقهه الله في الدين، ونفعه بالعلم، أن لا يجادل، ولا يماري، ولا يغالب بالعلم، إلا من يستحق أن يغلبه بالعلم الشافي.

قوله: ﴿ذكر صفة مناظرة هذا العالم﴾ سبق من المصنف ذكر المناظرة طلبا للفائدة، وأشرنا هناك إلى مجيء فصل خاص بالمناظرة وما يتحراه العالم فيها من الآداب. فلنذكر في شرح هذا الفصل ما يسره الله إحضاره في المسألة.

۞ تعريف المناظرة:

قال العلامة الشنقيطي في **"آداب البحث والمناظرة"** (ص ١٣٩): فالمناظرة في اللغة المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر، أو كل منهما ينظر بمعنى يفكر، والفكر هو المؤدي إلى علم، أو غلبة ظن.

وهي في الاصطلاح المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق. فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم، أو غلبة ظن؛ ليظهر الصواب.اهـ.

وذلك يحتاج في وقت من الأوقات إلى مناظرة أحد من أهل الزيغ؛ ليدفع بحقه باطل من خالف الحق، وخرج عن جماعة المسلمين. فتكون...

حكم المناظرة:

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله بعد ما تقدم: والأصل في مشروعيتها قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

فأقل مراتب حكمها الجواز، إن كانت على الوجه المطلوب.

وقال بعضهم باستحبابها.

وقيل: «إن القدر الذي يلزم لإبطال شبه خصوم الحق فرض كفاية»، وليس ببعيد، والله أعلم.اهـ.

وقال الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٢/ ١٢٠-١٢٢): أما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر؛ لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع على الأصول للحاجة إلى ذلك.

وليس الاعتقادات كذلك؛ لأن الله عز وجل لا يوصف عند جماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول الله ﷺ، أو أجمعت الأمة عليه، وليس كمثله شيء، فيدرك بقياس، أو بإمعان نظر. وقد نهينا عن التفكر في الله، وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه.اهـ المراد.

يؤخذ من هذا الكلام تقييد الجواز السابق ذكره، ولعله مراد الإمام الشنقيطي بقوله: «الجواز، إن كانت على الوجه المطلوب»، والله أعلم.

وأما ما يتعلق برد شبه أهل الباطل فالمختار ما يفيده كلام المصنف التالي...

غلبته لأهل الزيغ تعود بركة على المسلمين، على جهة الاضطرار إلى المناظرة، لا على الاختيار؛ لأن من صفة العالم العاقل أن لا يجالس أهل الأهواء، ولا يجادلهم.

[إذا احتاج إلى المناظرة في الفقه إذا صلحت النية:]

فأما في العلم، والفقه، وسائر الأحكام، فلا.

فإن قال قائل: «فإن احتاج إلى علم مسألة قد أشكل عليه معرفتها لاختلاف العلماء فيها لابد له من أن يجالس العلماء، ويناظرهم،...

قوله: ﴿على جهة الاضطرار إلى المناظرة﴾ حين لا يوجد طريق أخرى لإظهار الحق ورد الباطل إلا طريق مناظرة أهل الأهواء.

وما دام وجدت طريق أخرى لرد شبه أهل الأهواء كالكتابة، أو العظة، دون مجالستهم، تعين على العالم سلوكها طلبا لسلامة قلبه واجتنابا لتعرضه للمرض والزيغ، فيكون قد راع المصالح، ودرأ المفاسد.

وذكرني هذا بما سطره الشيخ تقي الدين الهلالي في **"الدعوة إلى الله"** (ص ٣١) قائلا بعد ذكر حيلة بعضهم اضطرته إلى مناظرة أستاذ أزهري بعد امتناعه منها: ومن رأيي أني أبعد عن المناظرة، وأتجنبها؛ فإذا اضطررت إليها استعنت بالله، وخضت غمارها، قال النبي ﷺ: «**لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية. فإذا لقيتموهم فاصبروا**».اهـ.

قوله: ﴿ويناظرهم﴾ قال الإمام ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٢/ ١٣٥): أما الفقه فلا يوصل إليه، ولا ينال أبدا، دون تناظر فيه وتفهم له.اهـ.

ذهب المصنف إلى الجواز في هذه الحال، وإن كان ذكره للآثار التالية ظاهرها المنع. والسر في بدئه بذكر ذلك التحذير مما قد يعتري العبد من مداخل الشيطان

حتى يعرف القول فيها على صحته. وإن لم يناظر لم تقو معرفته!» قيل له: بهذه الحجة يدخل العدو على النفس المتبعة للهوى، فتقول: «إن لم تناظر، وتجادل، لم تفقه»، فيجعل هذا سببا للجدل والمراء المنهي عنه، الذي يخاف منه سوء عاقبته، الذي حذرناه النبي ﷺ، وحذرناه العلماء من أئمة المسلمين.

ونفسه الأمارة بالسوء لإفساد ما بينه وبين مناظره من الأخوة والخير. واحترازا من هذه الآفات قيد بعد ذلك الجواز بمن له نية حسنة، وكرر معنى ذلك.

قوله: ﴿بهذه الحجة يدخل العدو﴾ جزم المصنف في **"الشريعة"** (١/ ٢٧٢) بقلة من يسلم من ذلك؛ فقال عقب إيراد السؤال عن المناظرة في المسألة الفقهية: قيل له: هذا الذي ذكرته ما أقل من يسلم من المناظرة فيه حتى لا يلحقه فيه فتنة ولا مأثم، ولا يظفر فيه الشيطان.اهـ.

قوله: ﴿فيجعل هذا سببا للجدل والمراء المنهي عنه﴾ يشرح هذا ما قاله المصنف في **"الشريعة"** (١/ ٢٧٢-٢٧٣): هذا قد كثر في الناس جدا في أهل العلم والفقه، في كل بلد يناظر الرجل الرجل، يريد مغالبته -ويعلو صوته- والاستظهار عليه بالاحتجاج، فيحمر لذلك وجهه، وتنتفخ أوداجه، ويعلو صوته.

وكل واحد منهما يحب أن يخطئ صاحبه. وهذا المراد من كل واحد منهما خطأ عظيم، لا تحمد عواقبه، ولا يحمده العلماء من العقلاء؛ لأن مرادك أن يخطئ مناظرك خطأ منك ومعصية عظيمة، ومراده أن تخطئ خطأ منه ومعصية، فمتى يسلم الجميع!؟اهـ.

قوله: ﴿الذي حذرناه النبي ﷺ، وحذرناه العلماء﴾ قد ذكر المصنف في ما يلي جملة من النصوص في هذا المعنى، من أجمعها ما أخرجه الإمام أبو داود (٤٩١٩) من حديث **أبي الدرداء** رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من**

...

وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من ترك المراء، وهو صادق، بنى الله له بيتا في وسط الجنة**».

درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟». قالوا: بلى، يا رسول الله! قال: «**إصلاح ذات البين. وفساد ذات البين الحالقة**».

وقد صحح الحديث على شرط الشيخين الشيخ مقبل في "**الجامع الصحيح**".

قوله: ﴿**وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «من ترك المراء، وهو صادق، بنى...»**﴾ **منكر**.

أخرج الحديث الإمام الترمذي (١٩٩٣)، والإمام ابن ماجه (٥١)، والإمام الطوسي في "**مستخرجه**" (١٤٨٦)، والإمام ابن حبان في "**كتاب المجروحين**" (١/ ٤٢٣)، وغيرهم، من طريق ابن أبي فديك، قال: ثني سلمة بن وردان الليثي، عن أنس بن مالك مرفوعا نحوه ضمن سياق أطول.

قال الإمام الترمذي: وهذا الحديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن وردان عن أنس بن مالك.اهـ.

ولا يتأتى التحسين لحال ابن وردان، قال الحافظ في "**التقريب**": ضعيف.اهـ.

ثم استنكر عليه حديثه هذا الإمام ابن عدي بإخراجه في ترجمته من "**الكامل**" (٨١٣٠)، وقال: في متون بعض ما يرويه أشياء منكرة، يخالف سائر الناس.اهـ.

ولهذا أخرجه الإمام ابن حبان في ترجمته من "**كتاب المجروحين**"، وقد قال في أوله (١/ ٨٨): ونذكر عند كل شيء منهم من حديثه ما يستدل به على وهائه في روايته تلك.اهـ.

وأخرج الإمام ابن حبان في "**كتاب المجروحين**" (٢/ ٢٣٠-٢٣١) والحافظ ابن عساكر في "**تاريخ دمشق**" (٣٣/ ٢٣٠-٢٣١) من طريق كثير بن مروان

وعن مسلم بن يسار، أنه كان يقول: إياكم والمراء؛ فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته.

وعن الحسن، قال: ما رأينا فقيها يماري.

وعن الحسن أيضا، قال: المؤمن يداري، ولا يماري. ينشر حكمة الله، فإن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله.

الفلسطيني، عن عبد الله بن يزيد الدمشقي، قال: ثني أبو الدرداء، وأبو أمامة الباهلي، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع، مرفوعا نحوه ضمن سياق طويل.

وقد أنكر الإمام ابن حبان الحديث على كثير هذا؛ إذ قال قبل إخراجه: منكر الحديث جدا، لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب.اهـ.

لكن في حصر جناية الحديث عليه نظر لاحتمال حملها على شيخه أيضا، لقول الذهبي في **"الميزان"** (٢/ ٤٦٨): قال أحمد: أحاديثه موضوعة.اهـ.

قوله: ﴿مسلم بن يسار، أنه كان يقول: إياكم والمراء؛ فإنها ساعة جهل العالم...﴾ صحيح.

أخرجه المصنف في **"الشريعة"** (١١٢) و(١١٣) من طريق حماد بن زيد، عن محمد بن واسع، عن مسلم بن يسار مثله.

ومن هذه الطريق أخرجه الإمام الدارمي (٤٠٨)، والإمام ابن أبي الدنيا في **"الصمت"** (١٢٤) ومن طريقه الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٥٨/ ١٤٥)، والإمام عبد الله بن أحمد في زياداته على **"الزهد"** (١٤٢٤)، والإمام الفريابي في **"القدر"** (٣٨٢).

قوله: ﴿الحسن أيضا، قال: المؤمن يداري، ولا يماري. ينشر حكمة الله، فإن...﴾ حسن بمجموع طريقيه.

وروي عن معاذ بن جبل، أنه قال: إذا أحببت أخا فلا تماره، ولا تشاره، ولا تمازحه.

قال محمد بن الحسين: وعند الحكماء أن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان، ويورث التفرقة بعد الألفة والوحشة بعد الأنس.

قال الشيخ الأنصاري في تعليقه على **"أخلاق العلماء"** (ص ٥٨): روى معنى هذين الأثرين عن الحسن نعيم بن حماد في زوائده على ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب **"الزهد"**، قال ابن المبارك: **أخبرنا** سفيان بن عيينة، قال: نا رجل، قال: قيل للحسن...اهـ المراد.

ثم قال رحمه الله تعالى: ورواه الحافظ ابن بطة في مقدمة رسالته في إبطال الحيلة في إسقاط الطلاق المعلق بالخلع، قال: **حدثنا** أبو عمارة حمزة بن القاسم، خطيب جامع المنصور، ثنا حنبل بن إسحاق، ثنا أبو عبد الله، ثنا سفيان بن عيينة، قال: سمعت أيوب، قال: سمعت الحسن...اهـ المراد.

الطريق الأولى ضعيفة لضعف نعيم بن حماد ولإبهام الراوي عن الحسن. على احتمال تفسير هذا المبهم بكونه أيوب المذكور في الطريق الأخرى.

والرجال في الطريق الثانية ثقات إلا شيخ ابن بطة، فلم أجد له ترجمة! ولكن وصفه له بكونه خطيب جامع المنصور يدل على ستر حاله.

والظاهر صلاحية الطريقين للاعتبار بهما، فيحسن الأثر بمجموعهما.

قوله: ﴿معاذ بن جبل، أنه قال: إذا أحببت أخا فلا تماره، ولا تشاره، ولا تمازحه﴾

لم أجده من قول معاذ بن جبل.

قوله: ﴿أن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان، ويورث التفرقة بعد الألفة والوحشة بعد الأنس﴾ أخرج الإمام ابن أبي الدنيا في **"الصمت"** (٣٩٢) بالسند الصحيح:

وعن **أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**».

حدثني الحسين بن علي بن يزيد وغيره، قالوا: ثنا جعفر بن عون، قال: سمعت مسعر بن كدام رحمه الله، يقول لابنه:

إني نحلتك يا كدام! نصيحتي ... فاسمع لقول أب عليك شفيق

أما المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق

إني بلوتهما فلم أحمدهما ... لمجاور جارا ولا لرفيق

.اهـ المراد.

قوله: ﴿أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «ما ضل قوم بعد هدى...»﴾

حسن لذاته، جيد لغيره.

أخرجه المصنف في **"الشريعة"** (١٠٩) و(١١٠) من طريق حجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة به.

ومن هذه الطريق أيضا، أخرج الخبر الإمام أحمد (٢٢١٦٤)، و(٢٢٢٠٤)، و(٢٢٢٠٥)، والإمام الترمذي (٣٢٥٣)، والإمام ابن ماجه (٤٨)، والإمام ابن أبي عاصم في **"السنة"** (١٠٥)، وغيرهم.

السند حسن لأجل أبي غالب، قال الحافظ في **"تقريبه"**: صدوق، يخطئ.اهـ.

نعم، غمز العقيلي في **"الضعفاء"** (١/ ٣٠٧) حجاجا في هذا الحديث قائلا: لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به.اهـ.

وليس من شرط قبول حديث الثقة وجود متابع له. بل الأصل قبوله، ولهذا قال الترمذي: هذا حديث حسن، صحيح. إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار، وحجاج ثقة، مقارب الحديث.اهـ المراد.

فالمؤمن العالم، العاقل، يخاف على دينه من الجدل والمراء.

[قيود لسلامة المناظرة في الفقه من المفاسد:]

فإن قال قائل: «فما يصنع في علم قد أشكل عليه؟» قيل له: إذا كان كذلك، وأراد أن يستنبط علم ما أشكل عليه، قصد إلى عالم ممن يعلم أنه يريد بعلمه الله، ممن يرضا علمه، وفهمه، وعقله، فذاكره مذاكرة من يطلب الفائدة، وأعلمه أن مناظرتي إياك مناظرة من يطلب الحق، وليست مناظرة...

وتعقب ابن كثير في "تفسيره" (٤/ ١٦٩) حصر الترمذي لورود الحديث من طريق حجاج، وهو متضمن لرد غمز العقيلي أيضا؛ فقال: كذا قال! وقد روي من وجه آخر عن أبي أمامة بزيادة، فقال ابن أبي حاتم: حدثنا حميد بن عياش الرملي، ثنا مؤمل، ثنا حماد، أنا ابن مخزوم، عن القاسم أبي عبد الرحمن الشامي، عن أبي أمامة -قال حماد: لا أدري رفعه، أم لا؟-...اهـ المراد.

في هذا السند مؤمل، وهو ابن إسماعيل، وهو ممن يعتبر بحديثه من الضعفاء. وفيه ابن مخزوم أيضا، ولم أهتد لمعرفة اسمه، فالله أعلم بحاله! ولكن اعتماد ابن كثير على هذه الطريق المشتملة على ابن مخزوم هذا في تعقبه السابق الذكر دليل صلاحية حديثه عنده للاعتبار به. وإذ الأمر كذلك ارتقى حديث الباب بهذه الطريق إلى الجودة.

وأما شك حماد بين رفعه ووقفه فلا يضر؛ إذ قد حفظ الرفع فيه غيره، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

قوله: ﴿فإن قال قائل: «فما يصنع في علم قد أشكل عليه؟» قيل له﴾ بين المصنف في ما يلي القيود التي تمنح المناظرة في الفقه السلامة من المفاسد. وقطب رحا ذلك دائر على حسن النية؛ ليكون هدف المناظرة بيان الحق بغض النظر لدى من ظهر.

مغالب. ثم ألزم نفسه الإنصاف له في مناظرته. وذلك أنه واجب عليه أن يحب صواب مناظره، ويكره خطأه، كما يحب ذلك لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. ويعلمه أيضا، إن كان مرادك في مناظرتي أن أخطئ الحق، وتكون أنت المصيب، ويكون أنا مرادي أن تخطئ الحق، وأكون أنا المصيب، فإن هذا حرام علينا فعله؛ لأن هذا خلق لا يرضاه الله منا، وواجب علينا أن نتوب من هذا.

فإن قال: «فكيف نتناظر؟» قيل له: مناصحة.

فإن قال: «كيف المناصحة؟» أقول له: لما كانت مسألة في ما بيننا، أقول أنا: «إنها حلال»، وتقول أنت: «إنها حرام»، فحكمنا جميعا أن نتكلم فيها كلام من يطلب السلامة، مرادي أن ينكشف لي على لسانك الحق، فأصير إلى قولك، أو ينكشف لك على لساني الحق، فتصير إلى قولي مما يوافق الكتاب، والسنة، والإجماع. فإن كان هذا مرادنا رجوت أن تحمد عواقب هذه المناظرة، ونوفق للصواب، ولا يكون للشيطان في ما نحن فيه نصيب.

۞ [التحذير من المناظرة لقصد المغالبة:]

ومن صفة هذا العالم العاقل إذا عارضه في مجلس العلم والمناظرة بعض من يعلم أنه يريد مناظرته للجدل، والمراء، والمغالبة، لم يسعه مناظرته؛ لأنه قد علم أنه إنما يريد أن يدفع قوله، وينصر مذهبه. ولو أتاه بكل حجة مثلها يجب أن يقبلها لم يقبل ذلك، ونصر قوله.

قوله: ﴿لو أتاه بكل حجة مثلها يجب أن يقبلها لم يقبل ذلك، ونصر قوله﴾ دل هذا التعامل من صاحبه مع الحجة التي يجب عليه قبولها على اتباعه للهوى، قال الله ...

ومن كان هذا مراده لم تؤمن فتنته، ولم تحمد عواقبه.

تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال الإمام السعدي في "تفسيره" (ص ٨٢٦): يقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ الرجل الضال، الذي ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، فما هويه سلكه، سواء كان يرضي الله، أو يسخطه. ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية، ولا يزكو عليها. ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾، فلا يسمع ما ينفعه، ﴿وَقَلْبِهِۦ﴾، فلا يعي الخير. ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ تمنعه من نظر الحق. ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾، أي: لا أحد يهديه، وقد سد الله عليه أبواب الهداية، وفتح له أبواب الغواية. وما ظلمه الله، ولكن هو الذي ظلم نفسه، وتسبب لمنع رحمة الله عليه. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ما ينفعكم، فتسلكونه، وما يضركم، فتجتنبونه.اهـ.

قوله: ﴿ومن كان هذا مراده لم تؤمن فتنته، ولم تحمد عواقبه﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

قال العلامة السعدي في "تفسيره" (ص ٢٧٣): ونعاقبهم إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيها الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم.

وهذا من عدل الله وحكمته بعباده؛ فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق كان مناسبا لأحوالهم.اهـ.

ويقال لمن مراده في المناظرة المغالبة والجدل: أخبرني إذا كنت أنا حجازيا، وأنت عراقيا، وبيننا مسألة، على مذهبي أقول أنا: «إنها حلال»، وعلى مذهبك أنها حرام، فسألتني المناظرة لك عليها، وليس مرادك في مناظرتك الرجوع عن قولك، والحق عندك أن أقول فيها قولك، وكان عندي أنا أن أقول... وليس مرادي في مناظرتي الرجوع عما هو عندي. وإنما مرادي أن أرد قولك، ومرادك أن ترد قولي، فلا وجه لمناظرتنا.

فالأحسن بنا السكوت على ما تعرف من قولك وعلى ما أعرف من قولي، وهو أسلم لنا وأقرب إلى الحق الذي ينبغي أن نستعمله.

فإن قال: «وكيف ذلك؟» قيل: لأنك تريد أن أخطئ الحق، وأنت على الباطل، ولا أوفق للصواب. ثم تسر بذلك، وتبتهج به. ويكون مرادي...

قوله: ﴿فلا وجه لمناظرتنا﴾ في كلام المصنف بيان لعدم فائدة المناظرة إذا كانت على سبيل المغالبة. وهذا على الفرض والتنازل مع الخصم، وإلا فقد تقدم تصريح المصنف بمنع المناظرة إذا قصد بها ذلك.

قوله: ﴿أسلم لنا وأقرب إلى الحق الذي ينبغي أن نستعمله﴾ إذا كان مقصود كل واحد من المناظرين مغالبة الآخر فبقاء كل واحد منهما على مذهبه أولى من سماع ما تقوم به عليه الحجة، فلا يقبلها، فتسبب له حينئذ هذه المناظرة على هذا الوجه الوقوع في الفتنة بعد سلامته منها.

هذا الذي يظهر في توجيه كلام المصنف هنا، وإلا فالواجب على المناظرين رد ما تنازعا فيه إلى الكتاب والسنة، ثم اتباع الحق أين ما كان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فيك كذلك. فإذا كنا كذلك فنحن قوم سوء، لم نوفق للرشاد، وكان العلم علينا حجة، وكان الجاهل أعذر منا.

قال محمد بن الحسين: وأعظم من هذا كله أنه ربما احتج أحدهما بسنة عن رسول الله ﷺ على خصمه، فيردها عليه بغير تمييز، كل ذلك يخشى أن تنكسر حجته. حتى إنه لعله أن يقول بسنة عن رسول الله ﷺ ثابتة، فيقول: «هذا باطل، وهذا لا أقول به»، فيرد سنة رسول الله ﷺ برأيه، بغير تمييز.

قوله: ﴿فيرد سنة رسول الله ﷺ﴾ هو على خطر عظيم لما أخرجه الإمام البخاري (١٢٩١) عن **المغيرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**إن كذبا علي ليس ككذب على أحد. من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار...**» الحديث.

نظير ذلك رد بعضهم لحديث الذباب برأيه مع إخراج الإمام البخاري له في "**صحيحه**"! قال العلامة الألباني في "**الصحيحة**" (١/ ٩٨): وقفت على العدد (٨٢) من "**مجلة العربي**" الكويتية (ص ١٤٤) تحت عنوان «أنت تسأل، ونحن نجيب» بقلم المدعو عبد الوارث الكبير جوابا له على سؤال عما لهذا الحديث من الصحة والضعف؟ فقال: أما حديث الذباب وما في جناحيه من داء وشفاء فحديث ضعيف. بل هو عقلا حديث مفترى! فمن المسلم به أن الذباب يحمل من الجراثيم والأقذار... ولم يقل أحد قط: «إن في جناحي الذبابة داءا وفي الآخر شفاءا» إلا من وضع هذا الحديث، أو افتراه. ولو صح ذلك لكشف عنه العلم الحديث الذي يقطع بمضار الذباب، ويحض على مكافحته.

وفي الكلام على اختصاره من الدس والجهل ما لابد من الكشف عنه دفاعا عن حديث رسول الله ﷺ وصيانة له أن يكفر به من قد يغتر بزخرف القول!...اهـ المراد.

ومنهم من يحتج في مسألة بقول صحابي، فيرد عليه خصمه ذلك، ولا يلتفت إلى ما يحتج عليه، كل ذلك نصرة منه لقوله.

لا يبالي أن يرد السنن والآثار.

قال محمد بن الحسين: من صفة الجاهل الجدل، والمراء، والمغالبة، ونعوذ بالله ممن هذا مراده. ومن صفة العالم العاقل المناصحة في مناظرته وطلب الفائدة لنفسه ولغيره، كثر الله في العلماء مثل هذا، ونفعه بالعلم، وزينه بالحلم.

معاشرته لمن عاشره من سائر الخلق

قال محمد بن الحسين: من كانت صفاته في علمه ما تقدم ذكرنا له من أخلاقه -والله أعلم- أن يأمن شره من خالطه، ويأمل خيره من صاحبه.

لا يؤاخذ بالعثرات، ولا يشيع الذنوب عن غيره.

قوله: ﴿من أخلاقه﴾ في ما يلي ذكر جملة من الأخلاق التي يتخلق بها العالم. واهتمام العالم وتحليه بمثل هذه الأخلاق معين لنشر ما لديه من خير. قال العلامة ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (٢/ ٤٣): وعن إبراهيم النخعي، قال: كانوا إذا أتوا الرجل؛ ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته، وإلى صلاته، وإلى حاله، ثم يأخذون عنه.

وقد روي هذا المعنى عن جماعة.اهـ.

قوله: ﴿أن يأمن شره من خالطه، ويأمل خيره من صاحبه﴾ أخرج الإمام الترمذي (٢٢٦٣) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ وقف على ناس جلوس، فقال: «**ألا أخبركم بخيركم من شركم؟**». قال: فسكتوا. فقال ذلك ثلاث مرات. فقال رجل: بلى يا رسول الله! أخبرنا بخيرنا من شرنا. قال: «**خيركم من يرجى خيره، ويؤمن شره...**» الحديث.

حسن هذا الحديث الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

قوله: ﴿ولا يشيع الذنوب عن غيره﴾ في معناه ما أخرجه الإمام البخاري (٢٤٤٢) والإمام مسلم (٥٨)-(٢٥٨٠) من حديث **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه. من كان في حاجة**

ولا يقطع بالبلاغات.

ولا يفشي سر من عاداه، ولا ينتصر منه بغير حق، ويعفو، ويصفح عنه.

أخيه كان الله في حاجته. ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة».

وليس المراد إقرار المنكر. بل ينكر المنكر كل بحسب ما تقتضيه الحال!

قوله: ﴿**ولا يقطع بالبلاغات**﴾ ينبغي، بل يجب التثبت في ما يبلغ العالم وغيره من الأخبار والنظر في ثبوتها؛ لكي لا يبني كلامه على باطل. فلابد من تثبت العالم في الوسائط بينه وبين المخبر به، قال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

قوله: ﴿**ولا يفشي سر من عاداه**﴾ قال الإمام ابن مفلح رحمه الله في **"الآداب الشرعية"** (٢/ ٣٨٩): ويجب حفظ سر من يلتفت في حديثه حذرا من إشاعته؛ لأنه كالمستودع لحديثه.اهـ.

وعلى هذا فالأصل وجوب حفظ السر كما تحفظ الأمانة لصاحبها.

قوله: ﴿**ولا ينتصر منه بغير حق**﴾ هذا ظلم، وإنما له الانتصار على من عاداه بحق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى].

قوله: ﴿**يعفو، ويصفح**﴾ نقل الإمام ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (١/ ٩٦) عن ابن عقيل أنه قال:... خرج من هذه الجملة أن النفاق إبطان الشر وإظهار الخير لإيقاع الشر المضمر.

ذليل للحق، عزيز عن الباطل.
كاظم للغيظ عمن آذاه،...

ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح؛ ليزول الشر، فليس بمنافق، لكنه يستصلح. ألا تسمع إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]؟اهـ المراد.

قوله: ﴿ذليل للحق، عزيز عن الباطل﴾ قد تقدم الكلام المتعلق بالتواضع، فالمسلم يتواضع للحق، ولا يتكبر عنه. بل يقبله، وينقاد له، قال الله جل وعلا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومع انقياد هذا العالم للحق فهو عزيز الجانب مع الباطل، لا يقبله. بل يرده على من جاء به، وإن كان أقرب قريب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

قوله: ﴿كاظم للغيظ عمن آذاه﴾ قال العلامة السعدي في "تفسيره" (ص ١٤٣): إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم -وهو امتلاء قلوبهم من الحنق الموجب للانتقام بالقول والفعل- هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية.اهـ المراد.

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في "السير" (٨/ ٨١):... وأنزل تعالى في وقعة أحد قوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ

شديد البغض لمن عصى مولاه.

يجيب السفيه بالصمت عنه، والعالم بالقبول منه.

لا مداهن، ولا مشاحن، ولا مختال، ولا حسود، ولا حقود، ولا سفيه، ولا جاف، ولا فظ، ولا غليظ، ولا طعان، ولا لعان، ولا مغتاب، ولا سباب.

يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه، وينهاه عما يكره مولاه.

فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فالمؤمن إذا امتحن صبر، واتعظ، واستغفر، ولم يتشاغل بذم من انتقم منه، فالله حكم مقسط. ثم يحمد الله على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له.اهـ المراد.

قال العلامة ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (٢/ ٣١٩): وقيل أيضا:

وإذا أردت منازل الأشراف ... فعليك بالإسعاف والإنصاف

وإذا بغى باغ عليك فخله ... والدهر فهو له مكاف كاف

.اهـ.

قوله: ﴿شديد البغض لمن عصى مولاه﴾ يكون هذا البغض بحسب عظم المعصية.

وفي الباب ما أخرجه الإمام البخاري (٣٥٦٠)، وهذا لفظه، والإمام مسلم (٧٧)-(٢٣٢٧) من حديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما. فإن كان إثما كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها.

قوله: ﴿لا مداهن...﴾ تندرج هذه الصفات في أول حديث ذكر في شرح الفصل.

قوله: ﴿يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه﴾ تقدم ذكر شيء من هذا المعنى في الكلام على مشي الطالب إلى العلماء.

ويخالق بالجميل من لا يأمن شره إبقاءا على دينه.

سليم القلب للعباد من الغل والحسد. يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العذر. لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد.

قوله: ﴿ويخالق بالجميل من لا يأمن شره إبقاءا على دينه﴾ قال العلامة ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (١/ ٩٤-٩٥): في **"الصحيحين"** وغيرهما عن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رجلا استأذن على النبي ﷺ، فقال: «**ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة** -أو **بئس رجل العشيرة**-». فلما دخل ألان له القول. قلت: يا رسول الله! قلت الذي قلت، ثم ألنت له القول؟ قال: «**يا عائشة! إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس** -أو **تركه الناس**- **اتقاء فحشه**».

قال في شرح **"مسلم"** وغيره: فيه مداراة من يتقى فحشه. ولم يمدحه النبي ﷺ، ولا أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه. إنما تألفه بشيء من الدنيا.اهـ المراد.

قوله: ﴿يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العذر﴾ يدل على أهمية ذلك ما ورد من النهي عن إساءة الظن بالمسلم دون موجب. قال العلامة ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (١/ ٨٨): ظاهر قوله عليه السلام: «**إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث**» أن استمراء ظن السوء وتحقيقه لا يجوز.اهـ المراد.

ثم قال: وذكر القرطبي ما ذكره المهدوي عن أكثر العلماء أن ظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وإنه لا حرج بظن القبيح بمن ظاهره قبيح.اهـ المراد.

قوله: ﴿لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد﴾ هذا دليل عدم حسد صاحب هذه الخصلة؛ إذ الحسد تمني زوال النعمة عن المحسود لرجوعها إلى الحاسد.

وسلمة القلب من الحسد راحة له وللبدن، قال العلامة الماوردي رحمه الله تعالى: اعلم أن الحسد خلق ذميم مع إضراره بالبدن وإفساده للدين حتى لقد أمر الله

يداري جهل من عامله برفقه.

إذا تعجب من جهل غيره ذكر أن جهله أكثر في ما بينه وبين ربه عز وجل.

لا يتوقع له بائقة، ولا يخاف منه غائلة، الناس منه في راحة، ونفسه منه في جهد.

بالاستعاذة من شره، فقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]، وناهيك بحال ذلك شرا!اهـ المراد بواسطة **"نضرة النعيم"** (١٠/ ٤٤١٨).

قوله: ﴿**إذا تعجب من جهل غيره ذكر أن جهله أكثر في ما بينه وبين ربه**﴾ لا يكون تعجبه بجهل غيره مؤديا إلى تحقير الغير والازدراء به. بل يلازم التواضع في جميع أحواله، ويتذكر قول الله جل وعلا: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وأنه مع ما من الله به عليه من العلم فما يجهله أكثر...

قوله: ﴿**لا يتوقع له بائقة، ولا يخاف منه غائلة، الناس منه في راحة، ونفسه منه في جهد**﴾ أخرج الإمام البخاري (٢٧٨٦) والإمام مسلم (١٢٢)-(١٨٨٨) من حديث **أبي سعيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: أي الناس أفضل؟ فقال: «**رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه**». قال: ثم من؟ قال: «**مؤمن في شعب من الشعاب، يعبد الله ربه، ويدع الناس من شره**».

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في **"الفوائد"** (ص ٧٣): من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس.اهـ.

والمراد استغال الإنسان بإصلاح نفسه عن ملاحظة عيوب الناس بالغيبة وبما لايجوز له التكلم به في عرض أخيه. وليس معنى ذلك الإمساك عن النصيحة لأخيه على الوجه الشرعي. بل هذا مطلوب؛ فإن الأخ لأخيه كالمرآة ينبهه على ما يحتاج من عيوبه إلى إصلاح، والأخ لأخيه كالبنيان يشد بعضه بعضا.

أوصافه في ما بينه وبين ربه عز وجل

قال محمد بن الحسين: جميع ما تقدم ذكرنا له مما ينبغي للعالم أن يستعمل من الأخلاق الشريفة كلها تجري له بتوفيق من مولاه الكريم. ومن جرى له التوفيق بما ذكرنا كان استعماله للأخلاق الشريفة في ما بينه وبين ربه عز وجل أعظم شأنا مما ذكرت مما قد أوصله مولاه الكريم إلى قلبه، يمتعه بها شرفا له بما خصه من علمه إذ جعله وارث علم الأنبياء، وقرة عين الأولياء، وطيبيا لقلوب أهل الجفاء.

فمن صفته أن يكون لله شاكرا، وله ذاكرا، دائم الذكر بحلاوة حب المذكور، منعم قلبه بمناجاة الرحمن.

يعد نفسه مع شدة اجتهاده خاطئا، مذنبا، ومع الدءوب على حسن العمل مقصرا. لجأ إلى الله عز وجل، فقوى ظهره، ووثق بالله، فلم يخف غيره.

مستغن بالله عن كل شيء، ومفتقر إلى الله في كل شيء، أنسه بالله وحده، ووحشته ممن يشغله عن ربه.

إن ازداد علما خاف توكيد الحجة، مشفق على ما مضى من صالح عمله أن لا يقبل منه. همه في تلاوة كلام الله الفهم عن مولاه، وفي سنن الرسول ﷺ الفقه؛ لئلا يضيع ما أمر به، متأدب بالقرآن والسنة.

لا ينافس أهل الدنيا في عزها، ولا يجزع من ذلها، يمشي على الأرض هونا بالسكينة والوقار، ومشتغل قلبه بالفهم والاعتبار.

إن فرغ قلبه عن ذكر الله فمصيبة عنده عظيمة، وإن أطاع الله عز وجل بغير حضور فهم فخسران عنده مبين. يذكر الله مع الذاكرين، ويعتبر بلسان الغافلين.

عالم بداء نفسه ومتهم لها في كل حال اتسع في العلوم، فتراكمت على قلبه الفهوم، فاستحى من الحي، القيوم. وشغله بالله في جميع سعيه متصل، وعن غيره منفصل.

فإن قال قائل: «فهل لهذا النعت الذي نعت به العلماء، ووصفتهم به، أصل في القرآن، أو السنة، أو أثر عمن تقدم؟» قيل له: نعم، وسنذكر منه ما يدل على ما قلناه، إن شاء الله.

[الخشوع:]

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدَا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولَا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعَا﴾ [الإسراء]، أفلا ترى - رحمك الله- كيف وصف العلماء بالبكاء، والخشية، والطاعة، والتذلل، في ما بينه وبينهم.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا الفريابي، أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا أبو أسامة، عن مسعر، قال: سمعت...

قوله: ﴿وسنذكر منه ما يدل على ما قلناه﴾ في ما يلي ذكر لجملة من الأدلة، أو أصل من أقوال السلف، لما تقدم ذكره من أوصاف العالم في ما بينه وبين ربه جل وعلا.

وجماع ما ذكره دائر على الخشوع، والخشية، والفقه، والزهد.

عبد الأعلى التيمي يقول: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه فخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه؛ لأن الله عز وجل نعت العلماء»، وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ -إلى قوله:- ﴿يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٨].

قوله: ﴿عبد الأعلى التيمي يقول: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه فخليق أن...»﴾

صحيح.

أخرج الأثر الإمام أبو عبيد في **"فضائل القرآن"** (ص ١٤٠)، والإمام ابن أبي شيبة (٣٨٠٩٦) ومن طريقه المصنف، والإمام الدارمي (٣٠٠)، والإمام ابن جرير في **"التفسير"** (١٥/ ١٨١-١٨٢) مرتين، وغيرهم، من طريق مسعر به.

تعريف الخشوع:

قال العلامة ابن القيم في **"المدارج"** (٢/ ١٥٠): في أصل اللغة الانخفاض، والذل، والسكون، قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨].اهـ.

ثم قال رحمه الله تعالى (ص ١٥١): الخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع، والذل، والجمعية عليه.اهـ.

ثم قال (ص ١٥٣): والحق أن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم، والمحبة، والذل، والانكسار.اهـ.

ثمرة الخشوع أعمال الجوارح:

قال الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (٢/ ١٥١): أجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح، وهي تظهره.اهـ.

فمتى خلا القلب من الخشوع نكدت ثمرته، قال الله جل وعلا: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ﴾ [الأعراف: ٥٨].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في سياق كلامه على هذه الآية كما في **"تفسيره"** (١/ ٤١٠): فشبه سبحانه الوحي الذي أنزله من السماء على القلوب بالماء الذي أنزله على الأرض لحصول الحياة بهذا وهذا.

وشبه القلوب بالأرض؛ إذ هي محل الأعمال كما أن الأرض محل النبات، وأن القلب الذي لا ينتفع بالوحي، ولا يزكو عليه، ولا يؤمن به، كالأرض التي لا تنتفع بالمطر، ولا تخرج نباتها به إلا قليلا لا ينفع، وأن القلب الذي آمن بالوحي، وزكا عليه، وعمل بما فيه، كالأرض التي أخرجت نباتها بالمطر.

فالمؤمن إذا سمع القرآن، وعقله، وتدبره، بان أثره عليه، فشبه بالبلد الطيب الذي يمرج، ويخصب، ويحسن أثر المطر عليه، فينبت من كل زوج كريم، والمعرض عن الوحي عكسه، والله الموفق.اهـ.

ويظهر بما تقدم العلاقة بين ما أنزله الله من الذكر الحكيم وبين الخشوع؛ فإن الذكر محرك الخشوع المنتج لأعمال الجوارح، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

والعالم أحق بهذا العتاب من غيره، ولذلك قال الله جل وعلا تتمة للآية السابقة: ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]. فكان لأجل ذلك من أهم صفة العالم كثرة ذكر الله وملازمته له. وقد نبه على ذلك المصنف في أول هذا الفصل، كما نبه بعد ذلك على عظم مصيبة العالم بفراغ قلبه من ذكر الله جل وعلا.

مطالعة آفات النفس والعمل مثمرة للخشوع:

قال الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (٢/ ١٥٥): انتظار ظهور نقائص نفسك، وعملك، وعيوبهما، لك؛ فإنه يجعل القلب خاشعا، لا محالة، لمطالعة عيوب

نفسه، وأعماله، ونقائصها، من الكبر، والعجب، والرياء، وضعف الصدق، وقلة اليقين، وتشتت النية، وعدم تجرد الباعث من الهوى النفساني، وعدم إيقاع العمل على الوجه الذي ترضاه لربك، وغير ذلك من عيوب النفس ومفسدات الأعمال.اهـ.

ولهذا كان المؤمن مع ما يتعاطاه من الأعمال دائم الخوف من عدم قبوله منه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

والعالم أحق بمطالعة هذه الآفات في نفسه وعمله من غيره، قال الله جل وعلا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩].

فكان من أوصاف العالم، كما ذكر المصنف، علمه بداء نفسه، وعد نفسه من المقصرين مع اجتهاده في العمل، وإشفاقه من عدم قبوله.

وتزداد هذه المطالعة عند العالم كلما ازداد علمه، فيزيده خشوعا. ولذلك كان من كلام بعض الأئمة في آخر حياته معترفا فيه بتقصيره قوله: «إني علمت أني لا أعلم»، والله المستعان.

ومن هذا الباب ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في **"المدارج"** (٢/ ١٥٧): ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- من ذلك أمرا لم أشاهده من غيره، وكان يقول كثيرا: «ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا في شيء»، وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي

.اهـ.

[الخشية:]

أخبرنا أبو بكر: حدثني عمر بن أيوب السقطي، أخبرنا أبو همام، أخبرنا جعفر بن عون، أخبرنا أبو عميس، عن عون بن عبد الله، قال: قال عبد الله ابن مسعود: منهومان لا يشبعان، صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان. أما صاحب العلم فيزداد رضا الله، وأما صاحب الدنيا فيزداد في الطغيان. قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، ثم قرأ للآخر: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق].

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، أخبرنا قطن ابن نسير، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن مطر الوراق في قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال: بلغنا أن الحكمة خشية الله والعلم به.

قوله: ﴿الخشية﴾ قدمنا الكلام على الخشية، فنكتفي بهذه الإحالة عن إعادته ههنا.

قوله: ﴿عبد الله بن مسعود: منهومان لا يشبعان، صاحب العلم وصاحب...﴾

ضعيف.

أخرجه الإمام الدارمي (٣٤٣) والإمام ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" (٤/ ٧٢٠) من طريق جعفر بن عون به.

والإسناد منقطع بين عون وبين ابن مسعود، نقله الحافظ العلائي في "جامع التحصيل" (ص ٢٤٩) عن الإمام الترمذي وغيره، ثم قال: وذلك واضح.اهـ.

قوله: ﴿مطر الوراق في قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ﴾...﴾

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي، أخبرنا محمد بن بكار، أخبرنا عبيدة بن حميد، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، قال: قال مسروق: بحسب امرئ من العلم أن يخشى الله، وبحسب امرئ من الجهل أن يعجب بعلمه.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو العباس أحمد بن زنجويه، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي، أخبرنا الوليد بن مسلم، أخبرنا الأوزاعي، قال: سمعت يحيى بن أبي كثير يقول: العالم من خشي الله، وخشية الله الورع.

سنده حسن إلى مطر.

والرجال في السند كلهم ما بين ثقة وصدوق، ولكن قطن بن نسير قال الإمام الذهبي في "**الميزان**" (٣/ ٣٨٩): كان أبو حاتم يحمل عليه.

وقال ابن عدي: كان يسرق الحديث.اهـ.

وأخرج له الإمام مسلم في "**صحيحه**"، وتهمة الحافظ ابن عدي قد وهمه فيها الإمام الذهبي! وأعدل الأقوال قول الحافظ في "**التقريب**": صدوق، يخطئ.اهـ.

قوله: ﴿مسروق: بحسب امرئ من العلم أن يخشى الله، وبحسب امرئ من...﴾

صحيح.

أخرج هذا الأثر الإمام أبو خيثمة في "**العلم**" (١٥) والإمام عبد الله بن أحمد في زياداته على "**الزهد**" (٢٠٧٣) من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة به.

وأخرجه الإمام أبو خيثمة في "**العلم**" (٤٦) والإمام ابن أبي شيبة (٣٧٦٠٧) من طريق الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق.

وهذان الإسنادان كلاهما صحيح.

قوله: ﴿يحيى بن أبي كثير يقول: العالم من خشي الله، وخشية الله الورع﴾

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن زاطيا، أخبرنا عبد الله ابن عمر القواريري، أخبرنا حماد بن زيد، قال: سمعت أيوب يقول: ينبغي للعالم أن يضع الرماد على رأسه تواضعا لله عز وجل.

حسن.

الرجال في الإسناد ثقات كلهم إلا هشام بن عمار، قال الحافظ في **"التقريب"**: صدوق، مقرئ. كبر، فصار يتلقن، فحديثه القديم أصح.اهـ.

والوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية! لكن ذلك لا يضر هنا للتصريح في الإسناد بما يفيد السماع بينه وبين شيخه، ثم بين شيخه وشيخ شيخه.

قوله: ﴿أيوب يقول: ينبغي للعالم أن يضع الرماد على رأسه تواضعا لله عز وجل﴾

صحيح بمجموع طريقيه.

أخرجه الإمام البيهقي في **"الشعب"** (١٧١٦) من طريق المصنف.

وقد استفدنا من هذا المرجع تصحيف اسم القواريري، وصوابه «عبيد الله».

والرجال في الإسناد ثقات ما عدا علي بن إسحاق بن عيسى بن زاطيا، قال الخطيب في **"تاريخه"** (١٣/ ٢٦٤): وكان صدوقا.اهـ.

وأفاد المعلق بطريق أخرى، أخرجها الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١١٣) من طريق إبراهيم بن أبي طالب، نا محمد بن يحيى، نا عفان، عن حماد بن زياد به، لكن بلفظ «التراب».

ومحمد بن يحيى يحتمل كونه السرمري، أو الذهلي. ولكن يرجح الثاني كون إبراهيم بن أبي طالب نيسابوريا؛ إذ الأصل رواية الراوي عن بلديه، والذهلي نيسابوري بخلاف السرمري المنسوب إلى مدينة ببغداد اسمها سُرَّ من رأى.

وعلى هذا فالإسناد صحيح.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، أخبرنا أبو بكر ابن زنجويه، أخبرنا نعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن زائدة، عن هشام، عن الحسن، قال: إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وبصره، ولسانه، ويده، وزهده. وإن كان الرجل ليطلب الباب من أبواب العلم، فيعمل به، فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له، فجعلها في الآخرة.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو سعيد المفضل بن محمد اليماني في المسجد الحرام، أخبرنا محمد بن ميمون الخياط، قال: سمعت ابن عيينة يقول: إذا كان نهاري نهار سفيه، وليلي ليل جاهل، فما أصنع بالعلم الذي كتبت!؟

قوله: ﴿الحسن، قال: إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك...﴾

ضعيف.

أخرج الأثر الإمام الدارمي مفرقا (٣٩٥) و(٣٩٦) والإمام أحمد في **"الزهد"** (١٤٨١) و(١٤٨٥)، وأخرجه الإمام ابن عبد البر مجموعا في **"جامع بيان العلم وفضله"** (٣١٥)، من طريق هشام به.

ومن طريق هشام أخرج الشطر الأول الإمام أحمد في **"الزهد"** (١٦٦٨) والإمام البيهقي في **"الشعب"** (١٦٧٠)، والشطر الثاني الإمام ابن أبي شيبة (٣٧٩٣٥)، وعبد الله بن أحمد في زياداته على **"الزهد"** (١٥٣٩)، والإمام ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٢٧٣).

وهذا الإسناد ضعيف لضعف رواية هشام عن الحسن، كما تقدم بيانه.

قوله: ﴿ابن عيينة يقول: إذا كان نهاري نهار سفيه، وليلي ليل جاهل، فما أصنع...﴾

حسن.

[الفقه:]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، أخبرنا أبو بدر، أخبرنا زياد بن خيثمة، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم مكر الله، ولم يترك القرآن إلى غيره. ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في تفقه ليس فيه تفهم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر.

سنده حسن لأجل الخياط، قال الحافظ في **"تقريبه"**: صدوق، ربما أخطأ.اهـ.

قوله: ﴿**الفقه**﴾ تقدم الكلام المتعلق بالفقه، فليراجعه من أحب تجديد العهد به.

قوله: ﴿**علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه؟ من...**﴾ ضعيف.

أخرجه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٦١) من طريق المصنف.

في سنده أبو إسحاق، وهو السبيعي، وهو ممن تضر عنعنته من المدلسين. وفي السند إليه الحماني، قال الحافظ في **"التقريب"**: اتهموه بسرقة الحديث.اهـ.

وللأثر طريق أخرى أخرجها الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٦٠)، وهي نظير المتقدمة في شدة الضعف؛ فإن الراوي عن علي هو الحارث الأعور.

وأخرجه الإمام أبو خيثمة في **"العلم"** (١٤٣) والإمام الدارمي (٣٠٦) و(٣٠٧) من طريق ليث، عن يحيى، عن علي نحوه دون ذكر الأمن من مكر الله.

وليث هذا هو ابن أبي سليم، وهو ضعيف.

وأخرجه الإمام ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٥١٠) مرفوعا، وقال: لا يأتي هذا الحديث مرفوعا إلا من هذا الوجه، وأكثرهم يوقفونه على علي.اهـ.

[الزهد:]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا هارون الحمال، أخبرنا سيار، أخبرنا جعفر بن سليمان، أخبرنا...

قوله: {الزهد} قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "المدارج" (٢/ ١٧٨): القرآن مملوء من التزهيد في الدنيا، والإخبار بخستها، وقلتها، وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها.

فإذا أراد الله بعبد خيرا أقام في قلبه شاهدا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار.اهـ.

ثم نقل قول شيخ الإسلام في تعريف الزهد مستحسنا له: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة.اهـ.

العالم أزهد الناس في الدنيا:

وإنما كان العالم أزهد الناس في الدنيا لعلمه بحقيقتها وتمام عقله في ذلك. قال الإمام ابن القيم في "الفوائد" (ص ٢٧٠-٢٧١):... فإذا آثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له وإما لعدم رغبته في الأفضل.

وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان وضعف العقل والبصيرة؛ فإن الراغب في الدنيا، الحريص عليها، المؤثر لها، إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف، وأفضل، وأبقى، وإما أن لا يصدق.

فإن لم يصدق كان عادما للإيمان رأسا. وإن صدق بذلك، ولم يؤثره، كان فاسد العقل، سيئ الاختيار لنفسه.

وهذا تقسيم حاضر، ضروري، لا ينفك العبد من أحد القسمين منه. فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان وإما من فساد في العقل.اهـ المراد.

مطر الوراق، قال: سألت الحسن عن مسألة، فقال فيها. فقلت: يا أبا سعيد! يأبى عليك الفقهاء، ويخالفونك. فقال: ثكلتك أمك مطر! وهل رأيت فقيها قط؟ وهل تدري ما الفقيه؟ الفقيه الورع، الزاهد، الذي لا يسخر ممن أسفل منه، ولا يهمز من فوقه، ولا يأخذ على علم علمه الله حطاما.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا عمر بن أيوب السقطي، أخبرنا الحسن بن عرفة، أخبرنا المبارك بن سعيد، عن أخيه سفيان الثوري، عن عمران المنقري، قال: قلت للحسن يوما في شيء قاله: يا أبا سعيد! ليس هكذا يقول الفقهاء. قال: فقال: ويحك، أو رأيت أنت فقيها قط؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير في أمر دينه، المداوم على عبادة الله عز وجل.

قوله: ﴿مطر الوراق، قال: سألت الحسن عن مسألة، فقال فيها. فقلت...﴾

حسن بمجموع طريقيه.

أخرجه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٦٢) من طريق المصنف.

وهذا الإسناد ضعيف لضعف مطر وسيار، وهو ابن حاتم.

وقد أخرجه الإمام ابن سعد في **"الطبقات"** (٧/ ١٣١) من طريق عمران بن خالد الخزاعي، عن رجل قد سماه، قال: سأل مطر الحسن... مثله.

وهذه الطريق ضعيفة لضعف الخزاعي وإبهام شيخه. لكن يصلح الاعتبار بها لتقوية الطريق السابقة، فيرتقي الأثر إلى الحسن بمجموعهما.

قوله: ﴿عمران المنقري، قال: قلت للحسن يوما في شيء قاله: يا أبا سعيد!...﴾

صحيح.

أخرجه الإمام ابن أبي شيبة (٣٧٩٢١)، والإمام الدارمي (٣٠٣)، والإمام عبد الله بن أحمد في زياداته على **"الزهد"** (١٥٣٤)، من طريق سفيان به.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا الحكم بن موسى بن أبي كردم -كذا، وقال غيره: «ابن أبي درم»-، عن وهب بن منبه، قال: بلغ ابن عباس عن مجلس كان في ناحية بني سهم، يجلس فيه ناس من قريش، يختصمون، فترتفع أصواتهم. فقال ابن عباس: «انطلق بنا إليهم». فانطلقنا حتى وقفنا. فقال ابن عباس: «أخبرهم عن كلام الفتى الذي كلم به أيوب في حاله. قال: أيوب!...». فقلت: قال الفتى: يا أيوب! أما كان في عظمة الله وذكر الموت ما يكل لسانك، ويقطع قلبك، ويكسر حجتك!؟ يا أيوب! أما علمت أن لله عبادا أسكتتهم خشية الله من غير عي ولا بكم، وإنهم هم النبلاء، الفصحاء، الطلقاء، الألباء، العالمون بالله وآياته. ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت قلوبهم، وكلت ألسنتهم، وطاشت عقولهم وأخلاقهم، فرقا من الله وهيبة له. وإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزاكية. لا يستكثرون لله الكثير، ولا يرضون له بالقليل. يعدون أنفسهم مع الظالمين، الخاطئين، وإنهم لأنزاه، أبرار، ومع المضيعين، المفرطين، وإنهم لأكياس، أقوياء، ناحلون، دائبون. يراهم الجاهل، فيقول: «مرضى»، وليسوا بمرضى. قد خولطوا، وقد خالط القوم أمر عظيم.

قوله: ﴿وهب بن منبه، قال: بلغ ابن عباس عن مجلس كان في ناحية بني سهم...﴾ ضعيف.

الرجال في السند ثقات إلا الحكم بن موسى بن أبي كردم، فلم أجد له ترجمة، فالله أعلم بحاله!

قال محمد بن الحسين: هذه الأخبار تدل على ما وصفنا به العلماء والفقهاء.

فإن قال قائل: «ولم داخل العلماء هذا الإشفاق الشديد، وخافوا من علمهم هذا الخوف كله؟» قيل له: علموا أن الله عز وجل يسائلهم عن علمهم ما عملوا فيه، فجعلوا مساءلة الله نصب أعينهم، فألزموا أنفسهم شدة الحذر، وأخذوا بالثقة في كل أمرهم.

إن قال قائل: «فإن العلماء يسألون عن علمهم ما عملوا فيه؟» قيل: نعم.

فإن قال: «فاذكر من ذلك ما إذا سمعه العالم انتبه من رقدته، وأخذ نفسه بلزوم أخلاق من ذكرت، والله موفقنا» قيل: نعم، إن شاء الله تعالى.

وأخرجه الإمام أحمد في **"الزهد"** (٢٣١) من طريق أبي بكر بن عياش، عن إدريس بن وهب بن منبه، عن أبيه نحوه دون قوله: «ناحلون... إلخ».

والرجال في السند ثقات إلا ابن عياش، وهو صدوق، وشيخه لم أجد ترجمة له بهذا الاسم! ويغلب على الظن أنه الذي ترجم له الإمام البخاري في **"التاريخ الكبير"** (٢/ ٣٦-٣٧)؛ فقال: إدريس ابن بنت وهب بن منبه، عن وهب.

روى عنه أبو بكر بن عياش.

وقال معافى: إدريس بن سنان أبو إلياس اليماني، سمع مجاهدا.اهـ.

وبه جزم الإمام يحيى بن معين أيضا، نقله عنه الدوري في **"تاريخه"** (٣٩٤).

وإذ كان كذلك فالأثر ضعيف لجهالة عين إدريس هذا، ويكون المراد بقوله في السند: «عن أبيه» جده!

باب ذكر سؤال الله لأهل العلم عن علمهم ماذا عملوا فيه

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو سعيد المفضل بن محمد اليماني في المسجد الحرام، أخبرنا صامت بن معاذ، أخبرنا عبد الحميد، عن سفيان الثوري، عن صفوان ابن سليم، عن عدي بن عدي، عن الصنابحي، عن **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال، عن عمره في ما أفناه، وعن شبابه في ما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفي ما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**».

قوله: ﴿معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما...»﴾

الراجح وقفه بذكر الجسد بدل الشباب، وهو حسن بمجموع طريقيه، وله حكم الرفع. ويرتقي بشاهده إلى الجودة.

أخرجه من طريق المصنف الإمام القرطبي في "**التذكرة**" (٢/ ٥٢-٥٣)، وقد وقع تصحيف في بعض متنه وسنده!

أخرجه الإمام الطبراني (٢٠/ ٤٣) برقم (١١١)، والإمام البيهقي في "**شعب الإيمان**" (١٦٤٨)، والخطيب في "**اقتضاء العلم**" (٢)، والحافظ ابن عساكر في "**تاريخ دمشق**" (٣٥/ ١١٨-١١٩) وفي "**ذم من لا يعمل بعلمه**" (٢)، من طريق صامت بن معاذ به.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، أخبرنا أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة، قالا: أخبرنا الأسود بن عامر، عن أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن...

وقد تصحف اسم الراوي عن الثوري، وصوابه ما في المصادر الأخرى «عبد المجيد»، وهو ابن عبد العزيز، قال الحافظ في **"التقريب"**: صدوق، يخطئ.اهـ.

ومن عداه من الرجال في السند ثقات ما عدا صامت، وهو صدوق.

ووهم الإمام الدارقطني عبد المجيد في هذا الحديث؛ حيث قال في **"العلل"** (٤/ ٢٦) بعد سوق سنده بدءا منه: ووهم في قولهم -صوابه على مقتضى السياق «قوله»-: «عن صفوان»! وإنما روى الثوري هذا الحديث عن ليث بن أبي سليم، عن عدي، عن الصنابحي، عن معاذ موقوفا.اهـ.

أخرج هذا الموقوف الإمام الدارمي (٥٥٤): أخبرنا محمد بن يوسف، عن سفيان به نحوه، لكن ذكر فيه الجسد بدل الشباب!

وذكر الإمام الدارقطني عقب ما تقدم اختلافا آخر في الحديث، وختم كلامه على ذلك بقوله: الصحيح أنه موقوف.اهـ.

ومدار هذا الموقوف على ليث، وهو ضعيف.

وأخرجه الإمام الدارمي (٥٥٣) من طريق عبد العزيز بن محمد، عن عمارة ابن غزية، عن يحيى بن راشد، قال: ثني فلان العرني، عن معاذ موقوفا نحوه.

ولولا إبهام الراوي في الإسناد لكان حسنا. ولكن في الوقت نفسه لا مانع من الاعتبار بهذه الطريق، فإذا ضمت إلى السابقة حسن الموقوف. ويكون له حكم الرفع؛ إذ لا يمكن لمعاذ الجزم بمثل هذه الأمور الدقيقة إلا عن توقيف.

ويشهد له حديث أبي برزة الآتي، فيرتقي به إلى الجودة.

أبي برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره في ما أفناه، وعن علمه ماذا عمل فيه...**» وذكر باقي الحديث.

أخبرنا أبو بكر: **أخبرنا** الفريابي، أخبرنا محمد بن بكار القيسي، أخبرنا أبو محصن حصين بن نمير، عن حسين بن قيس، عن عطاء، عن ابن عمر، عن **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال، عن عمرك في ما أفنيت، وعن شبابك في ما أبليت، وعن مالك من أين اكتسبت، وفي ما أنفقت، وما عملت في ما علمت**».

قوله: ﴿**أبي برزة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم...**»﴾ **جيد بشاهده.**

أخرج الخبر الإمام الدارمي (٥٥٢) ومن طريقه الإمام الترمذي (٢٤١٧)، والإمام أبو يعلى (٧٤٣٤)، وغيرهم، من طريق أبي بكر بن عياش به.

ولفظه موافق لمتن الموقوف السابق، خلافا لما يبدو من ظاهر إحالة المصنف!

قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن، صحيح.

وسعيد بن عبد الله بن جريج هو بصري، وهو مولى أبي برزة.اهـ المراد.

قال الإمام ابن مفلح في "**الآداب الشرعية**" (٢/ ١٢٩): إسناده جيد. وسعيد روى عنه غير واحد، ووثقه ابن حبان، ولا وجه لقول أبي حاتم: مجهول.اهـ.

بل هو الأوجه لتساهل ابن حبان في توثيق المجهولين، إلا أنه يرقي حاله إلى الستر كونه مولى أبي برزة. ويرتقي الحديث بموقوف معاذ السابق إلى الجودة.

قوله: ﴿**ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **عن النبي** ﷺ، **قال**: «**لا تزول قدما ابن آدم...**»﴾

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا الفريابي، أخبرنا قتيبة بن سعيد وشيبان بن فروخ، قالا: أخبرنا أبو عوانة، أخبرنا هلال بن أبي حميد -وقال قتيبة: عن هلال الوزان-، عن...

متروك.

أخرجه الإمام الترمذي (٢٤١٦)، والإمام ابن نصر في **"تعظيم قدر الصلاة"** (٨٤٩)، والإمام أبو يعلى (٥٢٧١)، والإمام الطبراني في **"الصغير"** (٧٦٠)، والإمام ابن عدي في **"الكامل"** (٥٢٥٧)، وغيرهم، من طريق أبي محصن حصين ابن نمير به.

قال الإمام الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس. وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه.اهـ.

بل حاله أشد، قال الحافظ في **"التقريب"**: متروك.اهـ!

واستنكر عليه هذا الحديث الإمام ابن عدي بذكره في ترجمته!

وفي الباب أحاديث أخرى كل ما اطلعنا عليه منها شديد الضعف.

خوف العالم من تقصير عمله بجانب علمه:

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في **"التذكرة"** (٢/ ٥٥-٥٦): هذا مقام مخوف؛ لأنه لم يقل: «وعن عمله -صوابه «علمه»- ما قال فيه»، وإنما قال: «**ما عمل فيه**». فلينظر العبد ما عمل في ما علمه، هل صدق الله في ذلك، وأخلصه، حتى يدخل في من أثنى الله عليه بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أو خالف علمه بفعله، فيدخل في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩].اهـ المراد.

عبد الله بن عكيم، قال: سمعت ابن مسعود في هذا المسجد -يعني مسجد الكوفة- بدأ باليمين قبل أن يحدثنا، فقال: والله ما منكم من أحد إلا وإن ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: يا ابن آدم! ما غرك بي -ثلاث مرار-؟ ماذا أجبت المرسلين؟ كيف عملت في ما علمت؟

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، قال: قال أبو الدرداء: إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال: قد علمت، فماذا عملت في ما علمت؟

قوله: ﴿عبد الله بن عكيم، قال: سمعت ابن مسعود في هذا المسجد...﴾

صحيح.

أخرجه الإمام أحمد في **"الزهد"** (٩١٣) والإمام محمد بن نصر في **"تعظيم قدر الصلاة"** (٨٥١) من طريق أبي عوانة به.

قوله: ﴿أبو الدرداء: إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال: قد...﴾

صحيح لغيره.

أخرجه الإمام ابن أبي شيبة (٣٧٣٢١) والحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٢٠١) من طريق سليمان بن المغيرة به.

وهذا الإسناد ضعيف لانقطاعه بين حميد بن هلال وأبي الدرداء. حزر الإمام الذهبي في **"السير"** (٥/ ٣١١) موت حميد في سنة عشرين ومائة. وحدد الحافظ في **"التقريب"** موت أبي الدرداء في أواخر خلافة عثمان، فيكون ما بين الوفاتين خمس وثمانون سنة تقريبا!

ويؤيد الانقطاع عدم ذكر رواية حميد من أبي الدرداء في **"التهذيبين"**.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر بن أبي داود، أخبرنا بندار محمد بن بشار، أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن حبيب بن عبيد، قال: قال أبو الدرداء: لا تكون عالما حتى تكون بالعلم عاملا.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا جعفر بن محمد الصندلي، أخبرنا حسن الزعفراني، أخبرنا محمد بن يزيد بن خنيس، أخبرنا عمرو بن قيس، حدثني عطاء، قال: كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين، فيسألها، وتحدثه. فجاء ذات يوم يسألها، فقالت: يا بني! هل عملت بما سمعت؟ فقال: لا، والله يا أمه! قالت: يا بني! ففيم تستكثر من حجج الله علينا وعليك؟

وأخرجه الإمام ابن نصر في **"تعظيم قدر الصلاة"** (٨٥٢) من طريق فرج بن فضالة، عن لقمان، قال: قال أبو الدرداء نحوه.

والسند ضعيف لضعف فرج بن فضالة وانقطاعه بين لقمان وبين أبي الدرداء.

وله طريق أخرى صحيحة أخرجها الإمام ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٢٠٤) من طريق أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن أبي الدرداء نحوه.

قوله: ﴿أبو الدرداء: لا تكون عالما حتى تكون بالعلم عاملا﴾

حسن بمجموع طريقيه.

أفاد الإمام ابن أبي حاتم في **"المراسيل"** (٨٥) بالانقطاع بين حبيب وقائله.

وله إسناد آخر منقطع في نفس الموضع، أخرجه الخطيب في **"اقتضاء العلم العمل"** (١٧) من طريق عبد الوهاب بن عطاء]، أنا هشام الدستوائي، عن برد، عن سليمان، قاضي عمر بن عبد العزيز، قال: قال أبو الدرداء نحوه.

وللأثر طرق لا يسوغ الاعتبار بها، ويكفي الطريقان المتقدمتان لتحسينه بهما.

قوله: ﴿عطاء، قال: كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين، فيسألها، وتحدثه. فجاء...﴾

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زهير بن محمد، أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، أن أبا الدرداء قال: ويل للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم، ولا يعمل، سبع مرات.

قال محمد بن الحسين: من تدبر هذا أشفق من علمه أن يكون عليه، لا له. فإذا أشفق مقت نفسه، وبان بأخلاقه الشريفة التي تقدم ذكرنا لها. والله الموفق لنا ولكم إلى الرشاد من القول والعمل.

متروك.

يظهر بالنظر في ترجمة عطاء بن أبي رباح من "**تهذيب الكمال**" (٥/ ١٦٧) كون «عمرو» تصحيفا، صوابه «عمر»، قال الحافظ في "**التقريب**": متروك.اهـ.

قوله: {أبا الدرداء قال: ويل للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم، ولا يعمل...}

ضعيف.

أخرجه الخطيب في "**اقتضاء العلم العمل**" (٦٦-٦٨)، والإمام ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١٢١٢)، والحافظ ابن عساكر في "**تاريخه**" (٤٧/ ١٤٨)، من طريق جعفر بن برقان به.

وإسناده ضعيف لانقطاعه، قال الإمام البخاري في "**تاريخه**" (٧/ ٣٣٨): قال أحمد بن نصر، عن علي بن معبد، عن عبيد الله بن عمرو، قال: ولد ميمون سنة أربعين.اهـ.

ومات أبو الدرداء قبل ذلك بخمس سنين على الأقل.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أخلاق العالم الجاهل المفتتن بعلمه

قال محمد بن الحسين: قد تقدمت الأخبار عن النبي ﷺ، وعن صحابته رضي الله عنهم، وعن أئمة المسلمين رحمهم الله، بصفة علماء في الظاهر لم ينفعهم الله بالعلم ممن طلبه للفخر، والرياء، والجدل، والمراء، وتأكل به الأغنياء، وجالس به الملوك وأبناء الملوك؛ لينال به الدنيا، فهو ينسب نفسه إلى أنه من العلماء، وأخلاقه أخلاق أهل الجهل والجفاء، فتنة لكل مفتون، لسانه لسان العلماء، وعمله عمل السفهاء.

فإن قال قائل: «فاذكر الأخبار في ذلك؛ لنحذر ما حذرتنا» قيل: نعم، إن شاء الله.

قوله: ﴿فتنة لكل مفتون، لسانه لسان العلماء، وعمله عمل السفهاء﴾ قال العلامة ابن القيم في **"الفوائد"** (ص ٢١٣): علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم! فكلما قالت أقوالهم للناس:

«هلموا» قالت أفعالهم: «لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له»، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق.اهـ.

أخطر سبب لترك علماء السوء العمل بالعلم:

في كلام المصنف الإشارة إلى أخطر سبب لترك علماء السوء العمل بمقتضى علمهم. وفي توضيح ذلك يقول الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في **"أدب الطلب"** (ص ٢٧): ومن جملة الأسباب التي يتسبب عنها ترك الإنصاف، ويصدر عنها البعد عن الحق، وكتم الحجة، وعدم ما أوجبه الله من البيان، حب الشرف والمال اللذين هما أعدى على الإنسان من ذئبين ضاريين، كما وصف ذلك رسول الله ﷺ.اهـ المراد.

تقدم في حديث **كعب بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**».

تأمل قوله ﷺ: «**بأفسد**» يتبين لك خطورة هذا السبب!

ويؤيد ما تقدم قول الإمام الشوكاني تتمة لكلامه السابق: فإن هذا هو السبب الذي حرف به أهل الكتاب كتب الله المنزلة على رسله، وكتموا ما جاءهم فيها من البينات والهدى، كما وقع من أحبار اليهود، وقد أخبرنا الله بذلك في كتابه العزيز، وأخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الثابت عنه في الصحيح.

وبهذا السبب بقي من بقي على الكفر من العرب وغيرهم بعد قيام الحجة عليهم وظهور الحق لهم، وله نافق من نافق. ووقع في الإسلام من أهل العلم بذلك السبب عجائب مودعة بطون كتب التاريخ. وكم من عالم قد مال إلى هوى ملك من الملوك، فوافقه على ما يريد، وحسن له ما يخالف الشرع، وتظهر له بما يتفق لديه من المذاهب.اهـ المراد.

[سوء القصد]

أخبرنا أبو بكر: **أخبرنا** أبو بكر قاسم بن زكريا، أخبرنا المطرز، أخبرنا أبو الحسن رجاء بن محمد، أخبرنا محمد بن عباد الهنائي، أخبرنا علي بن المبارك، عن أيوب السختياني، عن خالد بن دريك، عن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم علما لغير الله، أو أراد به غير الله، فليتبوأ مقعده من النار**».

جزاء من أراد بالعلم الدنيا:

قال الإمام الشوكاني في **"أدب الطلب"** (ص ٣٠): وهكذا جرت عادة الله في عباده، فإنه لا ينال من أراد الدنيا بالدين إلا وبالا وخسرانا عاجلا، أم آجلا، خصوصا من كان من الحاملين لحجة الله، المأمورين بإبلاغها إلى العباد؛ فإن خيره في الدنيا والآخرة مربوط بوقوفه على حدود الشريعة، فإن زاغ عنها زاغ عنه. وقد صرح الله سبحانه بما يفيد هذا في غير موضع من كتابه العزيز.اهـ المراد.

وكذلك أفادته الأحاديث النبوية التي منها ما ذكره المصنف في ما يلي...

قوله: ﴿ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علما لغير...»﴾

ضعيف.

أخرجه الإمام الترمذي (٢٦٥٥)، والإمام النسائي في **"الكبرى"** (٦٠٨٩)، والإمام ابن ماجه (٢٥٨)، والحافظ ابن عدي في **"الكامل"** (١٢٥٣٩)، من طريق محمد بن عباد الهنائي به.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح، أخبرنا الحسن بن علي الحلواني، أخبرنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا يحيى بن أيوب، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن **جابر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتعلموا العلم؛ لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتجتروا به المجالس. فمن فعل ذلك فالنار النار**».

قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن، غريب، لا نعرفه من حديث أيوب إلا من هذا الوجه.اهـ.

بل الحديث ضعيف لما قاله الحافظ المزي في ترجمة ابن دريك من "**تهذيب الكمال**" (٢/ ٣٤١): روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ولم يدركه.اهـ.

وجاء في معناه حديث أبي هريرة الآتي، ولكن لا تطمئن النفس لاعتضاده به.

قوله: ﴿**جابر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**لا تتعلموا العلم؛ لتباهوا...**»﴾

حسن لغيره.

أخرجه الخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (٢/ ٨٨) من طريق المصنف.

وأخرجه أيضا، الإمام ابن ماجه (٢٥٤)، والإمام ابن حبان (٧٧)، والحافظ ابن عدي في "**الكامل**" (١٨٤٠٥)، والحاكم (٢٩٣) و(٢٩٤)، والإمام البيهقي في "**الشعب**" (١٦٣٥)، وغيرهم، من طريق سعيد بن أبي مريم به.

وإسناده ضعيف لعنعنة أبي الزبير وابن جريج.

وقال الحاكم في الموضع الثاني: هذا إسناد حفظه يحيى بن أيوب المصري عن ابن جريج، فوصله، ويحيى متفق على إخراجه في "**الصحيحين**". وقد أرسله عبد الله بن وهب، فأنا على أصلي الذي أصلته في قبول الزيادة من الثقة.اهـ المراد.

ثم أخرجه (٢٩٥) من مرسل ابن جريج.

والحق في زيادة الثقة ترجيح رواية من هو أقوى صفة وعددا معتبرا بالقرائن الملتفة بذلك. ومقتضاه هنا ترجيح المرسل لأرجحية صفة ابن وهب.

ومراسيل ابن جريج شديدة الضعف، قال الإمام ابن رجب في **"شرح العلل"** (١/ ٢٩١): وقال أحمد في رواية ابنه عبد الله: ابن جريج كان لا يبالي من أين يأخذ، وبعض أحاديثه التي يرسلها، يقول: «أخبرت عن فلان» موضوعة.اهـ.

هذا، ويشتد ضعف الحديث من جهة أخرى، فقد قال العلامة ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (٢/ ١٢٨): وذكر جماعة هذا الخبر من مناكيره.اهـ.

وممن صرح بإنكاره على يحيى بن أيوب الذهبي في **"الميزان"** (٥/ ١٠٦).

وفي الباب حديث كعب بن مالك الذي أخرجه المصنف عقب هذا.

وقد أخرجه أيضا، الإمام الترمذي (٢٦٥٤)، والإمام ابن حبان في **"كتاب المجروحين"** (١/ ١٤٣-١٤٤)، والإمام العقيلي في **"الضعفاء"** (١/ ١٢٠)، والإمام ابن عدي في **"الكامل"** (٢٠٨٩)، والحاكم (٢٩٦)، وغيرهم، من طريق إسحاق بن يحيى بن طلحة به.

قال الإمام الذهبي في ترجمة إسحاق من **"الضعفاء"**: قال أحمد: متروك.اهـ.

وفي بعض مصادر التخريج إنكار هذا الحديث عليه!

وورد الحديث عن عدد من الصحابة، وهي نظير ما تقدم في شدة الضعف إلا ما أخرجه الإمام ابن راهويه في **"مسنده"** كما في **"المطالب العالية"** (٣٠٤٩) من طريق الشعبي عن عبد الله بن مسعود مرفوعا نحوه.

وسنده منقطع بين الشعبي وابن مسعود. ولكن يرفع من شأن هذه الطريق قول الإمام الذهبي في **"الموقظة"** (ص ٤٣-٤٤): وإن صح الإسناد إلى تابعي متوسط الطبقة كمراسيل مجاهد، وإبراهيم، والشعبي، فهو مرسل جيد...اهـ.

ولتكن حال حديث لم يسمعه الشعبي من صحابي قد ذكره في إسناده كذلك.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، أخبرنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام، أخبرنا أمية بن خالد، أخبرنا إسحاق بن يحيى ابن طلحة بن عبيد الله، حدثني ابن كعب بن مالك، عن **أبيه** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من طلب العلم؛ ليجاري به العلماء، ويماري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار**».

ولذلك تطمئن النفس لتقوية حديث ابن مسعود بما أخرجه الإمام الدارمي (٣٨٤) بالإسناد الحسن: حدثنا يحيى بن بسطام، عن يحيى بن حمزة، قال: ثني النعمان، عن مكحول، قال: قال رسول الله ﷺ نحوه.

بالطريقين يحسن حديث الباب لغيره، وقد قال العلامة ابن القيم في "**مفتاح دار السعادة**" (١/ ٣٦٠): وثبته أبو نعيم، وأبو عمرو بن الصلاح، وغيرهما.اهـ.

معنى الحديث:

قال العلامة المباركفوري رحمه الله تعالى في "**تحفة الأحوذي**" (١٣/ ٢٤٤): «**من طلب العلم**»، أي: لا لله، بل «**ليجاري به العلماء**»، أي: يجري معهم في المناظرة والجدال؛ ليظهر علمه في الناس رياءا وسمعة، كذا في "**المجمع**".

«**أو ليماري به السفهاء**»، جمع السفيه، وهو قليل العقل، والمراد به الجاهل، أي: ليجادل به الجهال. والمماراة من المرية، وهي الشك؛ فإن كل واحد من المتحاجين يشك في ما يقول صاحبه، ويشككه مما يورد على حجته، أو من المري، وهو مسح الحالب؛ ليستنزل ما به من اللبن، فإن كلا من المتناظرين يستخرج ما عند صاحبه، كذا حققه الطيبي.

«**ويصرف به وجوه الناس إليه**»، أي: يطلبه بنية تحصيل المال، والجاه، وإقبال العامة عليه.اهـ.

[عدم الانتفاع بالعلم]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد البرذعي في المسجد الحرام، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني يحيى بن سلام، عن عثمان بن مقسم، عن سعيد المقبري، عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه**».

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر بن أبي داود، أخبرنا أيوب بن محمد الوزان، أخبرنا غسان -يعني ابن عبيد-، عن عثمان البزي، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه**».

قوله: ﴿**أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال: سمعت رسول الله** ﷺ **يقول: «إن أشد...»**﴾ **موضوع**.

أخرجه الإمام الطبراني في **"الصغير"** (٥٠٧)، والإمام ابن عدي في **"الكامل"** (١٢٣٨٠) و(١٢٣٨١)، والإمام البيهقي في **"الشعب"** (١٦٤٢)، والحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٠٧٩)، والحافظ ابن عساكر في **"ذم من لا يعمل بعلمه"** (٥) و(٦)، من طريق عثمان البري به.

وقد تصفحت نسبة عثمان في السند بين يدي إلى «البزي»، والصواب ما ذكر!

قال الحافظ ابن عساكر: والحديث غريب.اهـ.

ويوضح ذلك قول الإمام الطبراني: لم يروه عن المقبري إلا عثمان البري.اهـ.

قال الإمام الذهبي في **"الضعفاء"**: كذبه جماعة.اهـ.

ولهذا قال الحافظ ابن عبد البر: ليس حديثه بشيء.اهـ.

وأخرجه الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٥٦/ ٣٠٦-٣٠٧) وفي **"ذم من لا يعمل بعلمه"** (٤) من طريق إسماعيل بن محمد بن يوسف الثقفي، نا زكريا بن نافع، نا سعيد بن الحسن، عن السري بن يحيى، عن سعيد بن أبي سعيد به.

لكن وجود هذه المتابعة كعدمها لحال الثقفي، قال الإمام الذهبي في **"تاريخه"** (١١/ ٢٩٩): وقال ابن حبان: يقلب الأخبار، ويسرق الحديث، حدثنا عنه الحسين بن إسحاق الأصبهاني بالكرج.

وقال ابن طاهر: كذاب.اهـ.

العلم إذا لم ينفع ضر، وضل به صاحبه:

قال الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (١/ ٣٢١): ... من فتح له باب العلم، وأغلق عنه باب العزم والعمل، فهذا في رتبة الجاهل، أو شر منه...اهـ.

ثم قال بعد ذكر حديث الباب: فهذا جهله كان خيرا له وأخف لعذابه من علمه، فما زاده العلم إلا وبالا وعذابا.

وهذا لا مطمع في صلاحه؛ فإن التائه عن الطريق يرجى له العود إليها إذا أبصرها. فإذا عرفها، وحاد عنها عمدا، فمتى ترجى هدايته!؟اهـ المراد.

ويزيد لهذا المعنى توضيحا ما قاله قبل ذلك (ص ٢٨٢-٢٨٣): ولا ريب أن القلب إذا طبع عليه أظلمت صورة العلم فيه، وانطمست.

وربما ذهب أثرها حتى يصير السبب الذي يهتدي به المهتدون سببا لضلال هذا، كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ ...

[العالم الفاسق]

بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة]، فأخبر تعالى أن القرآن سبب لضلال هذا الصنف من الناس، وهو هداه الذي هدى به رسوله وعباده المؤمنين. ولهذا أخبر سبحانه أنه إنما يهدي به من اتبع رضوان الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة].

ولا شيء أعظم فسادا لمحل العلم من صيرورته بحيث يضل بما يهتدي به، فنسبته إلى الهدى والعلم نسبة الفم الذي استحكمت فيه المرارة إلى الماء العذب، كما قيل:

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرا به الماء الزلالا

وإذا فسد القلب فسد إدراكه، وإذا فسد الفم فسد إدراكه، وكذلك إذا فسدت العين. وأهل المعرفة من الصيارفة يقولون: إن من خان في نقده نسي النقد، وسلبه، فاشتبه عليه الخالص بالزغل.اهـ.

قوله: ﴿العالم الفاسق﴾ يبين المراد ما أخرجه الإمام الدارمي (٣٠٩) بسند صحيح إلى هرم بن حيان، أنه قال: إياكم والعالم الفاسق! فبلغ عمر بن الخطاب، فكتب إليه، وأشفق منها: ما العالم الفاسق؟ قال: فكتب إليه هرم: يا أمير المؤمنين! والله

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أحمد بن يحيى الحلواني، أخبرنا عبد الله بن الصادق، أخبرنا يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق**».

ما أردت به إلا الخير. يكون إمام يتكلم بالعلم، ويعمل بالفسق، فيشبه على الناس، فيضلون.اهـ.

قوله: ﴿أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان عباد...»﴾ منكر.

أخرجه الإمام ابن حبان في "**كتاب المجروحين**" (٢/ ٤٨٧-٤٨٨)، والإمام ابن عدي في "**الكامل**" (١٧٩١٦)، والحاكم (٨٠٨١) ومن طريقه الإمام البيهقي في "**الشعب**" (٦٥٥٥)، من طريق يوسف بن عطية به.

قال الإمام البيهقي: يوسف بن عطية كثير المناكير.اهـ.

ومنها هذا الحديث، صرح به الإمام الذهبي في "**الميزان**" (٥/ ١٩٣).

أصناف حملة العلم الذين لا يصلحون لحمله:

بين الإمام ابن القيم في "**مفتاح دار السعادة**" (١/ ٣٨٩-...) هذه الأصناف،

أولها مما قاله فيه: من ليس بمأمون عليه، وهو الذي أوتي ذكاءا وحفظا، ولكن مع ذلك لم يؤت زكاءا، فهو يتخذ العلم الذي هو آلة الدين آلة الدنيا.اهـ.

الثاني ما قال فيه: المنقاد له الذي لم يثلج له صدره، ولم يطمئن به قلبه. بل هو ضعيف البصيرة فيه، لكنه منقاد لأهله.

وهذه حال أتباع الحق من مقلديهم. وهؤلاء، وإن كانوا على سبيل نجاة فليسوا من دعاة الدين، وإنما هم من مكثري سواد الجيش، لا من أمرائه وفرسانه.اهـ المراد.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، أخبرنا محمد بن الحسن البلخي، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا سفيان الثوري، قال: يقال: تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

الثالث ما قال رحمه الله فيه: رجل نهمته في نيل لذته، فهو منقاد لداعي الشهوة أين كان، ولا ينال درجة وراثة النبوة مع ذلك. ولا ينال العلم إلا بهجر اللذات وتطليق الراحة.اهـ.

الرابع ما قال فيه وفي خلاصته لهذه الأصناف كلها: من حرصه وهمته في جمع الأموال، وتثميرها، وادخارها، فقد صارت لذته في ذلك، وفني بها عما سواه، فلا يرى شيئا أطيب له مما هو فيه. فأين هذا ودرجة العلم!؟

فهؤلاء الأصناف الأربعة ليسوا من دعاة الدين، ولا من أئمة العلم، ولا من طلبته الصادقين في طلبه. ومن تعلق منهم بشيء منه فهو من المتسلقين عليه، المتشبهين بحملته وأهله، المدعين لوصاله، المبتوتين من حباله.اهـ.

قوله: ﴿سفيان الثوري، قال: يقال: تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة...﴾

صحيح.

والرجال في الإسناد ثقات، ومحمد بن الحسن البلخي ترجم له الحافظ ابن قطلوبغا في **"الثقات"**، ونقل عن أحمد بن سيار أنه قال: وكان ثبتا في الحديث، محمود والسيرة -كذا في ما بين يدي، والظاهر اقتحام الواو-.اهـ.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله عقب كلامه السابق النقل: وفتنة هؤلاء فتنة لكل مفتون؛ فإن الناس يتشبهون بهم لما يظنون عندهم من العلم، ويقولون: «لسنا خيرا منهم، ولا نرغب بأنفسنا عنهم»، فهم حجة لكل مفتون. ولهذا قال فيهم ...

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا الفريابي، أخبرنا هشام بن عمار، أخبرنا صدقة بن خالد، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: سمعت مكحولا يقول: إنه لا يأتي على الناس ما يوعدون حتى يكون عالمهم فيهم أنتن من جيفة حمار.

[التحيل على الحرمات:]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا الفريابي، أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد، أخبرني أبي، قال: سمعت الأوزاعي يقول: كان يقال: ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات.

بعض الصحابة الكرام: احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.اهـ.

قوله: ﴿مكحولا يقول: إنه لا يأتي على الناس ما يوعدون حتى يكون عالمهم...﴾ صحيح.

قال المعلق: رواه أبو نعيم في ترجمة مكحول الشامي من **"الحلية"** عن الآجري بسنده هذا ومتنه.اهـ.

قوله: ﴿الأوزاعي يقول: كان يقال: ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين...﴾ صحيح.

أخرجه الإمام البيهقي في **"شعب الإيمان"** (١٧٧٨) والخطيب في **"اقتضاء العلم العمل"** (١١٩) من طريق العباس بن الوليد بن مزيد به.

وأخرجه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ٨٩) من قول الإمام الأوزاعي!

لكن في إسناده الحسن بن جعفر الحربي، نقل الخطيب في **"تاريخه"** (٨/ ٢٤٤) عن شيخه العتيقي أنه قال: وكان فيه تساهل.اهـ.

والأشبه حمل الخلل عليه في جعل هذا القول من قول الإمام الأوزاعي نفسه!

[استعمال العلم لجلب حطام الدنيا:]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا بكار، عن عبد الله، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قال الله عز وجل في ما يعاتب به أحبار بني...

حقيقة التحيل على المحرمات:

قال العلامة الشوكاني في **"أدب الطلب"** (ص ١٣٦): ومن تفكر في الأمر كما ينبغي، وتدبره كما يجب، اقشعر له جلده، ووقف عنده شعره؛ فإن هذا الذي وضع للعباد هذه الحيل كأنه يقول لهم: هذا الحكم الذي أوجبه الله عليكم، أو حرمه، قد وجدت لكم عنه مخلصا ومنه متحولا بذهني الدقيق وفكري العميق هو كذا وكذا.

فهذا المخذول قد بلغ من التجري على الله تعالى مبلغا يتقاصر عنه الوصف؛ لأنه ذهب يعانده، ويضاد ما تعبدنا به، بمجرد رأيه الفايل وتخيله الباطل، مقرا على نفسه بقبيح صنعه، وأنه جاء بما يريح العباد من الحكم الشرعي.

فإن كان مع هذا معتقدا أن ذلك التحيل الذي جاء به يحلل الحرام، ويحرم الحلال، فهو مع كذبه على الله وافترائه على شريعته قد ضم إلى ذلك ما يستلزم أنه يدعي لنفسه أن يشرع للعباد من عند نفسه غير ما شرعه لهم. وذلك لا يكون إلا لله سبحانه...اهـ المراد.

قوله: ﴿وهب بن منبه يقول: قال الله عز وجل في ما يعاتب به أحبار بني...﴾

صحيح.

في الإسناد ههنا «بكار، عن عبد الله»، والصواب «بكار بن عبد الله». وهكذا أخرجه الخطيب في **"اقتضاء العلم العمل"** (١٢٠) من طريق شيخ المصنف.

إسرائيل: تفقهون لغير الدين، وتعلمون لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة. تلبسون جلود الضأن، وتخفون أنفس الذئاب. وتتقون القذا من شرابكم، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام. وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال، تطيلون الصلاة. وتبيضون الثياب. تنتقصون مال اليتيم والأرملة. فبعزتي حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا جعفر بن محمد الصندلي، أخبرنا الفضل بن زياد، قال: سمعت الفضيل يقول: إنما هما عالمان، عالم دنيا وعالم آخرة. فعالم الدنيا علمه منشور، وعالم الآخرة علمه مستور. فاتبعوا عالم الآخرة، واحذروا عالم الدنيا، لا يصدنكم بسكره، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، الأحبار العلماء، والرهبان العباد.

ثم قال: لكثير من علمائكم زيه أشبه بزي كسرى وقيصر منه بمحمد ﷺ. إن النبي ﷺ لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة. ولكن رفع له علم، فشمر إليه.

وقال الفضيل: العلماء كثير، والحكماء قليل. وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.

وهو بكار بن عبد الله بن شهاب اليماني، ترجمه الحافظ ابن قطلوبغا رحمه الله تعالى في "الثقات" (٣/ ٦٦)، وقال: وقال أبو حاتم ويحيى بن معين: ثقة.اهـ.

ومن عداه من الرجال في الإسناد ثقات أيضا، فصح الأثر.

قوله: ﴿الفضيل يقول: إنما هما عالمان، عالم دنيا وعالم آخرة. فعالم الدنيا علمه...﴾ صحيح.

قال محمد بن الحسين: قول الفضيل -والله أعلم-: «الفقهاء كثير، والحكماء قليل»، يعني قليل من العلماء من صان علمه عن الدنيا، وطلب به الآخرة، والكثير من العلماء قد افتتن بعلمه. والحكماء قليل، كأنه يقول: ما أعز من طلب بعلمه الآخرة.

قال المعلق: روى أبو نعيم في ترجمة الفضيل بن عياض من **"الحلية"** كلام الفضيل هذا بطوله من قوله: «إنما هما عالمان» إلى قوله: «خيرا كثيرا»، رواه بسند آخر؛ قال: حدثنا محمد بن إبراهيم، ثنا أبو يعلى، ثنا عبد الصمد، قال: سمعت الفضيل...اهـ المراد.

وهذا الإسناد وإسناد المصنف كلاهما صحيح.

قوله: ﴿ما أعز من طلب بعلمه الآخرة﴾ بين السبب في ذلك العلامة الشوكاني في **"أدب الطلب"** (ص ٣٣-٣٤)؛ إذ قال:... فليخبرنا من ذاك الذي يستطيع أن يصرخ بين ظهراني دولة من تلك الدول بما يخالف اعتقاد أهلها، وتألفه عامتها وخاصتها!

ووقوع مثل ذلك نادرا، إنما يقوم به أفراد من مخلصي العلماء ومنصفيهم، وقليل ما هم؛ فإنهم لا يوجدون إلا على قلة وإعواز. وهم حملة الحجة على الحقيقة، والقائمون ببيان ما أنزل الله، والمترجمون للشريعة، وهم العلماء حقا.

وأما غيرهم ممن يعلم كما يعلمون، ولا يتكلم كما يتكلمون، بل يكتم ما أخذ الله عليه بيانه، ويعمل بالجهل مع كونه عالما بأنه جهل، ويقول بالبدعة مع اعتقاده أنها بدعة، فهذا ليس بأهل لدخوله في مسمى العلم، ولا يستأهل أن يوصف بوصف من أوصافه، أو يدخل في عداد أهله. بل هو متظهر، وأقواله، وأفعاله، وحركاته، وسكناته، بالجهل والبدعة مطابقة لأهل الجهل والابتداع،

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل، أخبرنا بشر بن الوليد، أخبرنا فليح بن سليمان، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر، عن سعيد بن يسار، عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**».

وتنفيق لنفسه عليهم، واستجلاب لقلوبهم، ومداراة لهم، حتى يبقى عليه جاهه، ويستمر له رزقه الجاري عليه من بيت مال المسلمين، أو وقفهم، أو نحو ذلك. فهذا هو من البائعين عرض الدين بالدنيا، المؤثرين العاجلة على الآجلة.اهـ المراد.

قوله: ﴿**أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**من تعلم علما مما...**»﴾

معل بالوقف، أو الإرسال. وفي معناه حديث ابن عمر، لكنه ضعيف.

أخرجه الخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (٢/ ٨٩) من طريق المصنف.

وأخرج الحديث الإمام ابن أبي شيبة (٢٧٨٠٨) ومن طريقه الإمام أبو داود (٣٦٦٤)، والإمام أحمد (٨٤٥٧)، والإمام ابن ماجه (٢٥٢)، والإمام العقيلي في "**الضعفاء**" (٣/ ١١٥٢)، وغيرهم، من طريق فليح به.

وفليح ضعيف، ولذلك قال الإمام العقيلي: الرواية في هذا الباب لينة.اهـ.

ومع ضعفه قد خالف من هو أرجح منه، قال الإمام ابن أبي حاتم في "**العلل**" (٢٨٩٠): فسمعت أبا زرعة يقول: هكذا رواه، ورواه زائدة، عن أبي طوالة، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن رهط من أهل العراق، عن أبي ذر موقوف، ولم يرفعه.اهـ.

أخرج هذا الموقوف الحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١١٢٩).

[من أخلص في طلب العلم رزق كفافا:]

أخبرنا أبو بكر: حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، أخبرنا شعيب بن أيوب، أخبرنا عبد الله بن نمير، أخبرنا معاوية النصري، عن الضحاك، عن الأسود بن يزيد -قال غير شعيب: «وعلقمة»، ولم أر شعيبا ذكر علقمة-، قال: قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو أن أهل العلم صانوا العلم، ووضعوه عند أهله، سادوا به أهل زمانهم. ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا؛ لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها. سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**من جعل الهموم هما واحدا، هم آخرته، كفاه الله هم دنياه. ومن تشعبت به هموم أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك**».

وأعله الإمام الدارقطني في **"العلل"** (٧/ ١٦٠) من حيث قال: وخالفه محمد ابن عمارة بن عمرو بن حزم الحزمي، فرواه عن أبي طوالة، عن رجل من بني سالم مرسلا عن النبي ﷺ.

والمرسل أشبه بالصواب.اهـ.

ومقتضى الإعلالين الحكم على رواية فليح بالنكارة. وإليه أومأ الإمام الذهبي بذكر الحديث في ترجمة فليح من **"الميزان"** (٣/ ٣٦٤).

وفي معناه حديث ابن عمر السابق الذكر.

ولا تطمئن النفس لاعتضاده بمرسل الرجل من بني سالم لعدم معرفة عينه، فاحتمل كونه من أوهى المراسيل. وكذلك لم تطمئن النفس لذلك بموقوف أبي ذر لإمكان قوله عن اجتهاد، فلا يكون له حكم الرفع.

قوله: ﴿**عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **لو أن أهل العلم صانوا العلم، ووضعوه...**﴾

موضوع، وورد الشطر المرفوع من حديث ابن عمر، وهو حسن لغيره.

أخرجه الإمام ابن أبي شيبة (٣٧٠٣٢)، والإمام ابن ماجه (٢٥٧)، والإمام عبد الله بن أحمد في زياداته على **"الزهد"** (١١٩)، والإمام البزار (١٦٣٨)، وغيرهم، من طريق عبد الله بن نمير، عن معاوية النصري، عن نهشل، عن الضحاك به.

ولم يذكر نهشل في إسناد المصنف! وهو سقط يدل عليه إخراج الدارقطني للحديث في **"العلل"** (٣٠٤) من طريق شعيب بن أيوب بذكره فيه.

وأفاد ما ذكر في سند المصنف بورود رواية اقترن فيها علقمة بالأسود.

وأيا كان فآفة الحديث التي مدار الروايتين عليها نهشل. قال الإمام البخاري في **"تاريخه"** (٨/ ١١٥): قال إسحاق بن إبراهيم: كان نهشل كذابا.اهـ.

وأخرج الشطر المرفوع الحاكم (٣٦٩٩) و(٨١٣٢) والبيهقي في **"الشعب"** (٩٨٥٧) من طريق أبي عقيل يحيى بن المتوكل، عن عمر بن محمد بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر نحوه.

ويحيى بن المتوكل ضعيف، ولكن يرتقي الحديث إلى الحسن لغيره بمرسل سليمان بن حبيب عند أحمد في **"الزهد"** (١٧٩) وهناد في **"الزهد"** (٧٧٨).

طلب العلم من أسباب الرزق:

في هذا المعنى ما أخرجه الإمام الترمذي (٢٣٤٥) من حديث **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ، والآخر يحترف، فشكى المحترف أخاه إلى النبي ﷺ، فقال: «**لعلك ترزق به**».

صحح هذا الحديث على شرط مسلم الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا عمر بن أيوب السقطي، أخبرنا الحسن بن حماد الكوفي، أخبرنا أبو أسامة، عن عيسى بن سنان، قال: سمعت وهب بن منبه يقول لعطاء الخراساني: كان العلماء قبلنا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم، فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم، فكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم. فأصبح أهل العلم منا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم. فإياك وأبواب السلاطين؛ فإن عند أبوابهم فتنا كمبارك الإبل، لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك مثله.

قال العلامة المباركفوري في **"تحفة الأحوذي"** (١٢/ ٣٤٠): «فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ»، أي: لطلب العلم والمعرفة، «والآخر يحترف»، أي: يكتسب أسباب المعيشة، فكأنهما كانا يأكلان معا، «فشكا المحترف»، أي: في عدم مساعدة أخيه إياه في حرفته، أو في كسب آخر لمعيشته. «فقال: «**لعلك ترزق به**»» بصيغة المجهول، أي: أرجو، أو أخاف، أنك مرزوق ببركته، لا أنه مرزوق بحرفتك، فلا تمنن عليه بصنعتك.اهـ.

قوله: ﴿ عيسى بن سنان، قال: سمعت وهب بن منبه يقول لعطاء الخراساني... ﴾ ضعيف.

قال المعلق رحمه الله تعالى: رواه أبو نعيم في ترجمة وهب بن منبه من **"الحلية"** عن الآجري.اهـ.

وأخرجه الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٦٣/ ٣٨٧) من طريق أبي أسامة به، ولكن دون التحذير من أبواب السلاطين وما ذكر بعده.

وفي الإسناد عيسى بن سنان، قال الحافظ في **"التقريب"**: لين الحديث.اهـ.

قال محمد بن الحسين: فإذا كان يخاف على العلماء في ذلك الزمان أن تفتنهم الدنيا فما ظنك به في زماننا هذا!؟ الله المستعان، ما أعظم ما قد حل بالعلماء من الفتن، وهم عنه في غفلة!

وأخرجه الحافظ ابن عساكر بمعناه عقب ما تقدم من طريق أخرى لا يصلح الاعتبار بها لاشتمالها على مجهول عين.

قوله: ﴿فإذا كان يخاف على العلماء في ذلك الزمان أن تفتنهم الدنيا فما ظنك به في زماننا هذا!؟﴾ أبان الإمام ابن الجوزي في **"السر المصنون"** عن سبب الافتتان؛ إذ قال: وقد كان للعلماء قديما حظ من بيت المال يغنيهم، وكان فيهم من يعيش في ظل سلطان كأبي عبيد مع ابن طاهر والزجاج مع ابن وهب.

ثم كان للعلماء من يراعيهم من الإخوان حتى قال ابن المبارك: «لولا فلان وفلان ما اتجرت»، وكان يبعث بالمال إلى الفضيل وغيرهم.

ثم قل ذلك المعنى، فصار أقوام من التجار يفتقدون العلماء بالزكاة، فيندفع الزمان.

وقد وصلنا إلى زمان تقطعت فيه هذه الأسباب حتى لو احتاج العالم، فطلب، لم يعط.اهـ المراد بواسطة **"الآداب الشرعية"** (١/ ٢٨٨).

معالجة العالم حاجته تجنبا للذل لأهل الدنيا:

في ما يلي أهم الأسباب التي يعالج بها العالم حاجته، وهي وسيلة يتجنب بها الذل لأهل الدنيا والطمع في ما بأيدي أصحاب الأموال.

الأول الإخلاص والصدق في طلب العلم، قال الإمام ابن الجوزي: فينبغي للعاقل ما يجمع همه؛ ليقبل على العلم والعمل بقلب فارغ من الهم. وبعد فإذا صدقت نية العبد وقصده رزقه الله تعالى، وحفظه من الذل، ودخل في قوله تعالى:

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العطشي، أخبرنا علي بن حرب الطائي، أخبرنا سعيد بن عامر، عن هشام، صاحب الدستوائي، قال: قرأت في كتاب بلغني أن من كلام عيسى ابن مريم عليه السلام: كيف يكون...

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق].اهـ بواسطة "الآداب الشرعية" (١/ ٢٩٢).

السبب الثاني الصبر، قال الإمام ابن الجوزي: ما يتناهى في طلب العلم إلا عاشق، والعاشق ينبغي أن يصبر على المكاره.

ومن ضرورة المتشاغل به البعد عن الكسب، وقد فقد التفقد لهم من الأمراء ومن الإخوان، ولازمهم الفقر. والفضائل ينادى عليها: ﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ١١].اهـ بواسطة المصدر السابق (١/ ٢٨٦).

السبب الثالث القناعة، قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله بعد ما سبق: أولى الناس بحفظ المال، وتنمية اليسير منه، والقناعة بقليله، توفيرا لحفظ الدين، والجاه، والسلامة من منن العوام الأراذل، العالم الذي فيه دين.اهـ المراد.

وقال رحمه الله قبل ذلك (ص ٢٨٧) في كلامه على العالم والزاهد: إذا قنعا بما يكفي لم يتمندل بهما السلطان، ولم يستخدما بالترداد إلى بابه.اهـ.

السبب الرابع حسن التدبير للمال، قال الإمام ابن الجوزي بعد ما تقدم (ص ٢٨٩): فالأولى لمثل هذا العالم في هذا الزمان المظلم أن يجتهد في كسب إن قدر عليه، وإن أمكنه نسخ بأجرة، ويدبر ما يحصل له، ويدخر الشيء لحاجة تعرض؛ لئلا يحتاج إلى نذل.اهـ.

قوله: ﴿من كلام عيسى ابن مريم عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم من...﴾

من أهل العلم من سخط رزقه، واحتقر منزلته، وقد علم أن ذلك من علم الله وقدرته!؟ وكيف يكون من أهل العلم من اتهم الله في ما قضاه، وليس يرضى شيئا أصابه!؟ كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته، وهو مقبل على دنياه!؟ وكيف يكون من أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته، وهو في دنياه أفضل رغبة!؟ وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام؛ ليحدث به، ولا يطلبه؛ ليعمل به!؟

[الفخر بالعلم:]

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا جعفر بن محمد الصندلي، أخبرنا الفضل بن زياد، أخبرنا عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إن الله عز وجل يحب العالم المتواضع، ويبغض العالم الجبار. ومن تواضع لله ورثه الله الحكمة.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زهير بن محمد، أخبرنا هدبة، أخبرنا حزم، قال: سمعت...

بين عيسى عليه السلام وبين الدستوائي قرون كثيرة.

أخرج هذا الأثر الإمام الدارمي (٣٧٨)، والإمام ابن أبي الدنيا في **"ذم الدنيا"** (٥٤٧)، والإمام البيهقي في **"الشعب"** (١٧٧٢)، من طريق سعيد بن عامر به.

قوله: ﴿الفضيل بن عياض يقول: إن الله عز وجل يحب العالم المتواضع، ويبغض...﴾

صحيح.

قال المعلق: رواه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** في باب استعماله التواضع، ولين الجانب، ولطف الكلام، عن علي بن أحمد بن عمر المقرئ عن الآجري.اهـ.

مالك بن دينار يقول: إنكم في زمان أشهب، لا يبصر زمانكم إلا البصير. إنكم في زمان نفخاتهم قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم، وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة. فاحذروهم على أنفسكم، لا يوقعوكم في شبكاتهم. يا عالم! أنت عالم تأكل بعلمك. يا عالم! أنت عالم تفخر بعلمك. يا عالم! أنت عالم تكاثر بعلمك. يا عالم! أنت عالم تستطيل بعلمك. لو كان هذا العلم طلبته لله لرئي ذلك فيك وفي عملك.

قوله: ﴿مالك بن دينار يقول: إنكم في زمان أشهب، لا يبصر زمانكم إلا...﴾

صحيح.

تعريف الفخر وحكمه:

قال العلامة ابن مفلح في **"الآداب الشرعية"** (٢/ ٣١٩): ولمسلم، وأبي داود، وغيرهما، عن **عياض بن حمار** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**».

قال الشيخ تقي الدين في **"اقتضاء الصراط المستقيم"**: فجمع النبي ﷺ بين نوعي الاستطالة؛ لأن المستطيل إن استطال بحق فهو المفتخر، وإن استطال بغير حق فهو الباغي، فلا يحل لا هذا ولا هذا.اهـ.

قال العلامة ابن رسلان في شرحه على **"سنن أبي داود"** (١٨/ ٦٣٦): والفخر يحمل صاحبه على الأنفة من القرابة الفقير والجار الفقير، فلا يحسن إليهم، ويراهم بعين الاحتقار والازدراء.اهـ.

متى يكون الثناء على النفس من التحدث بنعمة الله:

قال الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١/ ٤٦٧): ومن أدب العالم ترك الدعوى لما لا يحسنه وترك الفخر بما يحسنه إلا أن يضطر إلى ذلك كما اضطر

[أخلاق من علمه حجة عليه]

قال محمد بن الحسين: فإن قال قائل: «فصف لنا أخلاق هؤلاء العلماء الذين علمهم حجة عليهم حتى إذا رأينا من يشار إليه بالعلم اعتبرنا ما ظهر من أخلاقهم. فإذا رأينا أخلاقا لا تحسن بأهل العلم اجتنبناهم، وعلمنا أن ما استبطنوه من دناءة الأخلاق أقبح مما ظهر، وعلمنا أنه فتنة، فاجتنبناهم؛ لئلا نفتتن كما افتتنوا. والله موفقنا للرشاد» قيل له: نعم، سنذكر من أخلاقهم ما إذا سمعها من ينسب إلى العلم رجع إلى نفسه، فتصفح أمره، فإن كان فيه خلق من تلك الأخلاق المكروهة، المذمومة، استغفر الله، وأسرع الرجعة عنها إلى أخلاق هي أولى بالعلم مما يقربهم إلى الله عز وجل، وتجافى عن الأخلاق التي تباعدهم عن الله.

يوسف عليه السلام حين قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥].

وذلك أنه لم يكن بحضرته من يعرف حقه، فيثني عليه بما هو فيه، ويعطيه بقسطه. ورأى هو أن ذلك المقعد لا يقعده غيره من أهل وقته إلا قصر عما يجب لله عز وجل من القيام به من حقوقه، فلم يسعه إلا السعي في ظهور الحق بما أمكنه. فإذا كان ذلك فجائز للعالم حينئذ الثناء على نفسه والتنبيه على موضعه، فيكون حينئذ تحدث بنعمة ربه عنده على وجه الشكر لها.اهـ.

قوله: ﴿من أخلاقهم﴾ تقدم ذكر بعضها، فنستغني بهذه الإحالة عن إعادة الكلام.

[طلب العلم للشهرة:]

فمن صفته في طلبه للعلم يطلب العلم بالسهو والغفلة. وإنما يطلب من العلم ما أسرع إليه هواه.

فإن قال: «كيف؟» قلت: ليس مراده في طلب العلم أنه فرض عليه؛ ليتعلم كيف يعبد الله في ما يعبده من أداء فرائضه واجتناب محارمه. إنما مراده في طلبه أن يكثر التعرف أنه من طلاب العلم، وليكون عنده، فإذا كان عنده هذب نفسه.

قوله: ﴿إنما مراده في طلبه أن يكثر التعرف أنه من طلاب العلم﴾ ليس قصد العالم الشهرة، قال الإمام البيهقي في **"الزهد"** (ص ١٥٨-١٥٩): اعلم أن أصل الجاه هو حب انتشار الصيت والاشتهار، وذلك خطر عظيم، والسلامة في الخمول.

وأهل العلم لم يقصدوا الشهرة، ولم يتعرضوا لها ولا لأسبابها. فإن وقعت من قبل الله تعالى فروا عنها، وكانوا يؤثرون الخمول، والمذموم طلب الإنسان الشهرة.

وأما وجودها من جهة الله تعالى، من غير طلب الإنسان، فليس بمذموم غير أن في وجودها فتنة على الضعفاء؛ فإن مثل الضعيف كالغريق القليل الصنعة في السباحة، إذا تعلق به أحد غرق، وغرقه. فأما السابح النحرير فإن تعلق الغرقى به سبب لنجاتهم وخلاصهم.اهـ.

بل في كتم العالم ما به يشتهر دليل عقله، ففي **"سؤالات الإمام السلفي للإمام خميس"** (٤٣): وسألته عن أبي السعادات الخطيب، فقال: كثير الشيوخ.

خطب على المنبر الشرقي من واسط، وشهد عند أبي علي بن برهون، قاضي واسط، وكتب الوقف بعد أبي الحسن، المعروف بصدقة.

وله شعر جيد ومعرفة بالأسانيد.

وكم علم إذا سمعه، أو حفظه، شرف به عند المخلوقين، سارع إليه، وخف في طلبه. وكل علم وجب عليه في ما بينه وبين ربه عز وجل أن يعلمه، فيعمل به، ثقل عليه طلبه، فتركه على بصيرة منه مع شدة فقره إليه.

يثقل عليه أن يفوته سماعا لعلم قد أراده حتى يلزم نفسه بالاجتهاد في سماعه. فإذا سمعه هان عليه ترك العمل به، فلم يلزمها ما وجب عليه من العمل به كما ألزمها السماع.

فهذه غفلة عظيمة، إن فاته سماع شيء من العلم أحزنه ذلك، وأسف على فوته. كل ذلك بغير تمييز منه! وكان الأولى به أن يحزن على علم قد سمعه، فوجبت عليه به الحجة، فلم يعمل به. ذلك كان أولى به أن يحزن عليه، ويتأسف.

[التعصب للخطإ:]

يتفقه للرياء، ويحاج للمراء.

وهو من ولد أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلا أنه يكتم ذلك؛ لأنه مشتهر به. وذلك معدود من عقله.اهـ المراد.

قوله: ﴿يثقل عليه أن يفوته سماعا لعلم قد أراده حتى يلزم نفسه بالاجتهاد﴾ لشدة حرصه على الشهرة يثقل عليه تعلم ما يجب عليه للعمل به لما يراه في سماعه له من تفويت سماع للعلم الذي به يشتهر.

ولم تقف غفلته عند هذا، بل ازداد الخرق على الراقع حيث حرص على سماع ما به يشتهر، ولم يحرص على العمل به، فصار همه في ما يسمع الشهرة، ليس إلا.

ولا يشعر المسكين بتراكم الحجة عليه من جهات عدة، وهو عنها غافل!؟

مناظرته في العلم تكسبه المأثم، مراده في مناظرته أن يعرف بالبلاغة، ومراده أن يخطئ مناظره، إن أصاب مناظره الحق ساءه ذلك، فهو دائب يسره ما يسر الشيطان، ويكره ما يحب الرحمن.

يتعجب ممن لا ينصف في المناظرة، وهو يجور في المحاجة، يحتج على خطئه، وهو يعرفه، ولا يقر به، خوفا أن يذم على خطئه.

قوله: ﴿يحتج على خطئه، وهو يعرفه، ولا يقر به، خوفا أن يذم﴾ يوضح هذا المعنى ما قاله الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في **"أدب الطلب"** (ص ٣٠):... فإن الرجل قد يكون له بصيرة، وحسن إدراك، ومعرفة بالحق، ورغوب إليه، فيخطئ في المناظرة، ويحمله الهوى، ومحبة الغلب، وطلب الظهور، على التصميم على مقاله، وتصحيح خطئه، وتقويم معوجه، بالجدال والمراء.

وهذه الذريعة الإبليسية والدسيسة الشيطانية قد وقع بها من وقع في مهاو من التعصبات ومزالق من التعسفات عظيمة الخطر، مخوفة العاقبة.

وقد شاهدنا من هذا الجنس ما يقتضي منه العجب؛ فإن بعض من يسلك هذا المسلك قد يجاوز ذلك إلى الحلف بالأيمان على حقيقة ما قاله وصواب ما ذهب إليه! وكثيرا منهم يعترف بعد أن تذهب عنه سورة الغضب، وتزول عنه نزوة الشيطان، بأن فعل ذلك تعمدا مع علمه بأن الذي قاله غير صواب.اهـ.

سبب التعصب للخطإ:

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في **"أدب الطلب"** (ص ٥٦): من آفات التعصب الماحقة لبركة العلم أن يكون طالب العلم قد قال بقول في مسألة كما يصدر ممن يفتي، أو يصنف، أو يناظر غيره، ويشتهر ذلك القول عنه؛ فإنه قد يصعب عليه الرجوع عنه إلى ما يخالفه، وإن علم أنه الحق، وتبين له فساد ما قاله. ولا سبب

[الترخيص في الفتوى بحسب الهوى:]

يرخص في الفتوى لمن أحب، ويشدد على من لا هوى له فيه.

لهذا الاستصعاب إلا تأثير الدنيا على الدين؛ فإنه قد يسول له الشيطان، أو النفس الأمارة، أن ذلك ينقصه، ويحط من رتبته، ويخدش في تحقيقه، ويغض من رئاسته.اهـ المراد.

الرجوع إلى الحق رفعة:

قال العلامة الشوكاني عقب ما تقدم: وهذا تخيل مختل وتسويل باطل؛ فإن الرجوع إلى الحق يوجب له من الجلالة، والنبالة، وحسن الثناء، ما لا يكون في تصميمه على الباطل.اهـ المراد.

وذلك لما في هذا الرجوع من العمل بمقتضى العلم بخلاف التعصب للخطإ، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩]، وقد قال الله جل وعلا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

قوله: ﴿يرخص في الفتوى لمن أحب، ويشدد على من لا هوى له فيه﴾ قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "أعلام الموقعين" (٥/ ٧٦): فكم بين مريد بالفتوى وجه الله، ورضاه، والقرب منه، وما عنده، ومريد بها وجه المخلوق، ورجاء منفعته، وما يناله منه تحقيقا، أو طمعا! فيفتي الرجلان بالفتوى الواحدة، وبينهما في الفضل والثواب أعظم مما بين المشرق والمغرب.اهـ المراد.

والجزاء من جنس العمل، فمن أسس فتواه على الهوى هوى بها في المهالك، ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ ...

يذم بعض الرأي، فإن احتاج الحكم والفتيا لمن أحب دله عليه، وعمل به.

عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ [التوبة: ١٠٩]. قال الإمام ابن القيم بعد ما تقدم: وقد جرت عادة الله التي لا تبدل، وسنته التي لا تحول، أن يلبس المخلص من المهابة، والنور، والمحبة في قلوب الخلق، وإقبال قلوبهم إليه، ما هو بحسب إخلاصه، ونيته، ومعاملته لربه، ويلبس المرائي اللابس ثوبي الزور من المقت، والمهانة، والبغضة ما هو اللائق به.اهـ المراد.

ترخيص المفتي على حسب نيته:

قال الإمام ابن القيم بعد ما تقدم (ص ١١٣-١١٤): لا يجوز للمفتي تتبع الحيل المحرمة والمكروهة ولاتتبع الرخص لمن أراد نفعه.

فإن تتبع ذلك فسق، وحرم استفتاؤه. وإن حسن قصده في حيلة جائزة، لا شبهة فيها ولا مفسدة، لتخليص المستفتي بها من حرج، جاز ذلك، بل استحب. وقد أرشد الله سبحانه نبيه أيوب إلى التخلص من الحنث بأن يأخذ بيده ضغثا، فيضرب به المرأة ضربة واحدة.اهـ المراد.

قوله: ﴿يذم بعض الرأي، فإن احتاج الحكم والفتيا لمن أحب دله عليه﴾ شاهد هذا الإمام الشوكاني، وسجله رحمه الله في **"أدب الطلب"** (ص ٢٨) قائلا: كثيرا ما نرى الرجل يعتقد في نفسه اعتقادا يوافق الحق، ويطابق الصواب، فإذا تكلم عند من يخالفه في ذلك، ويميل إلى شيء من البدعة، فضلا عن أن يكون من أهل الرئاسة وممن بيده من الدنيا، فضلا عن أن يكون من الملوك، وافقه، وساعده، وسانده، وعاضده. وأقل الأحوال أن يكتم ما يعتقده من الحق، ويغمط ما قد تبين له من الصواب، عند من لا يجوز منه ضررا، ولا يقدر منه نفعا، فكيف ممن عداه!؟

[التعليم والتعلم لنيل عرض الدنيا:]

من تعلم منه علما فهمته فيه منافع الدنيا، فإن عاد عليه خف عليه تعليمه، وإن كان ممن لا منفعة له فيه للدنيا، وإنما منفعته الآخرة، ثقل عليه.

يرجو ثواب علم ما لم يعمل به، ولا يخاف سوء عاقبة المساءلة عن تخلف العمل به. يرجو ثواب الله على بغضه من ظن به السوء من المستورين، ولا يخاف مقت الله على مداهنته للمهتوكين.

ينطق بالحكمة، فيظن أنه من أهلها، ولا يخاف عظم الحجة عليه لتركه استعمالها. إن علم ازداد مباهاة وتصنعا، وإن احتاج إلى معرفة علم تركه أنفا.

إن كثر العلماء في عصره، فذكروا بالعلم، أحب أن يذكر معهم.

إن سئل العلماء عن مسألة، فلم يسأل هو، أحب أن يسأل كما سئل غيره. وكان أولى به أن يحمد ربه إذا لم يسأل، وإذا كان غيره قد كفاه.

إن بلغه أن أحدا من العلماء أخطأ، وأصاب هو، فرح بخطإ غيره. وكان حكمه أن يسوءه ذلك.

وهذا في الحقيقة من تأثير الدنيا على الدين والعاجلة على الآجلة.

وهو لو أمعن نظره، وتدبر ما وقع فيه، لعلم أن ميله إلى هوى رجل، أو رجلين، أو ثلاثة، أو أكثر، ممن يجاملهم في ذلك المجلس، ويكتم الحق مطابقة لهم، واستجلابا لمودتهم، واستبقاءا لما لديهم، وفرارا من نفورهم، هو من التقصير بجانب الحق والتعظيم لجانب الباطل...اهـ المراد.

قوله: {ينطق بالحكمة...} ذكر المصنف جملة من الأخلاق التي يتعين اجتنابها على العالم. وقد تقدم الكلام عليها، أو على جلها، إجمالا، أو تفصيلا.

إن مات أحد من العلماء سره موته؛ ليحتاج الناس إلى علمه.

إن سئل عما لا يعلم أنف أن يقول: «لا أعلم» حتى يتكلف ما لا يسعه في الجواب.

إن علم أن غيره أنفع للمسلمين منه كره حياته، ولم يرشد الناس إليه.

إن علم أنه قال قولا، فتوبع عليه، وصارت له به رتبة عند من جهله، ثم علم أنه أخطأ، أنف أن يرجع عن خطئه، فيثبت بنصر الخطإ؛ لئلا تسقط رتبته عند المخلوقين.

يتواضع بعلمه للملوك وأبناء الدنيا؛ لينال حظه منهم بتأويل يقيمه. ويتكبر على من لا دنيا له من المستورين والفقراء، فيحرمهم علمه بتأويل يقيمه.

ويعد نفسه في العلماء، وأعماله أعمال السفهاء، قد فتنه حب الدنيا، والثناء، والشرف، والمنزلة عند أهل الدنيا. يتجمل بالعلم كما تتجمل بالحلة الحسناء للدنيا، ولا يجمل علمه بالعمل به.

قال محمد بن الحسين: من تدبر هذه الخصال، فعرف أن فيه بعض ما ذكرنا، وجب عليه أن يستحي من الله، وأن يسرع الرجوع إلى الحق. وسأذكر من الآثار بعض ما ذكرت؛ ليتأدب به العالم، إن شاء الله.

[التجمل بالعلم دون التجمل بالعمل به:]

فأما قولنا: يتجمل بالعلم، ولا يجمل العلم بعمله...

حدثنا أبو بكر: حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي، حدثنا ابن المبارك، حدثنا حريز بن عثمان، عن...

حبيب بن عبيد، قال: تعلموا العلم، واعتقلوه، وانتفعوا به. ولا تعلموه؛ لتجملوا به. إنه يوشك إن طال بك العمر أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زهير بن محمد، أخبرنا علي بن قادم، أخبرنا سفيان، عن ليث، قال: قال طاوس: ما تعلمت فتعلم لنفسك؛ فإن الأمانة والصدق قد ذهبا من الناس.

۞ [الإفتاء مع وجود من يكفي:]

قال محمد بن الحسين: وأما من كان يكره أن يفتي إذا علم أن غيره يكفيه فحدثنا جعفر بن محمد الصندلي، أخبرنا الحسين بن محمد الزعفراني، أخبرنا شبابة بن سوار، أخبرنا شعبة، عن عطاء بن السائب،...

قوله: ﴿حبيب بن عبيد، قال: تعلموا العلم، واعتقلوه، وانتفعوا به...﴾

صحيح.

أخرجه الإمام الدارمي (٣٧٩) والخطيب في **"اقتضاء العلم العمل"** (٣٥) من طريق حريز بن عثمان به.

قوله: ﴿طاوس: ما تعلمت فتعلم لنفسك؛ فإن الأمانة والصدق قد ذهبا...﴾

ضعيف.

أخرجه الإمام ابن سعد في **"الطبقات"** (٦/ ٦٩)، والإمام الدارمي (٥٥٥)، والحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٨٨٤)، من طريق سفيان به.

وليث، هو ابن أبي سليم، وهو ضعيف.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار إذا سئل أحدهم عن الشيء أحب أن يكفيه صاحبه.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا جعفر أيضا، أخبرنا محمد بن المثنى، قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: سمعت المعافي بن عمران يذكر عن سفيان، قال: أدركت الفقهاء، وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا، ولا يفتوا حتى لا يجدوا بدا من أن يفتوا.

وقال المعافي: سألت سفيان، فقال: أدركت الناس ممن أدركت من العلماء والفقهاء، وهم يترادون المسائل، يكرهون أن يجيبوا فيها. فإذا أعفوا عنها كان ذلك أحب إليهم.

قوله: ﴿عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب...﴾

صحيح.

أخرجه الإمام أبو خيثمة في **"العلم"** (٢١)، والحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٢١٩٩)، و(٢٢٠١)، و(٢٢٠٢)، والخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٢-١٣)، من طريق عطاء بن السائب به.

وعطاء ثقة، ولا يضر اختلاطه صحة الأثر؛ إذ الراوي عنه في سند المصنف ممن روى عنه قبل الاختلاط، كما في **"التهذيب"** (٣/ ١٠٤).

تصحف اسم الزعفراني في السند هنا، وصوابه كما في طبعة أخرى «الحسن».

قوله: ﴿سفيان، قال: أدركت الفقهاء، وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل...﴾

حسن.

أفاد المعلق بإخراج الخبر في باب القول في السؤال عن الحادثة والكلام فيها قبل وقوعها من كتاب **"الفقيه والمتفقه"** عن علي بن أحمد بن عمر عن الآجري.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني، أخبرنا الحسن بن الأسود العجلي، أخبرنا يحيى بن آدم، أخبرنا حماد بن شعيب، عن حجاج، عن عمير بن سعيد، قال: سألت علقمة عن مسألة، فقال: «ائت عبيدة،...

وهذا الإسناد حسن من أجل محمد بن المثنى، وهو السمسار، نقل الخطيب في "تاريخه" (٤/ ٤٦١) عن ابن أبي حاتم أنه قال: هو صدوق.اهـ المراد.

و«المعافى» بفتح الفاء بعدها ألف، وقد تصحف في الإسناد بين يدي بالكسر بعدها ياء!

التورع في الفتيا سنة العلماء:

قال الشيخ بكر في "التعالم" (ص ٣٨): قد جرت سنة الأجلة من العلماء على التورع في الفتيا، والبحث، والتأليف، والمناظرة، وما جرى مجرى ذلك.

وفي حضار العلم وفنونه ترى العالم مع جلالة قدره وعلو منزلته ينفي علمه في مواضع، ويتوقف في أخرى، ويرجع من قول إلى آخر، للتقوى، فيكون هذا من عظيم قدره وجلالة شأنه، ولا ينقص من علمه.اهـ.

التجري على الفتوى من ظواهر التعالم:

جعل ذلك أول أنواعها الشيخ بكر قبل ما تقدم (ص ٣١)، وقال: منه ما تراه في أحوال بعض المنتسبين إلى العلم، تراه قد غرز قدميه في بقعة التعالم، لا يرى من يعشره، مسرورا بما يساء به اللبيب، يأنف من التجاسر على صرف المستفتي بلا جواب، فيتجاسر على القول على الله بلا علم.اهـ المراد.

قوله: ﴿عمير بن سعيد، قال: سألت علقمة عن مسألة، فقال: «ائت عبيدة،...﴾ ضعيف جدا.

أخرجه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (٢/ ١٣) من طريق الآجري.

فاسأله». فأتيت عبيدة، فقال: ائت علقمة. فقلت: علقمة أرسلني إليك. فقال: «ائت مسروقا، فاسأله». فأتيت مسروقا، فسألته، فقال: ائت علقمة، فاسأله. فقلت: علقمة أرسلني إلى عبيدة، وعبيدة أرسلني إليك. فقال: «ائت عبد الرحمن بن أبي ليلى»، فأتيت عبد الرحمن بن أبي ليلى، فسألته، فكرهه. ثم رجعت إلى علقمة، فأخبرته. قال: كان يقال: أجرأ القوم على الفتيا أدناهم علما.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا جعفر بن محمد الصندلي، أنبأنا محمد بن المثنى، قال: سمعت بشرا قال: قال سفيان: من أحب أن يسأل فليس بأهل أن يسأل.

وقد استفدنا من هذا المصدر وطبعة أخرى للكتاب التنبيه على تصحيف اسم العجلي في الإسناد بين أيدينا، والصواب فيه بزيادة الياء! وهو الحسين بن علي بن الأسود، مختلف فيه، ولكن الجرح فيه مفسر، فيقدم. وعليه اقتصر الإمام الذهبي في **"الضعفاء"** قائلا: قال ابن عدي: يسرق الحديث.اهـ.

وفي السند أيضا، حجاج، وهو ابن أرطاة، ضعيف ومدلس. وتلميذه الظاهر أنه الحماني، قال الإمام البخاري في **"تاريخه"** (٣/ ٢٥): فيه نظر.اهـ.

قوله: ﴿سفيان: من أحب أن يسأل فليس بأهل أن يسأل﴾

حسن.

قال المعلق: رواه الخطيب في باب الزجر عن التسرع في الفتوى من **"الفقيه والمتفقه"** عن علي بن أحمد بن عمر المقرئ عن الآجري.اهـ.

المسابقة إلى الفتوى سبب لقلة التوفيق:

قال الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٦٦): وقل من حرص على الفتوى، وسابق إليها، وثابر عليها، إلا قل توفيقه، واضطرب في أمره. وإذ كان كارها

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زهير بن محمد، أخبرنا سعيد بن سليمان، أخبرنا محمد بن طلحة بن مصرف، عن أبي حمزة، قال: قال لي إبراهيم: والله يا أبا حمزة! لقد تكلمت، ولو أجد بدا ما تكلمت. وإن زمانا أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء.

[الجواب عما لم يقع:]

وأما من كان إذا سئل عن الأمر سأل؛ هل كان؟ فإن قيل: «كان» أفتى فيه. وإن قيل: «لم يكن» لم يفت فيه، كل ذلك إشفاقا من الفتيا...

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، أخبرنا داود بن عمرو، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، كان إذا سئل عن شيء قال: «هل وقع؟». فإن قالوا له: «لم يقع»...

لذلك، غير مختار له، ما وجد مندوحة عنه، وقدر أن يحيل بالأمر فيه على غيره، كانت المعونة له من الله أكثر، والصلاح في فتواه وجوابه أغلب.اهـ المراد.

وقد انتزع ذلك مما أخرجه عقبه من حديث **عبد الرحمن بن سمرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة أكلت إليها. وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها**».

أخرجه الإمام البخاري (٦٧٢٢) والإمام مسلم (١٣)-(١٦٥٢).

قوله: ﴿إبراهيم: والله يا أبا حمزة! لقد تكلمت، ولو أجد بدا ما تكلمت. وإن...﴾ ضعيف.

في سنده أبو حمزة، وهو الأعور، قال الحافظ في "**التقريب**": ضعيف.اهـ.

قوله: ﴿خارجة بن زيد بن ثابت، كان إذا سئل عن شيء قال: «هل وقع؟»...﴾

لم يخبرهم. وإن قالوا: «قد وقع» أخبرهم.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، أخبرنا زهير، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا موسى بن علي، قال: سمعت أبي قال: كان الرجل يأتي زيد بن ثابت، فيسأله عن الأمر، فيقول: «آلله أنزل هذا؟».فإن قال: «والله لقد نزل هذا» أفتاه. وإن لم يحلف تركه.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا ابن عبد الحميد الواسطي أيضا، أخبرنا زهير، أخبرنا شريح بن النعمان، أخبرنا أبو عوانة، عن فراس، عن عامر، عن مسروق، قال: كنت أمشي مع أبي بن كعب، فقال له رجل: يا عماه! كذا وكذا. فقال: يا ابن أخي! أكان هذا؟ قال: لا. قال: فأعفنا حتى يكون.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا ابن عبد الحميد، أخبرنا زهير بن محمد بن قمير، أخبرنا منصور بن سعيد، أخبرنا حماد بن زيد، أخبرنا...

ضعيف.

وداود بن عمرو من البغداديين، وروايتهم عن ابن أبي الزناد ضعيفة.

قوله: ﴿أبي قال: كان الرجل يأتي زيد بن ثابت، فيسأله عن الأمر، فيقول...﴾

صحيح.

أخرج الأثر المذكور الإمام أبو خيثمة في **"العلم"** (٧٥)، والخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ٨)، والحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٢٠٦٨)، من طريق موسى بن علي به.

قوله: ﴿مسروق، قال: كنت أمشي مع أبي بن كعب، فقال له رجل: يا عماه!...﴾

صحيح.

أخرجه الإمام الدارمي (١٥٤) من طريق أبي عوانة به.

الصلت بن راشد، قال: سألت طاوسا عن شيء، فانتهرني، وقال: أكان هذا؟ قلت: نعم. قال: آلله؟ قلت: آلله. قال أصحابنا: أخبرونا عن معاذ بن جبل، أنه قال: أيها الناس! لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله، فيذهب بكم ههنا وههنا. فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سدد -أو قال: وفق-.

قوله: ﴿الصلت بن راشد، قال: سألت طاوسا عن شيء، فانتهرني، وقال...﴾

أثر طاوس صحيح، دون أثر معاذ.

أخرجه الخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (٢/ ١٢) من طريق المصنف.

وأخرجه الإمام الدارمي (١٥٧) من طريق حماد بن زيد به.

سند الأثر عن طاوس صحيح، لكن أصحابه مبهمون، فلا يثبت أثر معاذ.

التفصيل في الجواب عما لم يقع:

قال العلامة ابن القيم في "**أعلام الموقعين**" (٥/ ١١٣): إذا سأل المستفتي عن مسألة لم تقع فهل تستحب إجابته، أو تكره، أو يخير؟ فيه ثلاثة أقوال.

وقد حكي عن كثير من السلف أنه كان لا يتكلم في ما لم يقع. وكان بعض السلف إذا سأله الرجل عن مسألة قال: هل كان ذلك؟ فإن قال: «نعم» تكلف له الجواب، وإلا قال: دعنا في عافية.

وقال الإمام أحمد لبعض أصحابه: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام.

والحق التفصيل...

فإن كان في المسألة نص من كتاب الله، أو سنة عن رسول الله ﷺ، أو أثر عن الصحابة، لم يكره الكلام فيها.

[البحث المؤدي إلى الشر:]

قال محمد بن الحسين: وأما ما ذكرنا في الأغلوطات وتعقيد المسائل مما ينبغي للعالم أن ينزه نفسه عن البحث عنها مما لم يكن، ولعلها لا تكون أبدا، فيشغلوا نفوسهم بالنظر، والجدل، والمراء، فيها حتى يشتغلوا بها عما هو أولى بهم، ويغالط بعضهم بعضا، ويطلب بعضهم زلل بعض، ويسأل بعضهم بعضا، هذا كله مكروه، منهي عنه، لا يعود على من أراد هذا منفعة في دينه.

وليس هذا طريق من تقدم من السلف الصالح. ما كان يطلب بعضهم غلط بعض، ولا مرادهم أن يخطئ بعضهم بعضا. بل كانوا علماء، عقلاء، يتكلمون في العلم مناصحة، وقد نفعهم الله بالعلم.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا الفريابي، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن **أبيه** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما رجل سأل على أمر لم يحرم، فحرم من أجل مسألته**».

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي أبو عبد الله،...

وإن لم يكن فيها نص ولا أثر، فإن كانت بعيدة الوقوع، أو مقدرة، لا تقع، لم يستحب له الكلام فيها. وإن كان وقوعها غير نادر ولا مستبعد، وغرض السائل الإحاطة بعلمها؛ ليكون منها على بصيرة إذا وقعت، استحب له الجواب بما يعلم.اهـ المراد.

قوله: ﴿أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم المسلمين في...»﴾

أخرجه الإمام البخاري (٧٢٨٩) والإمام مسلم (٢٣٥٨).

أخبرنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم، أخبرنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الملك بن عمير، عن وراد مولى المغيرة بن شعبة، عن **المغيرة بن شعبة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ نهى عن «قيل»، و«قال»، وكثرة السؤال.

[تعاطي عضل المسائل:]

أخبرنا جعفر بن محمد الصندلي، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا أبو النضر -يعني الدمشقي-، أخبرنا يزيد بن ربيعة، قال: سمعت أبا الأشعث، يحدث...

قوله: ﴿المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ نهى عن «قيل»، و«قال»...﴾

أخرجه الإمام البخاري (٦٤٧٣) والإمام مسلم (١٢)-(٥٩٣).

ما قيل في البحث من تفصيل:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في **"فتح الباري"** (١٣/ ٣٢٨): فمن يسد باب المسائل حتى فاته معرفة كثير من الأحكام التي يكثر وقوعها فإنه يقل فهمه وعلمه.

ومن توسع في تفريع المسائل وتوليدها، ولاسيما في ما يقل وقوعه، أو يندر، ولاسيما إن كان الحامل على ذلك المباهاة والمغالبة، فإنه يذم فعله، وهو عين الذي كرهه السلف.

ومن أمعن في البحث عن معاني كتاب الله محافظا على ما جاء في تفسيره عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه الذين شاهدوا التنزيل، وحصل من الأحكام ما يستفاد من منطوقه ومفهومه، وعن معاني السنة وما دلت عليه كذلك مقتصرا على ما يصلح للحجة منها، فإنه الذي يحمد، وينتفع به.اهـ المراد.

عن **ثوبان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، قال: «**سيكون أقوام من أمتي يتغلطون فقهاءهم بعضل المسائل، أولئك شرار أمتي**».

أخبرنا أبو بكر: **أخبرنا** جعفر الصندلي، أخبرنا الحسن بن محمد الزعفراني، أخبرنا علي بن بحر القطان، أخبرنا عيسى بن يونس، أخبرنا الأوزاعي، عن عبد الله بن سعد، عن الصنابحي، عن **معاوية بن أبي سفيان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات.

قوله: ﴿ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، قال: «سيكون أقوام من أمتي...»﴾

متروك.

أخرجه الإمام الطبراني (١٤٣١) والخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١١) من طريق أبي النضر به.

قال الحافظ الهيثمي في **"مجمع الزوائد"** (١/ ١٥٤): وفيه يزيد بن ربيعة، وهو متروك.اهـ.

قوله: ﴿معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات﴾

ضعيف.

أخرجه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١١) من طريق المصنف.

أخرج الحديث الإمام أحمد (٢٣٦٨٨)، والإمام أبو داود (٣٦٥٦)، والإمام البخاري في **"تاريخه"** (٥/ ١٠٦)، والإمام الطبراني (١٩/ ٢٦٨) وفي **"الأوسط"** (٨٢٠٤)، وغيرهم، من طريق عيسى بن يونس به.

ذكر الإمام الدارقطني الاختلاف في السند في **"العلل"** (٤/ ٤٧٦-٤٧٧)، وقال عقبه مرجحا للرواية المتقدمة: الصحيح حديث عيسى بن يونس.اهـ.

ولكنها ضعيفة لضعف عبد الله بن سعد، وهو ابن فروة البجلي.

قال عيسى: والأغلوطات ما لا يحتاج إليه من كيف وكيف.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد البرذعي في المسجد الحرام، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرنا مسلمة بن علي، عن صالح، عن الحسن، قال: إن شرار عباد الله قوم يحبون شرار المسائل، يعمون بها عباد الله.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا جعفر بن محمد الصندلي، أخبرنا الزعفراني، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، عن عمران بن جبير، عن ربيع بن كثير، قال: قال علي ابن أبي طالب يوما: سلوني عما شئتم. فقال: ابن الكواء: ما السواد الذي في القمر؟ قال: قاتلك الله. ألا سألت عما ينفعك في دنياك وآخرتك! ذاك محو آية الليل.

قوله: ﴿الحسن، قال: إن شرار عباد الله قوم يحبون شرار المسائل، يعمون بها...﴾ حسن لغيره.

مسلمة بن علي، وهو الخشني، قال الحافظ في **"التقريب"**: متروك.اهـ.

وأخرجه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١١) من طريق المستلم بن سعيد، عن منصور بن زاذان، عن الحسن بنحوه.

وهذا الإسناد حسن من أجل المستلم هذا.

قوله: ﴿ربيع بن كثير، قال: قال علي بن أبي طالب يوما: سلوني عما شئتم...﴾ صحيح دون قوله: قاتلك -إلى قوله:- وآخرتك.

تصحف اسم والد عمران واسم شيخه في الإسناد بين يدي، والصواب «ابن حدير» و«رفيع أبي كثير»، وكذلك وردا في طبعة.

رجال الإسناد ما بين ثقة وصدوق إلا رفيع، فلم أجد فيه جرحا ولا تعديلا.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا جعفر بن محمد الصندلي، أخبرنا الفضل بن زياد، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله يقول لرجل ألح عليه في تعقيد المسائل، فقال أحمد: تسأل عن عبد بين رجلين!؟ سل عن الصلاة والزكاة، شيئا تنتفع به ونحو هذا. ما تقول في صائم احتلم؟ فقال الرجل: لا أدري. فقال أبو عبد الله: تترك ما تنتفع به، وتسأل عن عبد بين رجلين!؟

ثم حدثنا عن روح، عن أشعث، عن الحسن في صائم احتلم: لا شيء عليه.

وحدثنا عن روح، عن حبيب بن أبي حبيب، عن عمرو بن هرم، عن جابر بن زيد في صائم احتلم، قال: لا شيء عليه، ولكن يعجل الغسل.

قال محمد بن الحسين: فلو أدب العلماء أنفسهم وغيرهم بمثل هذه الأخلاق التي كان عليها من مضى من أئمة المسلمين انتفعوا بها، وانتفع بهم غيرهم، وبارك الله لهم في قليل علمهم، وصاروا أئمة يهتدى بهم.

وأخرجه الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٧٢٦) بالسند الصحيح في سياق طويل، لكن دون قوله: قاتلك -إلى قوله:- وآخرتك.

قوله: ﴿الفضل بن زياد، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله يقول...﴾

صحيح.

قوله: ﴿الحسن في صائم احتلم: لا شيء عليه﴾

صحيح.

قوله: ﴿جابر بن زيد في صائم احتلم، قال: لا شيء عليه، ولكن يعجل الغسل﴾

حسن.

والإسناد حسن من أجل حبيب بن أبي حبيب، وهو الجرمي.

[الاستكاف من قول: «لا أدري»:]

وأما الحجة للعالم يسأل عن الشيء لا يعلمه فلا يستنكف أن يقول: «لا أعلم» إذا كان لا يعلم. وهذا طريق أئمة المسلمين من الصحابة ومن بعدهم من أئمة المسلمين، اتبعوا في ذلك نبيهم ﷺ؛ لأنه كان إذا سئل عن الشيء مما لم يتقدم له فيه علم الوحي من الله عز وجل، فيقول: «**لا أدري**».

وهكذا يجب على كل من سئل عن شيء لم يتقدم فيه العلم أن يقول: «الله أعلم به»، و«لا علم لي به»، ولا يتكلف ما لا يعلمه، فهو أعذر له عند الله وعند ذوي الألباب.

أخبرنا أبو بكر: **أخبرنا** الفريابي، أخبرنا عثمان بن أبي شيبة، أخبرنا جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن **ابن عمر** رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أي...

قوله: ﴿**ابن عمر** رضي الله عنهما، **قال: جاء رجل إلى رسول الله** ﷺ، **فقال...**﴾

القدر المتعلق بشر البقاع حسن بشاهده.

أخرجه الحاكم (٣١٠) و(٢١٧٨)، والإمام البيهقي (٥٠٤٩) و(١٣٤٦١)، والحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١٥٥٠)، من طريق جرير به.

وإسناده ضعيف لوقوع رواية جرير عن عطاء بعد اختلاطه.

وأخرج الإمام أحمد (١٦٧٤٤)، والإمام أبو يعلى (٧٤٠٣)، والإمام الطبراني (١٥٤٥) و(١٥٤٦)، والحاكم (٣٠٧-٣٠٩) و(٢١٧٧)، والخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (٢/ ١٧٠-١٧١)، من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه مقتصرا على ما يتعلق بشر البقاع وسؤال جبريل ربه.

البقاع خير؟ قال: «**لا أدري**»، أو سكت. قال: فأي البقاع شر؟ قال: «**لا أدري**»، أو سكت. فأتاه جبريل عليه السلام، فسأله، فقال: لا أدري. فقال: «**سل ربك**». قال: «ما أسألك عن شيء»، وانتفض انتفاضة كاد يصعق منها محمد ﷺ. قال: فلما صعد جبريل عليه السلام قال الله تعالى: سألك محمد عن أي البقاع خير قلت: «لا أدري»، وسألك عن أي البقاع شر قلت: «لا أدري». قال: فخبره أن خير البقاع المساجد، وشر البقاع الأسواق.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو أحمد هارون بن يوسف التاجر، أخبرنا ابن أبي عمر، أخبرنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن زاذان أبي ميسرة، قال: خرج علينا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوما، وهو يمسح بطنه، وهو يقول: يا بردها على الكبد! سئلت عما لا أعلم، فقلت: «لا أعلم»، و«الله أعلم».

وهذا الإسناد ضعيف لضعف عبد الله بن محمد بن عقيل.

ويرتقي ما يتعلق بشر البقاع في حديث ابن عمر إلى الحسن بهذا الشاهد.

قوله: ﴿زاذان أبي ميسرة، قال: خرج علينا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوما...﴾

صحيح.

لم أجد ترجمة لمن اسمه زاذان يكنى أبا ميسرة! وإنما المذكور في الرواة عن علي وفي من روى عنهم عطاء بن السائب زاذان الكندي، وكنيته أبو عبد الله، ويقال: «أبو عمر»، فإن كان هو صح الأثر. ويحتمل أيضا، تصحيف أداة الكنية من واو العطف؛ فإن ابن السائب معروف بالرواية عن زاذان وميسرة.

وأخرجه الإمام الدارمي (١٨٣) من طريق خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن أبي البختري وزاذان، قالا: قال علي نحوه.

وإسناده صحيح، ولا يضر الانقطاع بين أبي البختري وعلي لاقترانه بزاذان.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو أحمد أيضا، أخبرنا ابن أبي عمر، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: قال عبد الله: أيها الناس! من علم منكم علما فليقل به، ومن لم يعلم فيقول: «لا أعلم»، و«الله أعلم»؛ فإن من علم المرء أن يقول لما لا يعلم: «الله أعلم». وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر، أنه سئل عن أمر لا يعلمه، فقال: لا أعلمه.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا جعفر الصندلي، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا محاضر، عن الأعمش، عن...

وأفاد الحافظ ابن رجب في "**شرح العلل**" (٢/ ٥٥٨) بسماع خالد بن عبد الله قبل تغير عطاء.

وللأثر طرق أخرى عند الإمام الدارمي والخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (٢/ ١٧١)، وما تقدم واف بالمقصود.

قوله: ﴿عبد الله: أيها الناس! من علم منكم علما فليقل به، ومن لم يعلم فيقول...﴾

أخرجه الإمام البخاري (٤٨٠٩) والإمام مسلم (٣٩)-(٢٧٩٨).

أخرجه من طريق المصنف الخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (٢/ ١٧١).

قوله: ﴿ابن عمر، أنه سئل عن أمر لا يعلمه، فقال: لا أعلمه﴾

صحيح لغيره.

وهذا الإسناد حسن من أجل ابن عجلان.

وأخرجه بإسناد آخر صحيح الإمام الدارمي (١٨٧) بنحوه.

عطية، قال: جاء رجل إلى ابن عمر يسأله عن فريضة هينة من الصلب، فقال: «لا أدري». فقام الرجل، فقال له بعض من عنده: ألا أخبرت الرجل؟ فقال: لا، والله ما أدري.

أخبرنا أبو بكر: **أخبرنا** هارون بن يوسف، أخبرنا ابن أبي عمر، أخبرنا سفيان، عن يحيى بن سعيد، قال: سئل ابن لعبد الله بن عبد الله بن عمر عن شيء، فلم يكن عنده جواب، فقلت: إني لأعظم أن يكون مثلك، ابن إمام هدى، يسأل عن شيء لا يكون عندك منه علم! فقال: أعظم -والله- من ذلك عند الله وعند من عقل عن الله *عز وجل* أن أقول بغير علم، أو أحدث عن غير ثقة.

أخبرنا أبو بكر: **أخبرنا** أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبد الرزاق، قال: كان مالك يذكر، قال: كان ابن عباس يقول: إذا أخطأ العالم أن يقول: «لا أدري» فقد أصيبت مقاتله.

قوله: ﴿**عطية، قال: جاء رجل إلى ابن عمر يسأله عن فريضة هينة من الصلب...**﴾

ضعيف.

وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي.

قوله: ﴿**يحيى بن سعيد، قال: سئل ابن لعبد الله بن عبد الله بن عمر عن شيء...**﴾

صحيح.

ويغلب على الظن كون هذا المبهم عبد الحميد؛ فإنه المذكور في شيوخ يحيى بن سعيد في **"تهذيب الكمال"** (٨/ ٤٣) من أولاد عبد الله بن عبد الله، والله أعلم.

قوله: ﴿**مالك يذكر، قال: كان ابن عباس يقول: إذا أخطأ العالم أن يقول...**﴾

معضل.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا جعفر الصندلي، أخبرنا يعقوب بن بختان، قال: سمعت أحمد بن حنبل أبا عبد الله رحمه الله قال: سمعت الشافعي قال: سمعت مالكا قال: سمعت ابن عجلان قال: إذا أغفل العالم «لا أدري» أصيبت مقاتله.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا جعفر، أخبرنا صالح بن أحمد، عن أبيه، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: جاء رجل إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء، فقال له مالك: لا أدري. قال الرجل: فأذكر عنك أنك لا تدري؟ قال: نعم، احك عني أني لا أدري.

قال محمد بن الحسين: من تخلق بهذه الأخلاق كانت أوصافه تلك الأوصاف التي تقدم ذكرنا لها.

أخرجه من طريق المصنف الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٧٢).

والسند ضعيف لانقطاعه، بل يغلب على الظن إعضاله؛ فإن ما بين وفاتي ابن عباس ومالك أزيد من قرن وعشر سنين!

قوله: ﴿ابن عجلان قال: إذا أغفل العالم «لا أدري» أصيبت مقاتله...﴾

صحيح.

أخرجه الخطيب في **"تاريخه"** (١٦/ ٤٠٨) من طريق المصنف.

قوله: ﴿عبد الرحمن بن مهدي يقول: جاء رجل إلى مالك بن أنس يسأله...﴾

صحيح.

الظاهر كون شيخ المصنف الصندلي لقرب العهد به، فيكون السند صحيحا.

وأخرجه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (٢/ ١٧٤) بإسناد آخر حسن بنحوه.

وصف من لم ينفعهم الله بالعلم

وأما من كانت أوصافه وأخلاقه الأخلاق المذمومة التي ذكرناها لم يلتفت إلى هذا، واتبع هواه، وتعاظم في نفسه، وتجبر. ولم يؤثر العلم في قلبه أثرا يعود عليه نفعه، وكانت أخلاقه في كثير من أموره أخلاق أهل الجفاء والغفلة.

وسأذكر من أخلاقه الجافية ما إذا تصفح نفسه من خرج عن الأخلاق الشريفة، ورضي لنفسه بالأخلاق الدنيئة التي لا تحسن بالعلماء، علم أنها فيه، وشهد على نفسه بذلك، لا يمكنه دفع ذلك، والله العظيم مطلع على سره.

فمن صفته أن يكون أكثر همه معاشه من حيث نهي عنه مخافة الفقر أن ينزل به، لا يقنع بما أعطي، مستبطئا لما لم يجر به المقدور. شغل الدنيا دائم في قلبه، وذكر الآخرة خطرات، يطلب الدنيا بالتعب، والحرص، والنصب، ويطلب الآخرة بالتسويف والمنى.

يذكر الرجاء عند الذنوب، فيطلب نفسه بالمقام عليها. ويذكر العجز عند الطاعة حين هم بها، فينزجر عنها، ويظن أنه محسن بالله الظن، وأنه يوثق به في العفو، ولم يضمن له، ولا يحسن الظن بالله، ويثق به، في الرزق الذي ضمن

قوله: ﴿سأذكر من أخلاقه الجافية...﴾ ما ذكره المصنف في ما يلي يعتبر الحاصل لما تقدم بيانه، وهي الخلاصة في هذا الباب التي يجعلها طالب العلم نصب عينيه حذرا من اتصافه بشيء من ذلك.

له. يضطرب قلبه، ويشتغل بطلب رزقه، وقد أمر بالطمأنينة فيه إلى ربه. ويطمئن، ويسكن، عند ذكر الموت، وقد ندب إلى أن يخافه، ولا يسكن عند الحذر والخوف من أجل رزقه، وقد ضمن له، وأمنه الله من أن يفوته ما قدر له. فما أمنه الله منه يخافه، وما خوفه الله منه أمنه.

يفرح بما آتاه الله من الدنيا حتى ينسى بفرحه شكر ربه، ويغتم بالمصائب حتى تشغله عن الرضا عن ربه.

إن نابته نائبة سبق إلى قلبه الفزع إلى العباد والاستعانة بهم، يطلب من ربه الفرج إذا أيس من الفرج من قبل الخلق. فإن طمع في دنو إلى مخلوق نسي مولاه، من اصطنع إليه معروفا غلب على قلبه حب المصطنع إليه، وشغل قلبه بذكره، وألزم قلبه حبه وشكره، ناس في جميع ذلك ربه.

يثقل عليه بذل القليل من ماله لمن لا يكافئ عليه إلا ربه، ويخف عليه بذل الكثير لمن يكافئه، أو يؤمل منه منفعة في دنياه.

يأثم في من أحب، فيمدحه بالباطل، ويعصي الله في من يبغضه، فيذمه بالباطل، يقطع بالظنون، ويحقق بالتهم.

يكره ظلم من ينتصر لنفسه، أو ينصره من العباد غيره، ويخف عليه ظلم من لا ناصر له سوى ربه.

يثقل عليه الذكر، ويخف عليه فضول القول.

إن كان في رخاء فرح، ولها، وأسى، وطغى، وبغى. وإن زال عنه الرخاء شغل قلبه عن الواجبات، وظن أنه لا يفرح، ولا يمرح، أبدا. إن مرض سوف التوبة، وأظهر الندامة، وعاهد أن لا يعود. وإن وجد الراحة نقض العهد، ورجع من قريب.

وإن خاف الخلق، ورجا دنياهم، أرضاهم بما يكره مولاه. وإن خاف الله كما يزعم لم يرضه بما يكره الخلق. يستعيذ بالله من شر من هو فوقه من العباد، ولا يعيذ من هو دونه من الخلق من شر نفسه. شفاؤه في إمضاء غيظه، وإن كان مما يسخط ربه.

ينظر إلى من فضل عليه في الرزق، فيستقل نعم ربه، فلا يشكره. ولا ينظر إلى من هو دونه في العيش، فيشكر النعمة.

يتشاغل بالفضول عن الصلوات إلى آخر أوقاتها. فإن صلى صلى لاهيا عن صلاته، غير معظم لمولاه إذا قام بين يديه. إذا أطال إمامه الصلاة ملها، وذمه، وإن خففها اغتنم خفته، وحمده.

قليل الدعاء ما لم تنزل به الشدائد والعلل، فإن دعا فبقلب مشغول بالدنيا.

قال محمد بن الحسين: هذه الأخلاق وما يشبهها تغلب على قلب من لم ينتفع بالعلم، فبينا هو مقارن لهذه الأخلاق إذ رغبت نفسه في حب الشرف والمنزلة، وأحب مجالسة الملوك وأبناء الدنيا، فأحب أن يشاركهم في ما هم فيه من راخي عيشهم من منزل بهي، ومركب هني، وخادم سري، ولباس لين، وفراش ناعم، وطعام شهي. وأحب أن يغشى بابه، ويسمع قوله، ويطاع أمره، فلم يقدر عليه إلا من جهة القضاء، فطلبه، ولم يمكنه إلا ببذل دينه، فتذلل للملوك ولأتباعهم، وخدمهم بنفسه، وأكرمهم بماله، وسكت عن قبيح ما يظهر من مناكير على أبوابهم، وفي منازلهم، وقولهم، وفعلهم. ثم زين لهم كثيرا من قبيح فعالهم بتأويله الخطإ؛ ليحسن موقعه عندهم. فلما فعل هذا مدة طويلة، واستحكم فيه الفساد، ولوه القضاء، فذبحوه بغير سكين.

فصارت لهم عليه منة عظيمة، ووجب عليه شكرهم، فألزم نفسه ذلك؛ لئلا يغضبهم عليه، فيعزلوه عن القضاء. ولم يلتفت إلى غضب مولاه الكريم، فاقتطع أموال اليتامى، والأرامل، والفقراء، والمساكين، وأموال الوقوف على المجاهدين، وأهل الشرف، وبالحرمين، وأموالا يعود نفعها على جميع المسلمين، فأرضى بها الكاتب، والحاجب، والخادم. فأكل الحرام، وأطعم الحرام، وكثر الداعي عليه، فالويل لمن أورثه علمه هذه الأخلاق.

هذا العالم الذي استعاذ منه النبي ﷺ، وأمر أن يستعاذ منه. هذا العالم الذي قال النبي ﷺ: «**إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه**».

أخبرنا أبو بكر: **أخبرنا** الفريابي، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أخيه عباد بن أبي سعيد، سمع **أبا هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم! إني أعوذ بك من الأربع، من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع**».

قوله: ﴿أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم! إني...»﴾

صحيح لغيره.

أخرجه الإمام أحمد (٨٤٨٨)، و(٨٧٧٩)، و(٩٨٢٩)، والإمام أبو داود (١٥٤٨)، والإمام النسائي (٥٤٦٧) و(٥٥٣٧)، والإمام ابن ماجه (٣٨٣٧)، وغيرهم، من طريق الليث بن سعد به.

وقد رجح الحافظ الدارقطي في "**العلل**" (٧/ ١٤٧-١٤٨) الرواية المذكورة بعد ذكر الاختلاف في إسناد الحديث.

الرجال في السند ثقات ما عدا عباد، قال الحافظ في "**التقريب**": مقبول.اهـ.

أخبرنا أبو بكر: أخبرنا أبو بكر بن أبي داود، أخبرنا أحمد بن صالح المصري، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني أسامة بن زيد، أن محمد بن المنكدر حدثه، أنه سمع **جابر بن عبد الله الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم! إني أسألك علما نافعا، وأعوذ بك من علم لا ينفع**».

وصح في معناه ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله (٧٣)-(٢٧٢٢) من حديث **زيد بن أرقم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: لا أقول إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: «**اللهم! إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر. اللهم! آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم! إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**».

قوله: ﴿جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سمعت رسول الله ﷺ...﴾

جيد.

أخرجه الإمام النسائي في "**الكبرى**" (٨٠١٦) والإمام ابن حبان (٨٣) من طريق أسامة بن زيد به.

وأسامة بن زيد هو الليثي، قال الحافظ في "**التقريب**": صدوق، يهم.اهـ.

ويرفع من شأن روايته لحديثه هذا كون الراوي عنه ابن وهب، قال الإمام ابن عدي في "**الكامل**" (٢/ ٢٩٧): يروي عنه ابن وهب بنسخة صالحة.اهـ.

وأخرجه الإمام الطبراني في "**الأوسط**" (٩٠٥٠) بإسناد آخر إلى ابن المنكدر.

وأخرجه قبل ذلك (٧١٣٩) من حديث عائشة.

أما حديث عائشة فلا يصلح الاعتبار به لجهالة عين شيخ الإمام الطبراني، ولكن يصلح ذلك بالطريق الأخرى، فيرتقي بها الحديث إلى الجودة.

قال جابر: فأسرعت إلى أهلي، فقلت لهم: إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات، فادعوا بهن.

آخر كتاب **"أخلاق العلماء"**، والحمد لله وحده،
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي،
وعلى آله، وصحبه أجمعين.

قوله: ﴿آخر كتاب "أخلاق العلماء"﴾

خاتمة الكتاب

تم بحمد الله ما قصده العبد الضعيف رشيد بن مصطفى المغربي،
البربري، قبيل وقت المغرب ليوم الأربعاء العاشر من شهر
شوال سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وألف في قرية
أركمان شمال المغرب. والله أسأله أن يجعل هذا
العمل مؤديا لفرض التبليغ الواجب علينا.
وهذا دأبنا الذي نلازمه إلى الممات
بتوفيق المولى وإعانته.
آمين.

فهرس الفوائد

في الحاشية

الفائدة	الصفحة
الباء في البسملة	١٤
نكتة في كتابة البسملة	١٦
لفظ الجلالة	١٦
اسما الله الرحمن الرحيم	١٧
معنى صلاة الله على نبيه ﷺ	١٩
أمية النبي ﷺ كمال	٢٠
المراد بآل النبي ﷺ	٢٢
معنى قوله: «أما بعد»	٢٤
الرفعة في الآخرة	٢٩
الرفعة في الدنيا	٣١
نيل الرفعة محتاج إلى صبر	٣٢
استمرار الطالب حتى يبلغ منزلة الربانيين	٣٢
السباق إلى الدرجات العلى	٣٣
الفرق بين الخشية والخوف	٣٥
دلالة الآية	٣٥
معنى الحكمة	٣٩
الغبطة على الحكمة	٤٠
من الحكمة الصمت	٤١
الحكمة مرتبة من مراتب الدعوة	٤٢
من هو الرباني؟	٤٥
الإمامة في الدين مفتقرة إلى صبر	٤٧

مما يعين على الصبر وقت المحن	٤٩
بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين	٤٩
أكمل الناس عقلا العلماء	٥٢
ما هو العقل	٥٣
محل العقل	٥٣
تمام الدين دال على تمام العقل	٥٤
طاعة العلماء	٥٧
طاعة العلماء في طاعة الله	٥٨
المعلم بمنزلة الوالد للمتعلم	٥٩
فضل العلماء على العباد	٦٣
منقبة لورثة الأنبياء	٦٤
معنى الفقيه	٦٥
من هو الفقيه	٦٦
إرادة الله بعبده خيرا بتفقيهه في الدين	٧٢
أولى الناس بالفضل الوارد في التفقه في الدين	٧٢
فقه الرجل على قدر حفظه للحديث	٧٣
اعتناء الطالب بآثار السلف في الفقه	٧٤
وجه تشبيه العلماء بالنجوم	٧٨
أهمية الردود على أهل الأهواء لطالب العلم	٧٩
العلم نور يحيى به القلب	٩١
وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم	٩٦
حفظ الدين بسبب الرحلة في طلب العلم	٩٨
طلب العلم جهاد	١٠١
شفاعة المؤمنين ومن بينهم العلماء	١٠٣

أجل الحسنات في الدنيا العلم والعمل به	١٠٥
قبل ذوق لذة العلم الكد في تحصيله والصبر على المرارة في ذلك	١٠٦
مراتب العلم	١١٠
بقاء علم الرجل بعد موته	١١٤
علم الرجل في تأليفه أبقى	١١٥
الأمة معلم الناس الخير	١١٨
التعليم أول بركة العلم	١١٩
من بخل بما عنده من العلم أضر بنفسه	١١٩
التعليم من أجل الصدقات	١٢١
للاستمرار في طلب العلم	١٢٢
من آفات طلب العلم	١٢٣
معالجة الانقطاع عن طلب العلم	١٢٤
العلم المفروض ضربان	١٣٠
أول واجب على طالب العلم إصلاح نيته	١٣٢
إذا لم يرزق النية في أول الأمر	١٣٣
الحذر من الداء الخفي	١٣٤
الصدق في طلب العلم	١٣٥
فساد طالب العلم بالعجب	١٣٧
مشي طالب العلم هونا	١٣٨
إيثار الوحدة	١٤٠
موضع الماشين بعضهم من بعض	١٤٣
العلم حال المشي	١٤٤
شروط السلامة من زلل الكلام	١٤٨
الجلوس في الحلقة	١٥٢

لزوم التواضع	١٥٢
خفض الصوت لإنصات المعلم	١٥٤
مماراة المعلم سبب حرمان علم كثير	١٥٧
ما يكره من كثرة السؤال	١٥٨
حسن السؤال نصف العلم	١٥٩
المناظرة للحاجة	١٦٠
تقسيم العلماء باعتبار مقصودهم	١٦٦
عمل الناظر في اختلاف الصحابة والأئمة	١٧٣
لزوم المسئول الافتقار إلى ربه	١٧٦
في الاعتصام بالكتاب والسنة نجاة عن البدع	١٨٠
تعريف المناظرة	١٨٣
حكم المناظرة	١٨٤
تعريف الخشوع	٢٠٥
ثمرة الخشوع أعمال الجوارح	٢٠٥
مطالعة آفات النفس والعمل مثمرة للخشوع	٢٠٦
العالم أزهد الناس في الدنيا	٢١٣
خوف العالم من تقصير عمله بجانب علمه	٢٢٠
أخطر سبب لترك علماء السوء العمل بالعلم	٢٢٥
جزاء من أراد بالعلم الدنيا	٢٢٦
معنى الحديث	٢٢٩
العلم إذا لم ينفع ضر، وضل به صاحبه	٢٣١
أصناف حملة العلم الذين لا يصلحون لحمله	٢٣٣
حقيقة التحيل على المحرمات	٢٣٦
طلب العلم من أسباب الرزق	٢٤١

معالجة العالم حاجته تجنبا للذل لأهل الدنيا	٢٤٣
تعريف الفخر وحكمه	٢٤٦
متى يكون الثناء على النفس من التحدث بنعمة الله	٢٤٦
سبب التعصب للخطإ	٢٥٠
الرجوع إلى الحق رفعة	٢٥١
ترخيص المفتي على حسب نيته	٢٥٢
التورع في الفتيا سنة العلماء	٢٥٧
التجري على الفتوى من ظواهر التعالم	٢٥٧
المسابقة إلى الفتوى سبب لقلة التوفيق	٢٥٨
التفصيل في الجواب عما لم يقع	٢٦١
ما قيل في البحث من تفصيل	٢٦٣

فهرس

الموضوعات

الموضوع الصفحة

ترجمة مختصرة للإمام الآجري ٧
اسمه ونسبه ٧
مذهبه ٧
شيء من ثناء العلماء عليه ٨
ما يتعلق بمصنفاته ٨
وفاته ٨
حول كتاب "أخلاق العلماء" ٩
الثناء على الكتاب ومنزلته الرفيعة ٩
حول عنوان الكتاب ١٠
مقدمة المؤلف ١٤
[باب ما جاءت به آيات القرآن من فضل العلماء في الدنيا والآخرة] ٢٧
[رفعة العالم في الدنيا والآخرة] ٢٨
[خشية العالم لربه] ٣٤
[من يؤتى الحكمة] ٣٨
[العالم الرباني] ٤٤
[الإمامة في الدين] ٤٦
[العلماء أولو النهى] ٥٠
[طاعة العلماء في طاعة الله] ٥٤
باب ذكر ما جاءت به السنن والآثار من فضل العلماء في الدنيا والآخرة ٦٠
[فضل العلماء لنيلهم إرث الأنبياء على العباد] ٦١
[فضل الفقه في الدين] ٦٥
[إرادة الله لعبده خيرا بتفقيهه] ٦٩
[العلماء أمنة من الضلال] ٧٥
[الاستعانة بالعلماء في الطريق إلى الله] ٨١

[العلم حياة القلوب] ٨٨
[الدعاء للعلماء] ٩٢
[فضل العلماء لرحلتهم في طلب العلم] ٩٧
[سعي طالب العلم في سبيل الله] ١٠٠
[شفاعة العلماء] ١٠٢
[طيب الحياة بالعلم] ١٠٤
[العالم والمتعلم شريكان في الأجر] ١١١
[انتفاع العالم بعلمه بعد موته] ١١٣
[فضل التعليم] ١١٦
[الاستغفار للمعلم] ١١٦
[التعليم سنة إبراهيم عليه السلام] ١١٧
[التعليم صدقة] ١٢٠
[الاستمرار في طلب العلم] ١٢٢
[العلماء هم القوم لا يشقى بهم جليسهم] ١٢٥
[خاتمة بابي فضل العلماء] ١٢٦
باب أوصاف العلماء الذين نفعهم الله بالعلم في الدنيا والآخرة ١٢٨
ذكر صفته في طلب العلم ١٢٩
[العلم قبل العمل] ١٢٩
[على المرء طلب ما يجب عليه من العلم] ١٣٠
[النية والصدق في طلب العلم] ١٣١
[طلب العلم فضل من الله] ١٣٦
ذكر صفته في مشيه إلى العلماء ١٣٨
[صفة مشي طالب العلم] ١٣٨
[المشي منفردا] ١٣٩
[المشي مصاحبا للغير] ١٤٢
[شغل النفس بما ينفع، وإلا شغلت صاحبها بغيره] ١٤٥

[أهمية الصمت لطالب العلم]..... ١٤٧
[كلما ازداد علمك ازداد خوفك]..... ١٤٩
صفة مجالسته للعلماء..... ١٥٠
[آداب مجالسة الطالب لمعلمه]..... ١٥٠
[آداب السؤال]..... ١٥٦
[شكر المعلم والصبر عليه]..... ١٦١
صفته إذا عرف بالعلم..... ١٦٣
[تواضع العالم]..... ١٦٣
[صيانة العالم لعلمه]..... ١٦٥
[آداب العالم في مجلسه]..... ١٦٨
[آداب العالم مع مجالسيه]..... ١٧١
[آداب العالم في جوابه]..... ١٧٢
[ابتعاد العالم عن البدع وأهلها]..... ١٧٩
[جمع العالم بين فهم النصوص وفهم الواقع]..... ١٨١
ذكر صفة مناظرة هذا العالم..... ١٨٣
إذا احتاج إلى المناظرة [لأهل الأهواء عند الاضطرار]..... ١٨٣
[إذا احتاج إلى المناظرة في الفقه إذا صلحت النية]..... ١٨٥
[قيود لسلامة المناظرة في الفقه من المفاسد]..... ١٩١
[التحذير من المناظرة لقصد المغالبة]..... ١٩٢
معاشرته لمن عاشره من سائر الخلق..... ١٩٧
أوصافه في ما بينه وبين ربه عز وجل..... ٢٠٣
[الخشوع]..... ٢٠٤
[الخشية]..... ٢٠٨
[الفقه]..... ٢١٢
[الزهد]..... ٢١٣
باب ذكر سؤال الله لأهل العلم عن علمهم ماذا عملوا فيه..... ٢١٧

كتاب أخلاق العالم الجاهل المفتتن بعلمه ٢٢٤
[سوء القصد] ٢٢٦
[عدم الانتفاع بالعلم] ٢٣٠
[العالم الفاسق] ٢٣٢
[التحيل على الحرمات] ٢٣٥
[استعمال العلم لجلب حطام الدنيا] ٢٣٦
[من أخلص في طلب العلم رزق كفافا] ٢٤٠
[الفخر بالعلم] ٢٤٥
[أخلاق من علمه حجة عليه] ٢٤٧
[طلب العلم للشهرة] ٢٤٨
[التعصب للخطإ] ٢٤٩
[الترخيص في الفتوى بحسب الهوى] ٢٥١
[التعليم والتعلم لنيل عرض الدنيا] ٢٥٣
[التجمل بالعلم دون التجمل بالعمل به] ٢٥٤
[الإفتاء مع وجود من يكفي] ٢٥٥
[الجواب عما لم يقع] ٢٥٩
[البحث المؤدي إلى الشر] ٢٦٢
[تعاطي عضل المسائل] ٢٦٣
[الاستنكاف من قول: «لا أدري»] ٢٦٧
وصف من لم ينفعهم الله بالعلم ٢٧٢
فهرس الفوائد في الحاشية ٢٧٩
فهرس الموضوعات ٢٨٧